الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف-

كلية الآداب والفنون

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه(LMD)

تخصص: الدّلالة في المستويات اللّسانية

العنوان:

دلالة سياق الحال في البلاغة العربيّة

– نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدّين الرّازي نموذجا–

إعداد الباحثة:

كميلة بربري

أعضاء لجنة المناقشة:

اسم الأستاذ ولقبه	الرتبة	الجامعة	الصفة
بن عجمية أحمد	أستاذ	جامعة الشلف	رئيسا
بن عريبة راضية	أستاذ	جامعة الشلف	مشرفا ومقررا
عطاء الله كمال الدين	أستاذ محاضر أ	جامعة الشلف	عضوا مناقشا
بن نافلة يوسف	أستاذ	جامعة الشلف	عضوا مناقشا
بكوش عيسى	أستاذ محاضر أ	جامعة البليدة	عضوا مناقشا
حفار عز الدين	أستاذ	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا

السّنة الجامعية: 1444/1443هـ

2022/2021م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف-

كلية الآداب والفنون

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه(LMD)

تخصص: الدّلالة في المستويات اللسانية

العنوان:

دلالة سياق الحال في البلاغة العربيّة

– نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدّين الرّازي نموذجا–

إعداد الباحثة:

كميلة بربري

أعضاء لجنة المناقشة:

اسم الأستاذ ولقبه	الرتبة	الجامعة	الصفة
بن عجمية أحمد	أستاذ	جامعة الشلف	رئيسا
بن عريبة راضية	أستاذ	جامعة الشلف	مشرفا ومقررا
عطاء الله كمال الدين	أستاذ محاضر أ	جامعة الشلف	عضوا مناقشا
بن نافلة يوسف	أستاذ	جامعة الشلف	عضوا مناقشا
بكوش عيسى	أستاذ محاضر أ	جامعة البليدة	عضوا مناقشا
حفار عز الدين	أستاذ	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا

السّنة الجامعية: 1444/1443هـ

2022/2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

الشّكر والتّقدير

لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الجميل، وأسمى آيات التقدير، لفضيلة الأستاذة الدكتورة "راضية بن عريبة " المشرفة على هذه الأطروحة على ما أولته وقدمته من خلال إشرافها على رسالتي هذه من العناية البالغة والجهد الكبير في التّوجيه والإرشاد والتّصحيح. فهي والله كانت نعم المرأة العالمة، العارفة الصّبورة، فلها مني فائق التّقدير والاحترام ومهما شكرت وأثنيت فلن أوفيها حقها.

كما لايفوتني أن أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى كل من مدّ إليّ" يد العون بتوجيه أو إرشاد أو نصح أو مساعدة خاصة الأستاذ الدّكتور "درقاوي مختار" " والدّكتور "كمال عطاء الله" "والأسرة الكريمة" التّي رافقتني طيلة مشواري الدّراسي ولم تدخر جهدافي مساعدتي.

فجزى الله الجميع جزاء الأبرار.... آمين

إهداء

إلى والدي ...الذي أنار لي الطريق

إلى والدتي... منبع الدفء والحنان

إلى زوجي ... حفظه الله .

إلى إخوتي وأخواتي... ذخري وسندي في الحياة خاصة أختي الصّغيرة "فتيحة "

إلى كل الأسرة الكريمة: بربري ، نقاز.

إلى كل الزملاء والزميلات.

إلى كل من علمني.

إلى كل من يعرفني.

كميلة

من أحبّ اللّه تعالى أحبّ رسوله محمّدا صلى اللّه عليه وسلّم، ومن أحبّ الرسول العربيّ أحبّ العرب، ومن أحبّ العرب أحبّ العربيّة الّتي بها نُزّل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحبّ العربيّة عُنِي بها وثابر عليها وصرف همّته إليها.

فقه اللّغة وسرّ العربية، أبي منصور الثعالبي.

مـــقدّمـــــة

الحمد لله الموصوف بصفات الكمال ، و المنزّه في جلاله من الشّبه والمثال ، فسبحانه من إله نطقت بوحدانيته عجائب مخلوقاته ، وشهدت على تنفيذه مراده عجائب مصنوعاته ، وأحمده تعالى على ما خصّنا به من نعم وآلائه ، وأستجير به من عقابه الأليم وبلائه ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله ونبيّه وخليله وحبيبه ، أرشد أمّته إلى الإيمان وحذّرها من مخالفة الملك الديّان ، صلى الله عليه بكلّ ما يرضاه وعلى آله وصحبه ومن ولاه .

وبعد:

فإنّ اللّغة العربيّة التّي أنزل الله بها آخر كتبه ، وجعلها لسان خاتم أنبيائه ورسله ، لهي أسمى لغة على وجه المعمورة ، ذلك أنّها تستمد قوّتها وجمالها من الدّين الذي ارتبطت به ، ناهيك عن الخلود الذي خصّها به سبحانه إذ تعهّد بحفظ القرآن ، وبه تحفظ اللّغة العربيّة .

ولتحقيق مراد الله سبحانه وتعالى المتمثّل في حفظ القرآن الكريم واللّغة العربيّة التّي نزل بها شُغِل العلماء المسلمون بدراسة اللّغة العربيّة من شتّى النّواحي ، ما أدّى إلى ظهور العلوم المتعلّقة بها ، ولعلّ أشهر هذه العلوم التّي تبحث في كلّ ما يتّصل بالقرآن الكريم من حيث الشّكل والمضمون ، والأداء والتّرتيل . ولما كان موضوع علم الدّلالة من أهمّ الموضوعات الحيويّة الذي يعدّ بحق دعامة لكلّ العلوم العربيّة الأخرى ، وقانونها الأعلى ، فمنه تستمدّ العون ، وتستلهم القصد ، وترجع إليه في جليل مسائلها ، وفروع تشريعاتها ، ولن تجد علما يستقلّ بنفسه عنه ، أو يستغني عن مسيرته ، أو يسير بغير نوره وهداه ، فهو المجال الأكثر ولوجا من الباحثين لتعلّقه بكلّ ما يخصّ المعنى .

ولأهميّة هذا العلم ارتأيت أن أجعل موضوع رسالتي محيطا به ذلك أنّي اخترت "سياق الحال "، وهو موضوع متولّد عنه ، وله من الأهميّة الكبيرة ما يجعله يشغل عدد كبير من المهتمين باللّغة العربية ، وخاصة الجانب البلاغي ، وهذا ما جعلني أربط في موضوعي الذي اخترته بين سياق الحال من

جهة، والبلاغة العربيّة من جهة أخرى . فجاء العنوان على النّحو التّالي : دلالة سياق الحال في البلاغة العربيّة – نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدّين الرّازي نموذجا- .

أمّا دوافع اختياري لهذا الموضوع فتمثّلت فيما يأتي :

- شغفي بالاطّلاع على كتب الإعجاز ، خاصّة لتعلّقها بالجانب القرآني .

- المساهمة في خدمة علم من علوم العربيّة وهو علم الدّلالة .

- إثراء المكتبة العربيّة ببحث في علم الدّلالة لكونه من أجلّ العلوم وأشرفها خدمة للقرآن الكريم .

- كون الموضوع أسال حبر الكثير من الباحثين العرب على اختلاف نظرتهم إلى هذا الموضوع، فوجدنا في هذا الثّراء ما يلبّي اهتمامنا وتعلّقنا بالبحث فيه ن وتقصي الحقائق ومكنونات هذه المصطلحات .

وتأتي أهميّة البحث من أهميّة كتاب " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز " وذلك لقيمته العلميّة ، والشّهرة التّي حظي بها هذا الكتاب واحتلّها في الدّراسات البلاغيّة ومكانته التّراثيّة ، بالإضافة إلى الأثر البالغ الذي تحدثه الدّلالة ، خاصّة وأنّ دلالة الكلمة تختلف باختلاف الأسيقة التّي ترد فيها ، وإنصاف العالم "فخر الدّين الرّازي" الذي تفرّد عن أترابه في حقل المعرفة اللّغويّة، وكذا إعطاء قيمة علميّة محترمة تقدّر التّراث وأعلامه ، وإنارة بعض جوانب البحث البلاغي والدّلالي للباحثين التّي اعتراها بعض الغموض ، لكي تكون منطلقا مضيئا، لمكنوناتهم المعرفيّة .

وتتمثّل الإشكاليّة التّي أحرص على البحث فيها في الأسئلة الآتية: ما المقصود بسياق الحال ؟ وما أهميّته في الدّرس البلاغي ؟ وهل السّياق كلفظ ظهر عند العلماء العرب القدامى أم تمخّض عن الاحتكاك بالغرب ؟ وإلى أيّ مدى يمنح السّياق الألفاظ دلالات جديدة ؟ وما مدى حرص فخر الدّين الرّازي على توظيفه في كتابه " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز "؟.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف والغايات ، رسمت بحثي على خطة مكوّنة من مقدّمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

فانطلقنا من مقدّمة كانت سابقة يليها مدخل جاء تحت (عنوان أثر كتب الإعجاز في إثراء الدّرس الدّلالي والبلاغي)، تناولنا فيه الإعجاز عند القدماء: الخطابي والرّماني و الباقلاني و بالإضافة إلى أنواع الإعجاز .

أمّا الفصل الأوّل فخصصناه (لمفهوم السّياق ، وأنواعه في الممارسة التّراثية)، عرّفنا فيه على السّياق في اللّغة والاصطلاح ، بالإضافة إلى السّياق عند القدامى ، تعرّضنا فيه إلى السّياق عند الأصوليين و السّياق عند البلاغيين والسّياق عند البلاغيين و السّياق عند النّحاة . وتطرقنا أيضا إلى السّياق عند المحدثين ، ثمّ السّياق في الدّرس اللّساني الغربي الحديث ، وختمنا الفصل بأنواع الأسيقة عند المحدثين، وأهم الانتقادات الموجهة للنّظرية السّياقية .

والفصل الثّاني جاء بعنوان (تقديم عن سياق الحال) ، عمدنا فيه إلى التّعريف بفخر الدّين الرّازي، ثمّ التّعريف بكتاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، ثمّ تعرضنا إلى مفهوم سياق الحال عند القدامى ن كما تطرقنا أيضا إلى أهميّة سياق الحال في الوقوف على المعنى عند فخر الدّين الرّازي ، كما أشرنا إلى الدّلالة اللّفظيّة والمعنويّة عنده من خلال كتابه نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز .

و أمّا الفصل الثّالث فتناولنا فيه التّصوّر البلاغي عند فخر الدّين الرّازي في كتابه " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز "، تعرّفنا أولا على علم المعاني ، تطرقنا فيه إلى المباحث الآتية : التّقديم والتّأخير و الإيجاز والإطناب والمساواة و التّعريف والتّنكير و أسلوب القصر والفصل والوصل و ثانيا : علم البيان بيّنا فيه ما ورد عند الرّازي من استعارة و تشبيه ومجاز وكناية ، بالإضافة إلى ذلك تعرّفنا على منهج الرّازي في دراسة البديع من خلال بعض النّماذج من جناس وسجع .

في حين تضمنت الخاتمة أهمّ الملاحظات والنّتائج التّي توصّلنا إليها من خلال هذا البحث.

وقد اتّبعنا في هذا البحث قصد الإحاطة بأهمّ جوانب الموضوع على المنهج الوصفي القائم على آليات التّحليل والتركيب والاستنباط والإحصاء الذي أسقطناه في الجانب التّطبيقي أثناء عرض المصطلحات وشرحها .

وإن كان البحث العلمي لا يخلو من الصّعوبات فأوّل ما واجهتنا في إنجاز هذا البحث اتّساع الموضوع، وتشابك عناصره ، وتعدّد النّظريات التّي عالجته ، بالإضافة إلى الصّعوبات التّي تكبدتّها ، والمشقّة التّي واجهتنا من صعوبة التّنقيب عن المعلومات المتناثرة بين ثنايا هذا الكتاب وطيّات آخر.

ومع ذلك فقد كانت بعض الكتب سراجا منيرا اهتدينا بها في مسيرة هذا البحث ، أذكر منها على سبيل الذّكر أواسط البلاغة العربيّة لمصطفى الجويني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرّماني والخطّابي، وعبد القاهر الجرجاني ، نظريّة السّياق دراسة أصوليّة لنجم الدّين قادر كريم الزّنكي و علم الدّلالة لأحمد مختار عمر، دلالة السّياق لردّة الله بن ردّة الطّلحي . بالإضافة بعض المعاجم مثل معجم لسان العرب لابن منظور، وأساس البلاغة للزّمخشري ، المحيط لفيروز أبادي ، والصّحاح للجوهري التّي ساعدتني كثيرا في شرح ما جاء صعبا من المفردات ، كما استعنّا أيضا ببعض المجلاّت العلميّة والرّسائل الجامعيّة .

وفي الأخير أدين بالشّكر الجزيل للأستاذة المشرفة (راضية بن عريبة) التّي أضاءت لي جوانب هذا البحث ، ولم تبخل عليّ بنصائحها وتوجيهاتها السّديدة ، وملاحظاتها القيّمة .

كما لا يفوتني أيضا أن أتوجّه بالشّكر والعرفان إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين سيكسبون هذا البحث قيمة أخرى بتوجيهاتهم وآرائهم، ونتمنى أن يلقى هذا البحث القبول من أعضاء اللّجنة الموقّرة ويكون مرجعا يضاف إلى المكتبة .

والله من وراء القصد وهو يهدي السّبيل.

الطّالبة الباحثة : بربري كميلة

يوم 26-08-2020م

مدخل : أثر كتب الإعجاز في إثراء الدّرس البلاغي .

1- الإعجاز دراسة تأصيليّة في المصطلح والمفهوم .

2- الإعجاز عند القدماء .

3- الإعجاز عند المحدثين .

4- أنواع الإعجاز.

1- الإعجاز دراسة تأصيلية في المصطلح و المفهوم :

مما يحرص المسلم على تعلمه كلّ ماله علاقة بدينه ولغته ، وموضوعنا في هذه الصّفحات هو الإعجاز لارتباطه بكتاب الله عزّ وجلّ ، فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [1]، وقال أيضا ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [2].

فالقرآن هو كلام الله تعالى الذي أنزله على خير الأنام رحمة وشفاء للعالمين، كما أنّه الدستور الأعلى للدّولة الإسلامية التّي ينظم حياة النّاس ، فلا جرم أن يكون معجّزا ، وهو الذي عجزت أفصح العرب عن الإتيان بمثله.

والإعجاز القرآني من المواضيع التّي شغلت علماء الفكر الإسلامي على مرّ العصور، ولا تزال تشغله حتّى عصرنا الحاضر فاختلفت النّظرة إليه باختلاف الباحثين، وقبل الخوض في ثنايا هذا الموضوع لا بدّ أن نؤصّل أوّلا لمصطلح الإعجاز في بعض المعاجم اللّغويّة .

أ- الدّلالة اللّغوية لمصطلح الإعجاز :

نتوقف هنا عند الدّلالة اللّغوية لمصطلح الإعجاز من خلال استعراضه في جملة من المعاجم فقد ورد في لسان العرب: " العجز نقيض الحزم "، والعجز: "الضُّعف، والمعجزة "بفتح الجيم وكسرها ، مفعلة من العجز: عدم القدرة وفي الحديث ، كل شيء بقدر حتّى العجز والكيّس . وقيل :أراد بالعجز: ترك ما يجب فعله بالتّسويف "[3]. وهو علم في أمور الدّين والدّنيا .

وورد أيضا في أساس البلاغة للزّمخشري ت (538هـ): " لا تلثّوا بدار معجزة وطلبته فأعجز وعاجز إذا سبق فلم يدرك ، وإنّ ليعاجز إلى ثقة ، وفلان عاجز عن الحقّ إلى الباطل أي يميل إليه

---

[1]- سورة الحجر : الآية : 09

[2]- سورة النّساء : الآية : 82

[3]- لسان العرب- ابن منظور – بيروت – لبنان – دار إحياء التّراث العربي – ط3- 1999- (مادّة عجز) .

ويلتجئ , وإنّه لمعجوز مثمود، وهو من عاجزته أي سابقته فعجزته ، وولد فلان لعجزة ، بعد ما كبر أبواه وهو العجزة ابن العجزة "[1] .

أمّا ابن فارس (ت 395 هـ) فقال : (ع ج ز)" العين والجيم والزّاي أصلان صحيحان يدلّ أحدهما على الضّعف والآخر مؤخّر الشّيئ" [2].

"وعجز عن الشيء عجزا من باب (ضرب) و(معجزة) بالهاء وحذفها ، ومع كل وجه فتح الجيم وكسرها ضعف عنه . و(عجز) (عجزا) من باب تعب ....." [3]

وورد أيضا في معجم الوسيط إشارة إلى الإعجاز في مادّة (عجز) : " عجزت المرأة كبرت وأسنت عن الشّيء، عجز لم يكن حازما ، وعن العمل كبر فهو عاجز ، عجز ، وعجزة (عجز) الرّجل أو المرأة عجزا وعظمت عجيزته ، فهو أعجز ، وهي عجزاء (ج) عجز "[4].

وقال الرّازي(ت666هـ) : "(العجُز) : بضم الجيم مؤخّر الشّيء ، ويؤنث وهو للرجل والمرأة جميعا وجمعه أعجازا والعجيزة للمرأة خاصّة ، و(العجز) الضُّعف (.....) و(عجزت) المرأة صارت عجوزًا ، و(عجزت) من باب طرب و(عجزا) بوزن قفل عظمت(عجيزتها) وامرأة عجزاء بوزن حمراء عظيمة العجز (...)"[5].

---

[1] – أساس البلاغة– الزّمخشري – تح محمد باسل عيون السّود – بيروت – دار الكتب العلمية – ط1–1419–1998– ج1–ص635.

[1] – أبو الحسن أحمد بن فا رس – مقاييس اللّغة – تح محمد هارون – لبنان – دار الفكر – (دط)– 1399– 1979–ج4 – ص232.

[3] – المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير للرّافعي – أحمد بن محمد بن علي المغربي الفيومي – تح عبد العظيم الشّناوي – القاهرة – دار المعارف – ط2 – دت – ص393.

[4] – المعجم الوسيط – مجمع اللّغة العربية –القاهرة –دار الدّعوة – دت – دت– ج2– ص585.

[5] – مختار الصّحاح زين الدّين الرّازي تح : يوسف الشيخ محمد – بيروت – صيدا المكتبة العصرية – الدار النّموذجية –ط5– 1420–1999– ج1– ص200.

إنّ المتفحّص لهذه التّعريفات اللّغويّة لمصطلحي (العجز) و(الإعجاز) الذي هو مصدر الفعل(أعجز) يتبدّى له بوضوح أنّ المعنى مشترك ومتقارب بينهما ، فكلاهما لا يخرج عن دلالة الضّعف ، وعدم القدرة على الشّيء .

ب- الدّلالة الاصطلاحية :

لا يختلف المعنى الاصطلاحي كثيرا عن المعنى اللّغوي ، وهذا ما سنلاحظه من خلال الآتي :

يعرّف الإعجاز : " بأنّه ما كان من إظهار (عجز) مشركي العرب عن الإتيان بسورة من مثل هذا القرآن ، منوط بكلمة التّحدّي الذي وضعه المتكلمون للدّلالة على ما كان من أمر مشركي العرب ، حين طولبوا بالإتيان بسورة من مثله ، فانقضت السّنون ، فلم يأتوا بشيء مما طولبوا به ، فإن لم يفعلوا فقد ظهر منهم العجز "[1].

مصطلح الإعجاز هنا ارتبط "بمصطلح التّحدّي"، فعجز العرب وعدم قدرتهم على الإتيان بمثله رغم فصاحتهم وبلاغتهم أثبت ضعفهم. وعدم قدرتهم عن المعارضة؛ أي عجزهم.

والإعجاز شيئان: " ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ، ومزاولته على شدّة الإنسان واتّصال عنايته في ذلك ، ثمّ استمرار هذا الضّعف على تراخي الزّمن وتقدّمه ، فكأنّ العالم كلّه في العجز إنسان واحد ليس غير مدّته المحدودة بالغة ما بلغت ، فيصير من الأمر المعجز إلى ما يشبه في الرّأي مقابلة أطول النّاس عمرا بالدّهر على مداه كلّه ".[2]

[1]- مداخل إعجاز القرآن – أبو فهم محمود محمد شاكر – مصر – مطبعة الهدى المؤسّسة السّعوديّة – دط – دت – ص28

[2]- إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة – مصطفى صادق الرافعي – بيروت – لبنان – دار الكتاب العربي – 1410هـ – دط- 1990م – ص139.

وذكر عبد القاهر البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) تعريف نسبه لأهل السّنة قال فيه : " وقالوا : "إنّ المعجزة أمر يظهر بخلاف العادة على يدي مدعي النّبوّة ، مع تحديه قومه بها ، ومع عجز قومه عن معارضته بمثلها على وجه يدلّ على صدقه في زمان التّكليف ".[1]

عدّ هذا التّعريف شروطا وحدودا تظهر مخالفة العادة والتحدّي والعجز عن المعارضة لإثبات النّبوّة.

وكذا جاء المعنى عند القرطبي (ت 671هـ) لكنّه امتاز بوضع شروط موضعه كحدّ الإعجاز حيث قال " والمعجزة : واحدة معجزات الأنبياء الدّالة على صدقهم ، وسمّيت معجزة لأنّ البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها ، وشرائطها خمسة فإن اختلّ شرط لا تكون : [2]

1- أن تكون مالا يقدر عليه إلاّ الله .

2- أن تخرق العادة .

3- هو أن يستشهد بها مدّعي الرّسالة على الله عزّ وجلّ

4- هو أن تقع على وقف دعوى المتّحدي بها ، والمستشهد بكونها معجزة له .

5- ألاّ يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدّي على وجه المعارضة .

أمّا حدّ الإعجاز عند علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت 816هـ) هو :" أن يؤدّى المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطّرق ."[3]

[1]- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة النّاجية منهم ن عقائد الفرق الإسلامية وآراء كبار أعلامها – أبي منصور عبد القاهر بن الطّاهر بن محمد البغدادي –تح : محمد عثمان الخشين – مكتبة ابن سينا – دط- دت- ص 296.

[2]- الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمّنه من السّنّة وآي الفرقان – القرطبي –تح : عبد الله بن عبد المحسن التّركي – بيروت – لبنان – مؤسّسة الرّسالة - ط1-1427-2006- ج1-ص 122-123-124.

[3]- التّعريفات – علي بن محمد بن الشّريف الجرجاني – تح : ودراسة محمد صدّيق المنشاوي- دار الفضيلة – دط دت- ص 30.

ويقول نعيم الحمصي في هذا المعنى : " ولم يرد في القرآن لفظ معجزة أو إعجاز وإنّما جاء فيه ألفاظ آية وبرهان وسلطان . وهذه الكلمات لا ترادف كلمة معجزة ، ولا تشمل معنى الإعجاز المفهوم منها ، وإنّ ما تدلّ على جزء من معناها الذي يشمل أكثر من معنى جزئي واحد ، وهذا الجزء يقابل كلمة الدّليل أو الحجّة (.....)، أمّا كلمة معجزة فتدلّ على أمر خارق للعادة يكون دليلا على نبوّة أحد الأنبياء دون غيره ، ويعجز غيره من الخلق الإتيان بمثله "[1] .

وهي أيضا : "أمر خارق للسّنّة التّي أودعها الله سبحانه وتعالى في الكون ، ولا تخضع للأسباب والمسبّبات ، ولا يمكن لأحد أن يصل إليها عن طريق الجهد الشّخصي ، والكسب الذّاتي ، وإنّما هي هبة من الله سبحانه وتعالى يختار نوعها وزمانها ليبرهن بها على صدق رسول الله الذي أكرمه بالرّسالة ".[2]

لم يرد في القرآن الكريم أو السّنة النّبويّة الشّريفة مصطلح الإعجاز، وإنّا وردت مصطلحات أخرى، ولكنّها لا تدّل على المعنى الحقيقي المفهوم منه (الإعجاز) ، وإنّما تشاركه في بعض المعاني فقط ، ويبقى المعنى الأصليّ للكلمة مستمد من التّعريف اللّغوي .

أمّا المصطلح (الإعجاز) "فقد ظهر في وقت متأخّر بعض الشيء عندما دوّنت العلوم في أواخر القرن الثّالث للهجرة " [3].

ويطول الحديث في هذا الشّأن للتّفريق بين الإعجاز والمعجزة : " (لفظ الإعجاز) في قولنا (إعجاز القرآن) ، ولفظ (المعجزة) في قولنا معجزات (الأنبياء) ، و كلاهما لفظ محدث مولد وبيقين

[1]- فكرة إعجاز القرآن من البعثة النّبويّة إلى عصرنا الحاضر – نعيم الحمصي- بيروت –لبنان- مؤسسة الرّسالة – ط2 – 1400هـ-1980م- ص08.

[2]- مباحث في إعجاز القرآن – مصطفى مسلم – الرّياض – دار مسلم للنّشر والتّوزيع – ط2- 1416هـ- ص15.

[3]- مداخل إعجاز القرآن – محمود محمد شاكر – ص08.

قاطع لا نجدهما في كتاب الله، ولا في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أجدهما في كلام أحد من الصّحابة التّابعين ومن بعدهم إلى أنْ انقضى القرن الأول من الهجرة والقرن الثّاني ".[1]

وهذا ما تمّت الإشارة إلية سابقا .

أمّا الباقلاني فقد عقد في الفصل الثّامن من كتابه كيفية الوقوف على الإعجاز القرآني يقول: " وإعجاز القرآن لا يخفى على العربيّ البليغ الذي قد تناهى في معرفة اللّسان العربيّ ، ووقف على طرقها ومذاهبها ، ولا يشتبه على أحد ذي بصيرة ، ولا يخيّل عند أخي ذي معرفة ،وأمّا من لم يبلغ في الفصاحة الحدّ الذّي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ، ووجوده تصرف اللّغة وهو كالأعجمي في أنّه لا يمكن أن يعرف إعجاز القرآن إلاّ بأن يعلم أنّ العرب قد عجزوا عنه ، وإن عجز هؤلاء فهو عنه أعجز "[2].

فأمّا "البليغ الذي قد أحاط بمذاهب العربية وغرائب الصّنعة فإنّه يعلم من نفسه ضرورة عجزه عن الإتيان بمثله ، ويعلم عجز غيره بمثل ما يعرف عجز نفسه ، كما أنّه إذا علم الواحد منّا أنّه لا يقدر على ذلك ، فهو يعلم عجز غيره استدلالا"[3].

يقترب هذا التّعريف الاصطلاحي في معناه من التّعريف اللّغوي ،الذّي يدّل على الضّعف وعدم القدرة على الإتيان بمثل القرآن ولو اجتمعت العرب قاطبة .

ويشرح الخطابي في كتابه " بيان إعجاز القرآن " أنّ القرآن إنّما صار معجزا لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التّأليف ، مضمّنا أصحّ المعاني ، ثمّ يؤكّد على أهمية النّظم العنصر الجوهري

[1]- مداخل إعجاز القرآن – محمود محمد شاكر – ص19.

[2]-ينظر إعجاز القرآن – أبي بكر محمد بن الطيّب الباقلاني – تح : أحمد صقر – مصر القاهرة – دار المعارف- ط3 – دت – ص 78

[3]- المرجع نفسه ص393.

في الأسلوب الفنّي ، ومن ثمّ فهو يحتاج أكثر من غيره من عناصر ذلك الأسلوب الحذق والفطنة وسعة الثّقافة [1].

فالقرآن الكريم معجزة الرسول – صلى الله عليه وسلم الخالدة – الذي أعجز العرب رغم فصاحتهم وبيانهم عن معارضته والإتيان ولو بسورة من مثله ، وذلك لروعة بيانه وبلاغته وأسلوبه الفنّي .

أمّا التّعريف الذي تفرّد به أبو إسحاق النّظام (ت231هـ) اللّغوي المعتزلي ثمّ تبعه بعض النّاس في ذلك من فرقته وجماعته "أنّ القرآن كتاب صَرَف* الله قدرات عباده وسلب همّتهم ، وحبس ألسنتهم عن الإتيان بمثله."[2]

وقد ردّ على هذا القول وسخر منه الكثير من الباحثين منهم "الجاحظ "و "الباقلاني "الذي يقول: " إنَّ القرآن معجّز على أصولنا ، أنّ لا يقدر العباد عليه ، وقد ثبت أنّ المعجّز الدّال على صدق النّبيّ- صلى الله عليه وسلم - لا يصحّ دخوله تحت قدرة العباد ، وإنّما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليه ، ولا يجوز أن يقدر على ذلك ، وأن لم يصحّ وصفنا بأنّا عاجزون عن ذلك حقيقة وكذلك معجزات سائر الأنبياء على هذا (.....) وإنّما لا يقدر العباد على الإتيان بمثله لأنّه لو صحّ أن يقدروا عليه بطلت دلالة المعجز ".[3]

---

[1]- علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم – حسن طبل –مكتبة الإيمان – المنصورة – ط2-1425 -2004- ص23.

[2]- الإعجاز البياني في القرآن الكريم - دراسة نظرية تطبيقية في الآيات المحكمات – عمار ساسي – جدارا للكتاب العالمي – ط1-2007- ص 69.

*- ينسب القول بالصّرفة إلى علم من أعلام المعتزلة هو إبراهيم النظّام (ت231)قال : " إنّ العرب إذا عجزوا عن أن يأتوا بمثل القرآن ما كان عجزهم لأمر ذاتي من ألفاظه ومعانيه و، بل كان الله صرفهم عنه أن يأتوا بمثله ، من كتاب قضايا اللّغة في كتب التّفسير، المنهج ، التّأويل الإعجاز – الهادي الجطلاوي – صفاقص – دار محمد علي الحلمي – ط1 – 1998 –ص399.

[3]- إعجاز القرآن – الباقلاني – ص 436.

على هذا نصل إلى أنّ مصطلح (الإعجاز) ارتبط ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم ، رغم تتعدّد التّعريفات واختلافها عند أهل العلم في ضبطه ، فقد ربطه البعض بالبلاغة والبيان ، والبعض الآخر بالتّحدي ، إلاّ أنّ التّعريف الجامع بينها هو ضعف العرب وعجزهم وعدم قدرتهم على الإتيان بمثله سواء كانوا مجتمعين أو متفرّقين ، فهو معجّز بالمعنى الذي يفهم من المصطلح على إطلاقه .

2- الإعجاز عند القدماء :

النّاظر في تاريخ المصطلح يلحظ أنّ كلمة الإعجاز بهذه الصّفة والحروف لم تظهر في عهد النّبوّة ولم يتداوله الصّحابة أنفسهم كما ذكرنا ذلك سالفا.

أمّا الصّيغة البيانية القرآنية الدّالة على معنى هذا المصطلح (الإعجاز) وردت في العديد من المواطن ومنه قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [1]

كما نجد في القرآن الكريم صفة (معجزين)، وذلك في العديد من الآيات القرآنية نذكر منها : على سبيل المثال لا الحصر : قولة تعالى:﴿ **إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ** ﴾[2].

وكان أول ما ظهر من الكلام في القرآن الكريم مقالة تُعزى إلى رجل يهودي يسمّى لبيد بن الأعصم فكان يقول : "إنّ التّوراة مخلوقة ، فالقرآن كذلك مخلوق ، ثمّ أخذها عنه طالوت ابن أخته وأشاعها ، فقال بها بنان بن سمعان الذي إليه تنسب البنانية ، وتلقاها عنه الجعد بن درهم "[3] .

---

[1]- سورة الإسراء الآية 88.

[2]- سورة الأنعام 134.

[3]- إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة – مصطفى صادق الرّافعي – راجعه وعلّق عليه الشيخ زياد حمدان – مؤسّسة الكتب الثّقافية – ط1- 1435-2004 –ص 117 .

أمّا أوّل من جوّد الكلام في هذا المذهب ، وصنّف فيه أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المتوفّى سنة (306هـ) وكان ذلك في إعجاز القرآن وسمّاه (إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه)[1].

ثمّ تتابع التّأليف في هذا الفنّ "منفردا عن غيره من علوم البلاغة أو غيرها، وأحيانا مقرونا بسائر علوم القرآن."[2]

وقيل إنّ الجاحظ المتوفّى سنة (255هـ) كتب "كتاب نظم القرآن " وهو" أوّل كتاب أفرد لبعض القول في الإعجاز. ومن أهمّ تصانيفه الأدبية ، وذات الصّلة المباشرة بالبلاغة والإعجاز والبيان". [3]

وقد ألفه أولا وأشار إليه في مقدّمة كتابه الحيوان ، وهو من الكتب الضّائعة ". [4]

الجاحظ في مقدّمة العلماء والباحثين الذين درسوا البلاغة والإعجاز والبيان ومنحوه من الأهميّة ما تدّل عليه مؤلفاتهم .

وقد أشار إليه الباقلاني في كتابه " إعجاز القرآن " إذ يقول : "وقد صنّف الجاحظ في نظم القرآن كتابا لم يزد فيه على ما قاله المتكلّمون قبله ، ولم يكشف عمّا يلتبس في أكثر هذا المعنى "[5] .

وقد ذهب العلامة "محمود شاكر" إلى ما ذهب إليه الرّافعي من أنّ الجاحظ أوّل من أسّس لعلم الإعجاز في كتابه (نظم القرآن) حيث يقول :"إنّ جميع من ألّف في إعجاز القرآن ذكر لأبي عثمان كتابا ردّ فيه على المعتزلة أبي إسحاق النّظام وهو كتاب ألّفه قبل كتاب "حجج النّبوّة "[6] .

---

[1]- إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة – مصطفى صادق الرّافعي ـــص 118 . وينظر: إعجاز القرآن –أبي بكرمحمد بن الطّيب الباقلاني – ص10

[2]- إعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيمية مع المقارنة بكتاب إعجاز القرآن للباقلاني – محمد بن العزيز العواجي – تقديم حكمت بن بشير بن ياسين ومحمد عمر عبد الله حوية – الرّياض- مكتبة دار المنهاج - ط 1 – 1427هـ.- ص 101.

[3]-- إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة – مصطفى صادق الرّافعي - ص124.

[4]- مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم – محمد رفعت أحمد زنجير- دبي- ط1- 1428هـ -2008 م – ص63.

[5] -إعجاز القرآن – أبي بكر محمد بن الطّيّب الباقلاني – ص8.

[6]- مداخل إعجاز القرآن – محمود محمد شاكر- ص 27-28.

و"ما بقي من الكتب المؤلّفة في القرن الرّابع عن إعجاز القرآن ، ثلاثة كتب أوّلها : كتاب الرّماني ، وثانيها كتاب الخطّابي ، وثالثها كتاب الباقلاني " [1].

1-2 الإعجاز عند الرّماني:

أ- التّعريف بالإمام الرّماني: (ت384هـ)

هو "علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرّماني أبو الحسن الوراق ، ولد عام276هـ ، كان إماما في علم العربية علاّمة في الأدب في طبقة أبي عليّ الفارسي وأبي سعيد السيرافي" .[2]باحث معتزلي ، مفسّر ، فقيه أصولي ، من كبار النّحاة ،أصله من سامراء ، ولد بغداد ، وأخذ الأدب عن ابن السّراج ، وابن دريد والزّجاج ، وتخرّج في الكلام على يد أستاذه المعتزلي ابن الأخشيد .[3] توفي سنة (384هـ).[4]عن ناهز ثمان وثمانين سنة ، ودفن ببغداد.[5]

ب- مؤلفاته :

للرّماني العديد من التّصانيف في شتى العلوم منها: كتاب : " معاني الحروف " الذي بدأه بالحروف الأحادية ، ثمّ الثّنائية ، ثمّ الثّلاثية ، ثمّ الرّباعية ومنهجه فيه أن يعرض لذكر الحرف أ عامل أم هامل ؟ثمّ يبيّن استعمالاته المختلفة بناءا على ما ذكره النّحاة في ذلك ".[6]

---

[1]- إعجاز القرآن – أبي بكر محمد بن الطيّب الباقلاني –ص10.

[2]- معجم الأدباء – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب –ياقوت الحموي الرّومي – تح : إحسان عباس – بيروت – لبنان – دار الغرب الإسلامي –ج1-ط1-1993-ص1826.

[3]- تفسير أبي الحسن الرّمّاني (الجامع لعلم القرآن) – علي بن عيسى بن علي بن عبد الله – تح :خضر محمد نبها – تقديم رضوان السّيّد دار الكتب العلمية دط- دت - ص06.

[4] -ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في إعجاز القرآن للرّمّاني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني في الدّراسات القرآنية والنّقد الأدبي تح : محمد خلف الله ، محمد زغلول سلام – مصر – دار المعارف – ط3- دت- ص15.

[5]- معاني الحروف – أبي الحسن عليّ بن عيسى الرّماني –تح: عبد الفتّاح إسماعيل شلبي – جدّة – دار الشّروق للنّشر والتّوزيع –ط2- 1401هـ-1981م.ص 13.

[6] - زيادة الحروف بين التّأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم - هيفاء عثمان عباس فدا –القاهرة – مكتبة القاهرة للكتاب - ط1- 2000هـ- 1421هـ - ص265.

ومن كتبه أيضا نجد : [1]

❖ "تفسير القرآن المجيد" ، و كتاب "الحدود الأكبر" ، وكتاب" الحدود الأصغر" وكتاب "شرح الصّفات" ، وكتاب "شرح الموجز لابن السّراج "، وكتاب "شرح الألف واللام للمازني"، كتاب "شرح مت ختصر الجرمي" ، كتاب "إعجاز القرآن "، كتاب "شرح الأصول لابن السّراج "، وكتاب "شرح سيبويه"وكتاب "المسائل المفردة من كتاب سيبويه" ، كتاب شرح المدخل للمبرد، كتاب التّصريف ، كتاب الهجاء، كتاب "الإيجاز في النّحو" ، كتاب "الاشتقاق الكبير "، "الاشتقاق الصّغير" ، كتاب "الألفات في القرآن "، كتاب "شرح المقتضب" ، كتاب "شرح معاني الزّجاج "، النّكت في إعجاز القرآن".

لقد وقف الرّماني (ت 386 هـ) وقفة مطوّلة في رسالته (النّكت في إعجاز القرآن) عند "الإعجاز البياني في القرآن الكريم" ، فقد جعل البلاغة وجها من وجوه الإعجاز السّبعة عنده :" ترك المعارضة مع توفّر الدّواعي وشدّة الحاجة ، والتّحدّي للكافّة ، والصّرفة ، والبلاغة ، والأخبار الصّادقة والأمور المستقبلية ، ونقض العادة ، وقياسه بكلّ معجزة "[2].

والبلاغة عنده ثلاث طبقات قال: " منها ما هو أعلى طبقة ، ومنها ما هو في أدنى طبقة ومنها ما هو في الوسائط، بين أعلى طبقة وأدنى طبقة ، فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز وهو بلاغة القرآن ، وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من النّاس ."[3] يقصد بذلك أنّ القرآن الكريم في الطبقة الأولى ، لأنّه معجز ببلاغته .

[1] معجم الأدباء – ياقوت الحموي – ص1827.

[2] – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في إعجاز القرآن للرّمّاني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني في الدّراسات القرآنية والنّقد الأدبي – ص75.

[3] – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في إعجاز القرآن للرّمّاني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني في الدّراسات القرآنية والنّقد الأدبي – ص 75.

كما عرّف البلاغة " بأنّها إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللّفظ ، وأعلاها طبقة في الحس بلاغة القرآن". [1] فالرّماني يوجز البلاغة في أنّها نقل المعنى إلى القلب بأفضل شكل من أشكال التعبير، عن طريق الصّورة الجميلة من اللّفظ ، وأعلى طبقة منه بلاغة القرءان الكريم .

ثمّ قسّم البلاغة إلى عشرة أجزاء : "الإيجاز ، والتّشبيه ،والاستعارة ،والتّلاؤم ، والفواصل ، والتّجانس ، والتّصريف ، والتّضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان ." [2] إذ نجد الأخيرة تختص بالتّركيب أحيانا ، وبالتصوير أحيانا أخرى.

للرّماني إذن : محاولة جادّة للإلمام بموضوع الإعجاز والتّعرّف على وجوهه ، وربطه بالبلاغة ، حيث ركّز على الجانب البلاغي في القرآن الكريم لإبراز جانب الإعجاز فيه ،كما قسّم البلاغة إلى عشرة أقسام ، وهي عنده أداة أو وسيلة توصل المعنى المقصود إلى قلوب السّامعين في صورة تجتمع فيها الجودّة والحسن وآيات الجمال .

2-2- الإعجاز عند الخطابي:

أ- التّعريف بالخطّابي :(ت323هـ)

"أبو سليمان حمد ويقال أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خطّاب البستي المعروف بالخطّابي، ولد سنة (319 هـ) ،كان فقيها ، وأحد المشاهير الأعيان" .[3]

وهو "من أعلام الفكر الإسلامي في القرن الرّابع الذين امتازت كتبهم بغزارة المادّة ،وعمق الفكرة، ودقّة الاستنباط وظهرت فيها شخصيتهم واضحة المعالم ، بيّنة القسمات .توفيّ سنة (323هـ)".[4]

---

[1]- إعجاز القرآن – أبي بكر محمد بن الطيّب الباقلاني- ص11.

[2]- المرجع نفسه – ص11.

[3]- ينظر: البداية والنّهاية –أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي – بيروت –لبنان- مكتبة المعارف – دط- 1412-1991-ج 11 – ص 346. وينظر أيضا : طبقات الشّافعية – الأسنوي - تح : عبيد الله الجبوري –الرّياض- دار العلوم للطّباعة والنّشر- دط- 1401هـ -1988م –ص467.

[4]- إعجاز القرآن – الباقلاني –ص12-13.

ب- **مؤلفاته** :له من المصنّفات : [1]

كتاب "غريب الحديث" و"معالم السّنن في شرح سنن أبي داود" ، و"أعلام السّنن في شرح البخاري " ،و"إعجاز القرآن وهو أصغرها حجما ".

ويعتبر الخطابي أحد علماء الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، "ورسالته المنشورة ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن متضمّنة لأسرار الإعجاز القرآني "[2].

و"التّي تبدو من أولها أنّه قرأ كلّ ما كُتِب حول إعجاز القرآن الكريم وفهمه فهمًا عميقًا أصدر رأيه فيه صريحا واضحا" [3].فيقررُ الخطابي "أنّ النّاس ذهبوا قديما وحديثا في الموضوع كل مذهب من القول ولم يصدر عن ريّ"[4].

كما يناقش "فكرة الصرفة ، وفكرة تضمن القرآن للأخبار المستقبلية ، ولا يرتضيها شرحا لأسرار الإعجاز "[5].

ثمّ "ينتقل إلى موضوع البلاغة ،ويعيب على القائلين بها اعتمادهم على التّقليد ، وعدم تحقيق قصور كلامهم على الإقناع .فالبلاغة عنده ثلاثة أقسام ":[6]

1- "**القسم الأول** : أعلى طبقات الكلام وأرفعه: وهو الذي يتضمن الكلام البليغ الرصين الجزل.

---

[1]- زيادة الحروف بين التّأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم هيفاء عثمان عباس فدا-ص126.

[2]- المرجع نفسه – ص 126.

[3]- ينظر : قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة – عبد العزيز عبد المعطي عرفة – بيروت – عالم الكتب ط1-1405-1985- ص389- 390 .

[4]- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في إعجاز القرآن للرّمّاني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني في الدّراسات القرآنية والنّقد الأدبي- ص13.

[5]- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في إعجاز القرآن - للرّمّاني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني– ص 14.

[6]- المرجع نفسه –ص26.

2- **القسم الثّاني**: أوسطه وأقصده ، وهو الذي يتضمّن الكلام الفصيح القريب السّهل .

3- **القسم الثالث**: أدناه وأقربه وهو الذي يتضمّن الكلام الجائز الطلق المرسل .

ويقرّر "أنّ بلاغات القرآن الكريم قد أخذت كلّ قسم حصة ، ومن كلّ نوع شعبة فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع بين الفصاحة والعذوبة " .[1]

ولم يقف الخطابي عند البلاغة فقط في كشف سرّ إعجاز القرآن بل تجاوزها إلى توضيح مفهوم النّظم بقوله : "وإنّما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم ، وإذا تأمّلت القرآن وجدت هذه الأمور غاية في الشّرف والفضيلة حتّى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ، ولا أجزم ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا ،وأشدُّ تلاؤما و تشاكلا من نظمه ، وأمّا المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنّها هي تشهد لها العقول بالتّقدّم في أبوابها، والتّرقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها "[2] .

يمكن القول بأنّ النّظم "هو ما يجمع بين اللّفظ والمعنى دون الفصل بينهما ، على الوضع الذي يقتضيه العقل ، وهذا ما نلتمسه في القرآن الكريم الذي يسحر العقول ، ويفتن الألباب بجمال ألفاظه، وروعة أساليبه ، ومعانيه الرّاقية ، فالمتمعّن فيه ، والمتدبّر في آياته يدرك غاية الشّرف ، وقمّة الفضيلة"[3].

وفي جانب الإعجاز القرآني يشير الخطابي إلى نظم تّأليف القرآن ، وتركيبه ليبلغ حدّ الإعجاز بقوله : "لأنّه جاء بأفصح الألفاظ ، في أحسن نظوم التّأليف ، مضمّنا أصحّ المعاني من توحيد وتنزيه له في صفاته ، ودعاء إلى طاعته ، وبيان لطريق عبادته في تحليل وتحريم ، وحظر وإباحة ، ومن وعظ

[1]- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في إعجاز القرآن - للرّمّاني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني - ص.14.

[2]- المرجع نفسه- ص26.

[3]- إعجاز القرآن – أبي بكر محمد بن الطيّب الباقلاني - ص15.

وتقويم ، وأمر بمعروف ، ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق ، وزجر عن مساويها ، واضعا كلّ شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه(....)."[1]

2-3- الإعجاز عند الباقلاني :

أ- التّعريف بالباقلاني (ت403هـ):

" الإمام الباقلاني من أعلام القرن الرّابع الهجري ، وقد أدرك بداية القرن الخامس الهجري ويعدّ الباقلاني أوّل من ألّف في إعجاز القرآن كتابا مستقلا وصل إلينا."[2]

وهو"القاضي أبو بكر محمد بن الطيّب بن محمد بن جعفر بن القاسم، بالباقلاني ، البصري المتكلم المشهور ، كان على مذهب الشيخ الأشعري ، مؤيّدا اعتقاده وناصرا طريقته "، "رأس المتكلّمين على مذهبي الشّافعي ، وهو من أكثر النّاس تصنيفا في الكلام ، اختلفوا في مذهبه في الفروع ، فقيل شافعي ، وقيل مالكي ، وكان في غاية الذّكاء والفطنة ."[3]

توفيّ القاضي أبو بكر(403هـ) آخر "يوم السّبت ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد – رحمه الله تعالى – وصلّى عليه ابنه الحسن ، ودفنه في داره بدرب المجوس ثمّ نقل بعد ذلك ، فدفن في مقبرة دار حرب ."[4]

ب- مؤلفاته :

ترك الباقلاني العديد من المؤلّفات التّي تدلّ على غزارة علمه فكان يقال عنه: "أنّه لا ينام كلّ ليلة ، حتّى يكتب عشرين ورقة من مدّة طويلة من عمره ."[5]

---

[1]- إعجاز القرآن – أبي بكر محمد بن الطيّب الباقلاني –ص15.

[2]- مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن – محمد رفعت أحمد زنجير – دبي – ط1- 1428- 2008 – ص 85.

[3] - وفيات الأعيان أنباء أبناء الزّمان – ابن خلكان – تح : إحسان عباس – بيروت - دط– 1979- ج8- ص228.

[4]- البداية والنّهاية – ابن كثير – بيروت لبنان – مكتبة المعارف – 1412-1991- ج11- ص 350.

[5]- المرجع نفسه – ص350.

ومن تصانيفه :[1]

- "الإبانة عن إبطال مذهب أهل الكفر والضّلالة "
- "كشف الأسرار في الرّد على الباطنية"
- و" التّمهيد في الرّد على الملحدة المعطّلة و الرّافضة والخوارج والمعتزلة " و"مناقب الأئمة"، "هداية المسترشدين" ، "الانتصار للقرآن" ، "دقائق الكلام" ، "التّبصرة "، "الملل والنّحل" ، "الإنصاف فيما يجب اعتقاده، ولا يجوز الجهل به" ، "التّقريب والإرشاد في أصول الفقه "، "التّقريب والإرشاد الصّغير" ، "شرح اللّمع" ، "أمالي إجماع المدينة" ، "الإمامة الكبيرة" ،" الإمامة الصّغيرة "، "المقدّمات في أصول الدّيّانات "، "المقنع في أصول الفقه" ، "تمهيد الأوائل وتلخيص الدّلائل" ،" البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات "، "نكت الانتصار لنقل القرآن "، "الاستشهاد" ، "الكفّار المتأولين وحكم الدّار" ، "التّعليل والتّجريح "، "شرح أدب الجدل "، "الأصول الكبير في الفقه" ،" إعجاز القرآن ": "الذي يعدّ ذا منزع طريف في موازنته بين القرآن الكريم وكلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والصّحابة وفحول الشعر الجاهلي والإسلامي . " [2]

وسنفرد في بحثنا هذا بعض الصّفحات للحديث عن هذا الكتاب الذي يقول عنه محققه أحمد صقر : "وهو أوّل كتب الباقلاني نشرا وأشهرها ذكرا ، وهو أعظم كتاب ألّف في الإعجاز إلى اليوم ، وإن كره ذلك بعض المتعصّبين على المعهد العتيق "[3] .

ذكر الباقلاني في مقدّمته أنّ الذّين ألّفوا في (معاني القرآن) من علماء اللّغة والكلام لم يبسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزته ،والدّلالة على مكانه ، مع أنّ الحاجة إلى ذلك البيان أمسّ ، والاشتغال به أوجب ، فهو أحقّ بالتّصنيف من الجزء والطّفرة والأعراض وغريب النّحو وبديع الإعراب وأنّ ما صنفه العلماء في هذا المعنى جاء غير كامل في بابه "[4].

---

[1] – البداية والنّهاية – ابن كثير – ص 350.

[2] – أوساط البلاغة العربية ، مصطفى الجويني – دار المعرفة الجامعية – دط– 1999– ص68.

[3] – إعجاز القرآن – الباقلاني –ص67.

[4] –المرجع نفسه – ص 67.

هناك إشارة واضحة إلى أنّ هناك تقصيرا من جانب المؤلّفين في إثبات وجوه الإعجاز ، فهو لم يستحوذ على اهتمامهم بالقدر الذي يراه مناسبا ، رغم أنّ الحاجة إليه ملحّة، فيجب أن يكون شغلهم الشّاغل الذي يستنفذ كلّ طاقاتهم لأنّه أولى بالتّصنيف من النحو والإعراب .

ويكمل الحديث بقوله "لأنّ وجه الإعجاز ممّا لا يمكن بيانه إلاّ بعد التّقدّم في أمور عظيمة المقدار ، دقيقة المسلك ، لطيفة المأخذ ، فالجاحظ "صنّف في نظم القرآن كتابا لم يزد فيه على ما قاله المتكلّمون قبله ، ولم يلتبس في أكثر هذا المعنى "[1].

ومن أهمّ القضايا التّي جادت بها قريحة الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن ما يأتي :

❖ **الفصل الأوّل**: " بيّن أنّ نبوّة محمد – صلى الله عليه وسلم – مبنية على دلالة إعجاز القرآن، واستدلّ على ذلك بآيات كثيرة."[2] وقال : "إنّ ما من سورة من هذه السّور المفتتحة بذكر الحروف المقطّعة إلاّ وقد أشبع فيها بيان ذلك "[3].

❖ **الفصل الثّاني**: "عقده لبيان وجه دلالة معجزة القرآن على نبوّة النّبيّ – صلى الله عليه وسلّم– وبنى ذلك على أصلين" : [4]

1. وقوع العلم الضّروري بأنّ القرآن المتلوّ المحفوظ المرسوم في المصاحف ، هو الذي جاء به النّبيّ من عند الله تعالى ، وأنّه هو الذي تلاه عن من في عصره ثلاثا وعشرين سنة.
2. أنّه تحدّاهم إلى أن يأتوا بمثله وقرعهم على ترك الإتيان به طول السّنين فلم يأتوا بذلك.

[1]– إعجاز القرآن – الباقلاني – ص67،68

[2]– أوساط البلاغة العربية ، مصطفى الجويني – ص67 .

[3]– المرجع نفسه – ص67.

[4]– المرجع نفسه– ص68.

ثمّ يكشف الباقلاني " عن المعاني التّي استقصى أهل العلم الكلام فيها قبله ، وما جاء به بعدهم وذكر أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم عرف كون القرآن معجّزا حين أوحى إليه قبل أن يقرأه على غيره أو يتحدّى إليه سواه وأفاض في إبطال قول القائلين بالصّرفة ."[1]

- **الفصل الثّالث:** وفيه جملة من وجوه إعجاز القرآن ، وقد ذكر في مستهلّه أنّ الأشاعرة وغيرهم ذكروا في ذلك ثلاثة أوجه :[2]

❖ الوجه الأوّل : ما تضمنّه القرآن الإخبار عن الغيوب ، وذلك ممّا لايقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه .

❖ الوجه الثّاني : أنّه أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور ومهمّات السّير من حين خلق الله آدم إلى مبعثه ، مع أنّه كان أميّا لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ ، ولم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم .

❖ الوجه الثّالث : أنّه بديع النّظم ، عجيب التّأليف ، متناه في البلاغة إلى الحدّ الذي يعلم عجز الخلق عنه ، الذي قد أطلقه العلماء في هذا الوجه هو على هذه الجملة ، ، ونحن نفصّل في ذلك بعض التّفصيل،ونكتشف الجملة التّي أطلقوها فالذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمّن للإعجاز وجوه : منها ما يرجع إلى الجملة ، وذلك أنّ نظم القرآن على تصّرف وجوهه ، وتباين مذهبه خارج المعهود من نظام جميع كلامهم ، وتباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختصّ به ، ويتميّز في تصرّفه عن أساليب الكلام المعتاد " .

فإذا نظر النّاظر إلى كتاب الله العزيز يدرك هذه الخصوصيّة في نظمه وتأليفه ،وأسلوبه المتفرد ، وبذلك يخرج عن نظم الكلام العادي .

[1]- أوساط البلاغة العربية ، مصطفى الجويني – ص68.

[2]- المرجع نفسه – ص 68-69.

ويضيف الباقلاني ذاكرا بقية الوجوه والمعاني : "أنّ ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة ، والتّصرّف البديع ، والمعاني اللّطيفة ، والفوائد الغريزة ، والحكم الكثيرة ، والتّناسب في البلاغة ، والتّشابه في البلاغة ، على هذا الطّول ، وعلى هذا القدر". [1] وهذا ما يجده القارئ بين ثنايا أي القرآن الكريم عند تلاوتها .

أمّا المعنى الرّابع:" فيذكر أنّ كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتا بيّنا في الفصل والعلوّ والنّزول ، والتّقريب والتّبعيد ، وغير ذلك ممّا ينقسم إليه الخطاب عند النّظم ، ويتصرّف فيه القول عند الضّمّ والجمع . وكذلك يختلف سبيل غيره عند الخروج من شيء إلى شيء ،والتّحوّل من باب إلى باب . والقرآن على اختلاف فنونه وما يتصرّف فيه من الوجوه الكثيرة ، والطّرق المختلفة يجعل المؤتلف كالمختلف ، والمتباين كالمتناسب والمتنافر في الأفراد إلى حدّ الآحاد ، وهذا أمر عجيب تبيّن به الفصاحة وتظهر به البلاغة ، ويخرج معه الكلام عن حدّ العادة ، ويتجاوز العرف. "[2]

كما يتحدّث في المعنى الخامس عن خروج الجنّ والإنس عن مقدرة القرآن بقوله : " والمعنى الخامس أنّ نظم القرآن وقع موقعا في البلاغة يخرج عن عادة كلام الجنّ، كما يخرج عن عادة كلام الإنس ، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا ويقصرون دونه كقصورنا " .[3]

وخصّص المعنى السّادس لاشتمال القرآن على جميع أنواع الخطاب يقول: " أنّ الذي ينقسم عليه الخطاب ، من البسط والاقتصار ، والجمع والتّفريق ، والاستعارة والتّصريح والتّجوّز والتّحقيق ،ونحو ذلك من الوجوه التّي توجد في كلامهم موجود في القرآن ، وكلّ ذلك ممّا يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والإبداع والبلاغة ."[4]

[1]- أوساط البلاغة العربية ، مصطفى الجويني –69-70.
[2]- إعجاز القرآن – الباقلاني – ص70.
[3]- المرجع نفسه – ص70.
[4]- المرجع نفسه – ص70.

والمعنى السّابع : هو للمعاني التّي تضمنها في أصل وضع الشّريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الدّين والرّدّ على الملحدين ، على تلك الألفاظ البديعة ، وموافقة بعضها بعضا في اللّطف والبراعة ممّا يتعذّر على البشر ويمتنع "[1].

ويبيّن في المعنى الثّامن: جمال الكلمة من القرآن ،يقول : "أنّ الكلام يتبيّن فضله ورجحان فصاحته ، بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام ، أو تقذف مابين شعر ، فتأخذها الأسماع وتتشوّق إليها النّفوس ، ويرى وجه رونقها باديا ، غامرا عن سائر ما تقرن به كالدّرّة التي في سلك من خرز ، وكالياقوتة في واسطة العقد : وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثّل بها في تضاعيف كلام كثير ، وهي غرّة جميعه ، وواسطة عقده ، والمنادى على نفسه بتميّزه ، وتخصّصه برونقه ، وجماله ، واعتراضه في حسنه ومائه "[2].

كما يتحدّث في المعنى التّاسع "عن الإعجاز في الحروف المفتتح بها أوائل السّور بقوله "أنّ الحروف التّي بنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا ، وعدد السّور التّي افتتح فيها بذكر الحروف ثمانية وعشرون سورة وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السّور من حروف المعجم نصف الجملة ، وهو أربعة عشر حرفًا ، ليدلُّ بالمذكور على غيره ، وليعرفوا أنَّ هذا الكلام منتظم من الحروف التّي ينظّمون بها كلامهم".[3]ففي هذا دليل على أنّ الحروف التّي افتتحت بها أوائل السّور أدّلّة وحجج بالغة على عدم تدخل عناصر بشريّة في القرآن الكريم .

والمعنى العاشر: "أنّه سهّل سبيله، فهو خارج عن الوحشي المستكره والغريب المستنكر ، وعن الصّنعة المتكلفة ،وجعله قريبا إلى الإفهام ، يبادر معناه لفظه إلى القلب ، ويسابق المغزى منه عبارته

[1]- أوساط البلاغة العربية ، مصطفى الجويني - ص71.

[2]- إعجاز القرآن – الباقلاني - ص71.

[3]-المرجع نفسه - ص71.

إلى النّفس . وهو مع ذلك ممتنع المطلب ، عسير المتناول ، غير مطمع مع قربه في نفسه ولا موهم مع دنوّه في موقعه أن يقدر عليه ، أو يظفر به ."[1]

يشيد هنا بسهولة القرآن ، وقربه من الأذهان لكنّه في نفس الوقت ممتنع المطلب ، عسير المتناول .

- "الفصل الرابع : لشرح ما بيّنه من وجوه إعجاز القرآن الثّلاثة .
- أما الفصل الخامس : فتحدّث فيه عن نفي الشّعر من القرآن "[2].
- الفصل السّادس: عقده لنفي السّجع في القرآن :" وهذا الذي يزعمونه غير صحيح ولو كان القرآن لكان خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجاز "[3] .
- الفصل السّابع : هذا الفصل من فصول إعجاز القرآن تحدّث فيه عن البديع من الكلام بدأ الباقلاني بقوله : "إن سأل هل يمكن أن يعرف إ'جاز القرآن من جهة تضمّنه البديع ؟ قيل ذكر أهل الصّنعة ومن صنّف في هذا المعنى من صفة البديع ألفاظا نحن نذكرها ، ثمّ نبيّن ما سألوا عنه ، ليكون الكلام واردا على أمر مبيّن ، ثمّ نقل جملة من بديع الشّعر بعضها من كتاب البديع لابن معتز، ونقد الشّعر لقدامة بن جعفر [4] .
- الفصل الثّامن : في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن: وهو عنده :"أنّ إعجاز القرآن لا يخفى على العربيّ البليغ الذي قد تناهى في معرفة اللّسان العربيّ ، ووقف على طرقها ومذاهبها".[5]

ثمّ عقد بابا لبيان أنّ نظم القرآن يزيد في فصاحته على كل نظم .يقول : " ونظم القرآن جنس متميّز، وأسلوب متخصص ، وقبيل عن النّظير متخلص ، فإذا شئت أن تعرف عظيم شأنه

[1]- إعجاز القرآن – الباقلاني – ص71.
[2]- المرجع نفسه – ص72.
[3]- المرجع نفسه – 72.
[4]- المرجع نفسه – ص77.
[5]- المرجع نفسه –ص78.

فتأمّل ما نقوله في هذا الفصل لامرئ القيس في أجود أشعاره ، وما نبيّن لك من عواره على التّفصيل".[1]

وعرض لنظمه ونهجه ، وفصلا آخر خصّصه لبيان أن عجز سائر أهل الأمصار بمثل القرآن ثابت ، كعجز أهل العصر الأوّل ، وبعده فصل في أنّ هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة ، ثمّ ذكر فصلا في وصف وجوه من البلاغة بدأ بقوله : "ذكر بعض أهل الأدب والكلام أنّ البلاغة عشرة أقسام ..."[2]

كتب فصلا آخر في حقيقة المعجّز بيّن فيه معنى إعجازه على أصول الأشاعرة بأنّه لا يقدر العباد عليه ، وإنّما ينفرد الله بالقدرة عليه "[3].

وعقد فصلا في كلام النّبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأمور تتعلّق بالإعجاز .ثمّ وصف القرآن وما اشتمل من جوامع المعاني وعظيم البلاغة ، وعجيب النّظم الفرق لسائر النّظوم فأتى ذلك بما يلذّ وشوّق .[4]

ممّا سبق يتبيّن أنّ الباقلاني كرّس جهوده البحثيّة في هذا المؤلف للدّفاع عن القرآن الكريم أمام الملحدين والقائلين بالصّرفة الذين يريدون التّقليل من شأو كلام الله ومعجزة نبيّه الخالدة ، ولذلك عدّ البحث في إعجاز القرآن من المواضيع الذي لابدّ أن تلقى العناية والأهميّة بما كان قبل الولوج في الدّراسات اللّغويّة والنّحويّة . فقدّم وجوها للإعجاز وفصّل القول فيها بالشّرح والتّحليل في معظم صفحات كتابه فهو يرى أنّ الإعجاز في النّظم العام للقرآن ولا مسوّغ للغلوّ فيه .

❖ وفي أوائل القرن الخامس الهجري ألّف القاضي عبد الجبار أحمد بن خليل بن عبد الله ت415هـ كتابه "المعنى في أبواب التّوحيد والعدل البالغ عشرين جزء، الجزء السّادس عشر : أفرده

[1] – إعجاز القرآن – الباقلاني– ص79

[2] – ينظر : المرجع نفسه – ص 85.

[3] – المرجع نفسه – ص86.

[4] – المرجع نفسه – ص88.

للحديث عن إعجاز القرآن ، فهو يحاول أن يقرّر أولا صحة القرآن الكريم ، وتواتر نقله، والدّواعي التّي يقوم عليها هذا التّواتر ، تتظاهر على الاحتفاظ به كاملا بعيدا عن أيّ تحريف "[1].

- حيث يعدّ عبد الجبار أوّل من رسم معالم فكرة النّظام القرآني ، فوضع مفهوم النّظم " الذي هو الضّم على طريقة مخصوصة بهدف إظهار فصاحة الكلام ، لأنّ الكلمات مفردة لا تظهر فيها الفصاحة "[2].

❖ كما تحدّث أيضا ابن حزم الظّاهري ت(456هـ)في الفصل السّادس من كتابه "الفصل في الملل و الأهواء والنّحل "عن عدد من وجوه الإعجاز وذكر كثيرا من الباحثين ، أنّه ممن قال بالصّرفة .

❖ وفي هذا القرن (القرن الخامس) صنّف أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني (ت 471) "الرّسالة الشّافية في إعجاز القرآن " ، بيّن فيها موقف المعاصرين لنزول القرآن الكريم ، من أمثال الوليد بن المغيرة ، وعتبة بن ربيعة وغيرهما ،ممن أقرّوا راغمين أنّ القرآن ليس مثل كلام البشر ، كما بسط القول في إعجاز القرآن في كتابه (دلائل الإعجاز) [3].

❖ وفي القرن السّادس: خصّص القاضي عياض (ت544هـ) فصلا في الجزء الأول من كتابه "الشّفا بتعريف حقوق المصطفى "لإعجاز القرآن قال فيها : "كتاب الله منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة، حصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه : أوّلها حسن تأليفه ، والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة على عادة العرب ".[4]

---

[1]- الإعجاز في دراسات السّابقين – دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها – دار الفكر العربي – ط1- 1974- ص 224.

[2]- موازنة بين مذهبي الباقلاني والجرجاني في كتابهما إعجاز القرآن ودلائل الإعجاز – شذى عطا جرار – عمان- الأردن - ط 1 - 2005-ص34.

[3]- الشّفا بتعريف حقوق المصطفى – القاضي عياض – تح: علي محمّد النجّاوي – بيروت- دار الكتاب العربي- دط- 1404هـ-1984م- ج1- ص217.

[4]- الإعجاز اللّغوي في القرآن الكريم – إبراهيم فوزي – **https :ketabpedia.com** ، يوم:2020/03/18، الساعة: 09:00 صباحا. ص7.

ثمّ عرض لبقية وجوه الإعجاز فعدّ منها : "صورة نظمه العجيب وأسلوبه الغريب ، وما انطوى عليه من الإخبار بالمغيّبات، وما أنبأ به من أخبار القرون السّابقة والأمم البائدة ، والشّرائع الدّائرة ".[1]

ثم تعرّض بعد ذلك لوجوه أخرى إجمالا فقال : " أنّ قارئه لا يملّه وسامعه لا يمجه ، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة ، وترديده يوجب له محبه ، ولا يزال غضّا طريّا ، وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع التّرديد ويعادى إذا أعيد ، وكتابنا يستلذّ به في الخلوات ، ويؤنس بتلاوته في الأزمات "[2].

- ❖ فخر الدّين الرّازي (ت604هـ) صنّف" نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز".وسنتعرّض لهذا الكتاب في الفصول القادمة بشيء من التّفصيل والتّحليل .
- ❖ وأبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بم محمد بن عليّ السّكاكي في (ت626هـ)كتابه "مفتاح العلوم " بيّن فيه أنّ الإعجاز لا يدرك إلاّ بالذّوق "[3].
- ❖ وفي القرن السّابع صنّف أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت671هـ) فصلا في مقدّمة تفسيره " (الجامع لأحكام القرآن) ذكر فيه نكتا في إعجاز القرآن .
- ❖ و في القرن السّابع أيضا عند ابن العربي الآمدي ، عليّ بن أبي (ت631هـ).

وحازم القرطاجني (ت684هـ)، ثمّ البيضاوي "تفسير البيضاوي".

- ❖ وصنّف الزّركشي سنة (794هـ) "البرهان في علوم القرآن "قال فيه : "وإعجاز القرآن ذكر من وجهين : أحدهما إعجاز متعلّق بنفسه ، والثّاني بصرف النّاس عن معارضته).

ثمّ ردّ القول بالصّرفة ، ثمّ بيّن وجوها للإعجاز"[4] .

---

[1] – الإعجاز اللّغوي في القرآن الكريم – إبراهيم فوزي – ص7.

[2] - المرجع نفسه – ص7.

[3] - المرجع نفسه– ص7.

[4] - المرجع نفسه– ص7.

❖ والزّملكاني (ت 727هـ) في كتابه : التّبيان في إعجاز القرآن "[1].

❖ وشيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ) في كتابه "جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرّحمن "[2].

❖ والخطيب الذي لخّص كتاب" مفتاح العلوم" للسّكاكي [3].

❖ يحي بن حمزة العلوي صاحب كتاب "الطّراز "[4].

❖ وابن القيم (ت 751هـ) صاحب "كتاب الفوائد المشوّقة إلى علم القرآن، وعلم البيان " بإسهاب قضية الإعجاز القرآني وما سبقه من آراء فيها. [5]

❖ كما نجد إشارات للإعجاز في تفسير ابن كثير (ت774هـ).

❖ "في القرن التّاسع برهان الدّين بن عمر البقاعي (ت 885هـ) صنّف كتاب (نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور) جمع فيه من أسرار القرآن ، وأتقن الكلام في فنّ المناسبات بين الآيات والسّور"[6] .

❖ "في القرن العاشر صنّف جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطي (ت 911هـ)."كتاب الإتقان في علوم القرآن" نقل كثيرا من أقوال السّادة العلماء في وجوه الإعجاز ، وردّ القول بالصّرفة "[7].

3- الإعجاز عند المحدثين :

قمنا بتتبّع مراحل تطوّر إعجاز القرآن من القرن الثّالث عشر إلى يومنا هذا ، وقد خصّصته لجهود متعدّدة من العلماء المحدثين.

---

[1]- الإعجاز اللّغوي في القرآن الكريم – إبراهيم فوزي – ص7.

[2]- المرجع نفسه- ص7.

[3]- المرجع نفسه – ص7.

[4]- المرجع نفسه- ص7.

[5]- المرجع نفسه- ص7.

[6]- المرجع نفسه- ص7.

[7]- المرجع نفسه- ص7.

أ- مصطفى صادق الرّافعي : (ت1937م)

" في القرن الرّابع عشر صنّف مصطفى صادق الرّافعي كتابه "تاريخ آداب العرب ". وقد جعل القسم الثّاني منه خاصّا ب: "إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة ".[1]

" وفي الجزء الثّاني من كتابه " تاريخ آداب العرب" تعرّض للقضيّة بإسهاب تاريخي واصفا حال العرب في الجزيرة العربيّة عند الدّعوة ، وما كانوا عليه ، متعرضا لبلاغتهم وفصاحتهم ، ثمّ عدم قدرتهم على المعارضة مع استمرار التّحدّي ، متتبّعا أسماء الذين حاولوا المعارضة رادّا الظّنّ ببعضهم محتجّا لذلك بحجج علميّة مقنعة " .[2]

ب- عائشة عبد الرحمن: (ت1998م)

"ألّفت عائشة عبد الرّحمن الملقّبة ب(ببنت الشاطئ) كتابها " الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق ".[3]

والذي اختلفت معالجتها فيه ، بمجيئها بفكرة طريفة فرّقت فيها بين التّحدّي والإعجاز ، فربطت التّحدّي بالبلغاء في عصر الرّسول ،- صلى الله عليه وسلم – دون غيرهم ، بينما الإعجاز يخصّ عامّة النّاس في شتّى العصور .[4]

ج- محمد متولي شعراوي (ت2000م) ومحمد سعيد رمضان :

"أشار كلاّ من متولي شعراوي في كتابه "معجزة القرآن " ، ومحمد سعيد رمضان في كتابه "من روائع البيان " إلى القضيّة إشارة سريعة ، وعالجاها معالجة مقتضيّة ."[5]

---

[1]- تاريخ آداب العرب – مصطفى صادق الرّافعي – ص 21.

[2]- موازنة بين مذهبي الباقلاني والجرجاني في كتابيهما إعجاز القرآن ، ودلائل الإعجاز – شذى جرار- ص 37

[3]- مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن – محمد رفعت أحمد زنجير – ص404.

[4]- ينظر: المرجع نفسه – ص37.

[5]- المرجع نفسه – ص 37.

بالاطّلاع على كتب الإعجاز عند العلماء القدامى والمحدثين نجد اتّفاقهم واشتراكهم في مبحث النّظم فنظرتهم موحّدة إلى أسلوب القرآن الكريم المتفرّد و المتميّز في فصاحته ، والذي عجز العرب على معارضته سواءً فرادى أوجماعات . فالبدايات الأولى للإعجاز وضعها الإمام الواسطي ، ليصنّف فيها الرّماني والإمام الباقلاني فيما بعده ، وتواصل مسارها على يد الإمام عبد القاهر الجرجاني ، ولا يمكن أن ننكر فضل الجاحظ الذي خصّص كتابه لبعض القول في الإعجاز .بالإضافة إلى ما جادت به يَرَاعُ علمائنا المحدثين في هذا الشّأن ، فهي نور يهتدي به الباحث في هذا المجال .

4- أنواع الإعجاز في القرآن الكريم :

ذكرت في القرآن الكريم العديد من الإيحاءات الدّالة على عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته التّي فاقت قدرة البشر ومنها :

أولا: الإعجاز اللّغوي :

أ- معنى الإعجاز اللّغوي:إذا أمعنّا النّظر في البحوث التّي تناولت التّي تناولت الإعجاز اللّغوي نجد ثلّة قليلة من الدّارسين تنبّهوا إليه ، ومع ذلك تبقى كإشارات زاخرة تنير درب الباحث في هذا الشّأن ، ويمكنه الاتّكاء عليها واتّخاذها مرجها يعتمد عليه في دراسته .

وفي صدد الحديث عن الإعجاز البلاغي يقول " مناع القطان " :"وحيثما قلب الإنسان بصره في القرآن الكريم ، وجد أسرارا من الإعجاز اللّغويّ ، يجد ذلك في نظامه الصّوتي البديع ، بجرس حروفه حين يسمع حركاتها وسكناتها ....."[1]

" ويجد ذلك في إقناع العقل ، وإمتاع العاطفة ، بما يفي بحاجة النّفس البشريّة تفكيرا ، ووجدانا، في تكافؤ واتّزان ، فلا تطغى قوّة التّفكير على قوّة الوجدان ، ولا قوّة الوجدان على قوّة التّفكير ".[2]

[1]- مباحث في علوم القرآن – مناع القطّان – مصر – مكتبة وهبة – دط- 2000- ص259.

[2]- المرجع نفسه – ص 259

نجد في هذين النّصين إشارة إلى التّأصيل للإعجاز اللّغوي الذي يكتشفه المتمعّن في المفردة من جميع مناحيها ، سواء ما تعلّق منها بالشّكل والمضمون ، أو من ناحية تأثير الإعجاز اللّغوي في إقناع العقل وإمتاع العاطفة ، بحيث تتساوى قوّة التّفكير مع قوّة الوجدان

ويشير الرّافعي في كتابه "إعجاز القرآن " إلى سرّ الإعجاز في الألفاظ القرآنيّة المقصودة بتركيبها التّي تظهر دقائق المعاني ، وروعة المباني بقوله : " من أعجب ما يحقّق الإعجاز أنّ معاني هذا الكتاب الكريم لو ألبست ألفاظا أخرى من نفس العربيّة ما جاءت في نمطها وسمتها ، والإبلاغ عن ذات المعنى ، إلاّ في حكم التّرجمة ، ولو تولّى ذلك أبلغ بلغاؤها ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، فقد ضاقت اللّغة عنده على سمعتها حتّى ليس فيها لمعانيه غير ألفاظه بأعيانها وتركيبها ."[1]

ويمكن تلخيص جهود المحدثين في ضبط مفهوم محدّد للإعجاز اللّغوي بقولهم :" هو العلم الذي يهتمّ بإبراز إعجاز المفردة من حيث شكلها ومضمونها وغايتها ."[2]

فجلّ التّركيز على المفردة القرآنيّة في تجلياتها المختلفة سواء ما تعلّق منها بالجانب الصّوتي والصّرفي، أو جانب المعنى الذي تشير إليه، وحتّى الغاية منها.

ب- نماذج من الإعجاز اللّغوي :

"من الإعجاز اللّغوي ما نجده في قوله تعالى في سورة الأنفال الآية (02):﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**

[1]- إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة – مصطفى صادق الرّافعي – تح : درويش الجويدي – المكتبة العصرية – دط- 2003م- ص203.

[2]- جهود أهل السّنة والجماعة في الإعجاز اللّغوي والبياني للقرآن الكريم "ابن القيم نموذجا "- العيد حذيق – جامعة الجزائر – 2010م-2011- م- ص37.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1] فالملاحظ أنّ واو الجماعة في (يسألونك) لم يسبقه اسم ظاهر كأن يقال : الصّحابة المقتلون المنتصرون ... يسألونك ."[2]

و"هذا معناه أنّه إذا كان الشّيء مشهورا جاز ترك اسمه الظّاهر، والاكتفاء بضميره ، وورد في قوله تعالى في سورة القدر الآية (01): ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾[3]، والمقصود به هو القرآن الكريم لم يذكر لشهرته وقوّة حضوره بين المسلمين "[4] .

فالإعجاز اللّغوي في هذه الآيات يظهر في استخدام الضمير بدل الشّيء المشهور حيث يجوز ترك اسمه في هذه الحالة .

"ومن الإعجاز اللّغوي أيضا ما تنطوي عليه آية الوضوء قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾[5] ، لم يقل : يا أيّها النّاس كما قال في أوّل سورة النّساء : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾[6]، لأنّ تقوى الله تعالى هي الإيمان به ، والنّاس جميعا مدعوون إلى الإيمان "[7].

---

[1]- سورة الأنفال- الآية2.

[2]- الإعجاز اللّغوي في القرآن الكريم في الكلمات المتقاربة في المعنى ، المتباعدة المبنى وآيات الإعجاز أخرى- عودة الله منيع القيسي – دار البداية ناشرون – ط1- 1432-2011-ص154.

[3]- سورة القدر – الآية1.

[4]- المرجع نفسه – ص 154

[5]- سورة المائدة – الآية : 06

[6]- سورة النّساء – الآية : 01.

[7]- ينظر : الإعجاز اللّغوي في القرآن الكريم في الكلمات المتقاربة في المعنى ، المتباعدة المبنى وآيات الإعجاز أخرى- عودة الله منيع القيسي – ص 170.

ثانيا : الإعجاز البياني :

أ- ماذا نعني بالإعجاز البياني ؟

وهو أبرز جوانب الإعجاز في كتاب الله – عز وجل –" فجاءت معجزة الرّسول – صلّى الله عليه وسلم- بيانيّة ، بل جعل دليل هذه المعجزة البيانيّة النّاطقة شيئا زائدا في هذا البيان ، بلغ حدّ التّحدّي أن يأتي أحد بصورة منه" .[1]

و"الإعجاز البياني نجده في كلّ كلمة من كلمات القرآن ، وفي كلّ آية من آياته ، وفي كل سورة من سوره فالتّحدّي الأكبر للمشركين كان أولا وقبل كل شيء بالإعجاز البياني.[2]

ونعني به :" العلم الذي يهتم بإبراز إعجاز البلاغة القرآنيّة من جهة الوظيفة والخاصيّة والمظهر"[3].

" فالنّظر في وظيفة البلاغة القرآنيّة ، وهي إبلاغ معاني الكتاب الكريم وخاصّيتها وهي التّأثير والإقناع فيما اختلفوا في تفسير مظهرها ، وتفاوتت جهودهم في ذلك بين التّأصيل النّظري والتّطبيق العملي"[4].فيؤدّى المعنى في صورة حسنة تشفي غليل القارئ دون تكلّف ، بحيث يتناسق نظم ألفاظه مع المعاني في أرقى درجات الفصاحة ومقنعة بصورة مؤثّرة.

---

[1]- ينظر : الإعجاز البياني في صنيع الألفاظ (دراسة تحليلية للإفراد والجمع) – محمد أمين الخضري – مطبعة الحسين الإسلاميّة – ط1-1413هـ-1993م- ص 518.

[2]- الإعجاز البياني في الفاصلة القرآنية ، دراسة تطبيقية على سورة النّساء موسى مسلم سلام الحشاش – الجامعة الإسلامية بغزّة –كلية أصول الدّين 1428-2007-(مذكرة ماجستير)- ص29.

[3]- جهود أهل السّنّة والجماعة في الإعجاز اللّغوي والبياني في القرآن الكريم"ابن القيّم نموذجا " – العيد حذيق – ص 45.

[4]- المرجع نفسه – ص 46.

ب- خصائص الإعجاز البياني:

يمتاز الإعجاز عن غيره من أنواع الإعجاز فنجده في كتاب الله العزيز في كلّ آيات من آياته ومن خصائصه :[1]

- الفصاحة: ركز أصحاب هذا الرأي نظرهم على نظم القرآن وتأليفه وأسلوبه المتميز عن شعر العرب ونثرهم، فوضع أوائل السّور والقصص، وأواخرها وآخر الآيات جاء على نمط لم يعهدوه.
- البلاغة: لفت نظرهم ما في القرآن من أنواع التّشبيه والتّأكيد، ودلالة اللّفظ القليل على المعنى الكثير كمثل قوله تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[2] وكمثل قوله تعالى: ﴿ **أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ** ﴾[3]، وضرب الأمثال والمجاز، والتّأخير والتّقديم وغيرها من فنون البلاغة مراعاة لمقتضى الحال.
- عدم الاختلاف وتناقضه: فالقرآن رغم طوله، واتّساعه وتنوّع أغراضه خالٍ من التّناقض والاختلاف،﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾[4].

ج- نماذج من الإعجاز البياني :

وممّا ورد في القرآن الكريم في القرآن الكريم من الإعجاز البياني نذكر ما جاء في سورة النّساء : الآية : 04 قال –عزّو جل- : ﴿**وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا** ﴾[5].

---

[1]- ينظر: ملامح الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، د. بلقاسم محمد الغالي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، ج4، العدد01، 2007، ص05.

[2]- سورة البقرة- الآية: 179.

[3]- سورة النّمل- الآية: 31.

[4]- سورة النّساء – الآية : 82.

[5]- سورة النّساء – الآية : 04.

" ففي قوله تعالى: وآتوا بصيغة الجمع ، لأنه يقصد بالمخاطبين الأولياء والأزواج معًا، ولذلك قال: "النساء" ولم يقل: "الزوجات"، لأن النساء أعمّ ليشمل لفظها الزوج والولي، وقال:" صدقاتهن" ليكون اشتقاقها من "الصّدق" أي آتوهنّ ما تصدُقون بأدائه لهنّ ، ولذلك فضّلت هذه الكلمة على كلمة "المهر"، لأن كلمة "المهر" لعلّها آتية من أن رأس المهر قديمًا كان مُهْرًا أو أمهارًا ، وليس لهذه الدلالة من الأثر ما لكلمة الصدق. وقال:أيضا "نحلةً" ولم يقل "فريضة" لأن "نحلة" أوسع دلالة من فريضة، فنحلة تعني الفريضة والمذهب والدّين والعقيدة، وكل هذه المعاني المقصودة في هذا المقام". [1]

يظهر الإعجاز البياني في نظم المفردات القرآنيّة ، بحيث توصل المعنى في قالب تعبيري خاص ، فلا يمكن أن تؤدّي كلمة أخرى ذات المعنى، فلكل كلمة معنى خاص بها.

و"يكمن أيضا في ترتيب المفردات ف"هينئًا مريئًا"، لا تساويها مرئيا هنيئا.لأنّ التّرتيب الأوّل ترتيب طبيعي، وليس كذلك التّرتيب الثّاني، لأنّنا نهنأ أو نسعد أو نتمتّع بالأكل، قبل أن مرأنا ، أي قبل أن يسدي في أجسادنا طاقة وتعويض عمّا فقده الجسم، من ناحية أخرى فإن الموسيقي في التّرتيب القرآني أوضح منها في التّرتيب الثّاني، لأنّ الإدغام هنيئًا مريئًا، عن طريق لفظ التّنوين كالميم، وإدغامه بميم (مريئًا) يقيمُ تماسكا قويًّا بين اللّفظتين وكأنّهما لفظة واحدة، وليس الأمر كذلك في التّرتيب الثّاني الذي يحدث فيه قطع بين التّنوين وبين الهاء لأنّ الموقع في مثل هذا التّرتيب موقع إظهار وهذا من الإعجاز البياني في القرآن[2].

[1]- ينظر : الإعجاز اللّغوي في القرآن الكريم في الكلمات المتقاربة في المعنى ، المتباعدة المبنى وآيات الإعجاز أخرى- عودة الله منيع القيسي - ص433.

[2]- من الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، نماذج من الإعجاز البياني واللغوي في القرآن الكريم، عودة الله منيع القيسي، ص134.

ثالثا : الإعجاز العلمي :

رغم أنّ القرآن الكريم كان في جوهره أساسا للهداية والإرشاد والتّوجيه ، إلاّ أنّه لم يخل من الإشارات العلمية لشتّى الحقائق الكونية أثبتتها التّجربة والفحص الدّقيق ، كما ذكر القرآن مما يدلّ على إعجازه .[1]

أ- تعريفه :

"الإعجاز العلمي ليس في اشتماله على النّظريّات العلميّة التّي تتجدّد وتتبدّل وتكون ثمرة للجهد البشريّ في البحث والنّظر ، وإنّما في حثّه على التّفكير ، فهو يحثّ الإنسان على النّظر في الكون وتدبّره ، ولا يشلّ حركة العقل في تفكيره ، أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وليس ثمّة كتاب من كتب الأديان السّابقة يكفل هذا بمثل ما يكفله القرآن".[2]

فالإعجاز العلمي يظهر في الحثّ على التّفكير والتّدبر في الكون ، وهذا ما كفله الله سبحانه وتعالى في كتابه المعجز الدّليل القاطع على نبوّة رسوله .

ويتّضح مفهومه بقولنا :" هو الإخبار عن حقائق الكون والإنسان ، التّي لم تتّضح معالمها إلاّ في قرون متأخّرة بعد توافر وسائل الكشف والبحث ."[3]

وقد ورد في القرآن الكريم إشارات إلى حقائق ضخمة ودقيقة على لسان نبيّ أميّ , لم يكن له إلمام بطرف من العلوم ثمّ ثبت صحّة مضمونها مع ازدهار وسائل الكشف والتّمحيص ومن أمثلة هذه الحقائق الآيات التّي تتحدّث عن الكون والأرض والخصائص الجويّة وخلق الإنسان .[4]

---

[1]- ينظر : ملامح الإعجاز النّفسي في القرآن الكريم ، بلقاسم محمد الغالي – مجلّة جامعة الشّارقة للعلوم الشّرعية والإنسانية – ج 4- العدد1- 2007- ص- 06.

[2]- مباحث في علوم القرآن – مناع القطان- ص 262.

[3]- الإعجاز البياني في ضوء القراءات المتواترة – أحمد بن محمد الخرّاط – المدينة المنوّرة – 1424هـ- ص33.

[4]- المرجع نفسه – ص 33

ب- نماذج للإعجاز العلمي:

نجد آيات كثيرة متعلّقة بهذا النّوع من الإعجاز منها ما تعلّق بنشأة هذا الكون من سماء وأرض وخلق الإنسان، كشف عنها العلم الحديث وأثبتت مصداقيتها كحقائق علمية في وقتنا الرّاهن.

" فالتّلقيح في النّبات ذاتي و خلطي ، الذّاتي : ما اشتملت زهرته على عضو التّذكير والتّأنيث، و الخلطي ما كان عضو التّذكير فيه منفصلا عن عضو التّأنيث كالنّخيل ، فيكون التّلقيح بالنّقل ، ومن وسائل ذلك الرّياح ، جاء ذلك في قوله تعالى في سورة الحجر الآية : 22: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾[1] ". [2]

ومن الإشارات العلميّة أيضا في القرآن الكريم : " ما جاء في وحدة الكون وحاجة الحياة إلى عنصر الماء بقوله تعالى في سورة الأنبياء .الآية 30 :﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30)﴾[3].[4]

رابعا : الإعجاز الغيبي :

"هذا الإعجاز من أكثر أنواع الإعجاز التّي حملها القرآن الكريم، لأنّه يستحيل أن يعرف البشر ما سيحدث في المستقبل ، لأنّ هذه خصوصيّة من خصوصيات الله تعالى "[5].

أ- مفهومه:

نعني به : " إخبار القرآن الكريم عن غيب ماض ، أو حاضر ، أو مستقبل ، ولم يسجّل أعداء النّبيّ – صلى الله عليه وسلم – عليه أيّ تجاوز في غيب جاء خبره في القرآن الكريم ."[6]

---

[1]- سورة الحجر- الآية22.

[2]- مباحث في علوم القرآن – مناع القطان – ص 264.

[3]- سورة الأنبياء – الآية 30.

[4]- المرجع نفسه- ص 265.

[5]- الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم - دراسة نظريّة وتطبيقيّة على بعض الآيات – أحمد بن عمر بن أحمد السّيّد – حوليّة مركز البحوث والدّراسات الإسلاميّة – العدد 24- ص 113.

[6]- الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنيّة المتواترة – أحمد بن محمد الخرّاط – ص 32.

و"منه غيب الماضي والحاضر والمستقبل ، أمّا غيب الماضي فمن علّم محمدا هذا التّفضيل الدّقيق في أخبار الأمم السّابقة وما عرف عن العرب أنّ لهم صلة بعلماء الأديان وتاريخها ، وأمّا غيب الحاضر في علاقة قريش واليهود والمنافقين بالدّعوة ، فكان القرآن الكريم يأتي بأخبارهم قبل ذيوعها ، كما أنّ أخبر عن المستقبل ولم يحدث أحداث تالية تقع في المستقبل ، ولم يحدث أن تجاوزت الواقع أبدا ".[1]

ب_ نماذج من الإعجاز الغيبي :

"نجد منها إخبار الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز قصصا حقيقيّة لا نسجا من الخيال ومن ذلك قصّة موسى – عليه السّلام – ﴿**نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾[2]، فورود أخبار الأمم الماضية ، والقرون الخالية بهذا الشّكل المفصّل الدّقيق في القرآن الكريم دليل على أنّه وحي من الله سبحانه وتعالى ، وليس من عند البشر." [3]

" وقد وردت أيضا صور كاملة تقصّ علينا سير بعض أنبياء الله مثل سورة هود، يوسف ، إبراهيم ، ونوح – عليهم السلام – من قبل الله تعالى في كتابه العزيز وهذا خير دليل على الإعجاز".[4]

هذه النّماذج قطرة من بحر زاخر من الأمثلة التّي حواها كتاب الله ومعجزة نبيّه الخالدة عن الإعجاز الغيبي .

---

[1]– أبرز كتب الإعجاز القرآني في النّصف الثّاني من القرن العشرين 1950م–2000م– (دراسة وإحصاء) – دريد موسى داخل الأعرجي – مجلّة مركز بابل للدّراسات الإنسانيّة – العدد 02– 2017م – ص 50. وينظر : الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنيّة المتواترة – أحمد بن محمد الخرّاط – ص 32.

[2]– سورة القصص – الآية : 03.

[3]– ينظر : الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم – دراسة نظريّة وتطبيقيّة على بعض الآيات – أحمد بن عمر بن أحمد السّيّد– ص 117.

[4]– المرجع نفسه – ص 118.

خامسا : الإعجاز التّشريعي:

" تشريعات القرآن أرقى النّظم التّي عنيت بحقوق الإنسان وواجباته وسعت إلى تحقيق مصالحه" ، فقد نزل القرآن الكريم في بيئة أميّة لا تعرف تشريعا مكتوبا أو محفوظا ، ينظّم علاقات الفرد والمجتمع والحاكم فمن أين لمحمد – صلى الله عليه وسلم – أ صول تشريع لا يأتيه الباطل ؟، وقد حاول أعداؤه قديما وحديثا أن يثيروا شبهات وثغرات كثيرة حول هذه الأصول بيدا أنّها سرعان ما تنخذل أمام الحجّة السّاطعة ."[1]

" فالقرآن الكريم دستور تشريعي كامل يقيم الحياة الإنسانيّة على أفضل صورة ,أرقى مثال ، ولم يترك للنّاس بل قرّره القرآن الكريم والخروج عنه كفر وفسق وظلم ".[2]

فالإنسان ضعيف عاجز عن الإتيان بمثل ما أقرّ به القرآن الكريم من أحكام وتشريعات وقوانين تتعلّق بالجوانب الحياتية للأفراد والمجتمعات . وهذا ما يقرّ بتفوّق القرآن الكريم وتميّزه عن سائر التّشريعات .

" ومن أمثلته قوله تعالى في سورة النّور الآية 02: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾[3] " .[4]

وخلاصة القول إنّ التّأصيل لقضية الإعجاز منذ القرن الثّالث هجري إلى يومنا هذا خير دليل على مدى اهتمام المسلمين بالقرآن الكريم وعنايتهم البالغة به ، كما أنّ أنواع الإعجاز التّي يحتويها القرآن الكريم لا تسعها هذه السّطور ولا تكفيها هذه الكلمات، فالأمثلة كثيرة تدلّ على أنّ هذا الكتاب ليس من صنع البشر.بالإضافة إلى ذلك فإنّ حرصهم على القرآن الكريم كان دافعا قويّا للحفاظ على اللّغة العربيّة الأمر الذّي مخّض علومًا متنوعة ومعارف جديدة .

---

[1]– الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنيّة المتواترة – أحمد بن محمّد الخراط – ص 32.

[2]– مباحث في علوم القرآن – مناع القطان – ص 273.

[3]– سورة النّور الآية 02.

[4]– مباحث في علوم القرآن – مناع القطان – ص 272.

الفصل الأوّل : مفهوم السّياق وأنواعه في الممارسة التّراثيّة

I. السّياق في اللّغة والاصطلاح.

II.السّياق عند القدامى .

III.السّياق عند المحدثين .

IV.السّياق في الدّرس اللّساني الغربي الحديث .

V.أنواع الأسيقة عند المحدثين .

VI.مزايا النّظريّة السّياقيّة .

VII.الانتقادات الموجّهة للنّظريّة .

يعدّ مصطلح السّياق من أهم المصطلحات التي حظيت باهتمام كبير من طرف الدّارسين اللّغويّين والبلاغيين ، وحتّى عند المفسّرين والأصوليين قديما وحديثا ، فهو يشكّل محورا لا غنى عنه في علم الدّلالة .

I. السّياق في اللّغة والاصطلاح :

1- **السّياق في اللّغة** :جاء في مادّة "سوق " من معجم مقاييس اللّغة "السّين والواو والقاف أصل واحد وهو حدّ الشّيء ، يقال : ساقه يسوقه سوقا ، ما استيق عن الدّواب ، ويقال سقت إلى امرأتي صداقها ، وأسقته ، والسّوق مشتقة من هذا .(.....) والجمع أسواق ، إنّما سميّت بذلك لأنّ الماشي يساق إليها ويقال : امرأة سوقاء ، ورجل أسوق ، إذا كان عظيم السّاق والمصدر السّوق .[1]

ويقول ابن منظور في لسان العرب : سوق : السّوق معروف ، ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا ، وهو سائق وسوّاق ، شدّد للمبالغة قال تعالى :﴿ **وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ** ﴾[2]. قيل في التّفسير : سائق يسوقها إلى محشرها وشهيد يشهد عليها وقيل الشّهيد هو عملها نفسه ن واستاقها فانساقت واسّاقها فاسّاقت ، و أنشد ثعلب :

وَلَوْلاَ قَرَيْش هَلَكَتْ مَعَدُ ***واسْتَاقَ مَالَ الأَضْعَفِ الأَشَدُّ .[3]

"ومن المجاز : ساق الله إليه خيرا ، وساق إليه المهر ، وساقت الرّيح السّحاب ، وأردت هذه الدّار بثمن فساقها الله إليك بلا ثمن ، والمحتضر يسوق سياقا ، وفلان في ساقيه العسكر : في آخره وهو جمع سائق كقاد في قائد وهو سياقه ، وتساوقت الإبل : تتابعت وهو سوق الحديث أحسن

[1]- مقاييس اللّغة – ابن فارس – تح : عبد السّلام هارون – دار الفكر – ج 3 – ص177.

[2]- سورة ق – الآية 21.

[3]- لسان العرب – ابن منظور – تح عبد الله علي الكبير – محمد أحمد حسب الله – هاشم محمد الشّاذلي – القاهرة – دار المعارض 1119- مج 1 –ص2153 .(س وق)

يساق ، وإليك سياق الحديث ، وهذا الكلام مساقه إلى كذا وحسبك بالحديث على سوقه .....، وقال سوقا إلى فلان ، والمرء سيقه القدر ، يسوقه ما قدّر له لا يعدوه .[1]

" والسّاق : في قاموس المحيط: السّاق : مابين الكعب والرّكبة ، ج : سوق وسيقان وأسؤق ، همزت الواو لتحمل الضّمة ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾[2] .(**والتفت السّاق بالسّاق**) آخر شدّة الدّنيا بأول شدّة الآخرة، يذكرون السّاق إذا أرادوا شدّة الأمر والإخبار عن هوله ، وولدت ثلاثة بنين على ساق: متابعة لا جارية بينهم . وساق الحمام والحرّ: فرخها .... وساق الماشية سوقا وساقاوسياقا، واستقاقها فهو سائق وسوّاق ، والمريض سوقا وسياقا : شرع في نزع الروّح وفلانا أصاب ساقه وإلى المرأة مهرها: أرسله كأساقه .....والأسوق : الطّويل السّاقين أو حسنهما "[3]

ونجد أيضا الفيومي يشير في "المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير للرافعي" في مادّة سوق : سقت الدّابة (أسوقها) (سوقا) والمفعول (سوق) على مفعول و(ساق) ، الصّداق إلى المرأة حمله إليها وأساقه بالألف لغة وساق نفسه وهو في السّياق. أي في النّزع والسّاق من الأعضاء أنثى وهو ما بين الرّكبة والقدم وتصغيرها سويقة ، والسّوق يذكر ويؤنث ، وقامت الحرب على ساق كناية عن الالتحام والاشتداد ، والسّويق ما يعمل من الحنطة و الشّعير معروف وساقت الإبل تتابعت .[4]

ونجد السّياق في معجم الوسيط بمعنى المهر ، وسياق الكلام تتابعه ، والأسلوب الذي يجري عليه ، السّيق من السّحاب ما ساقته الرّيح .[5]

---

[1]- أساس البلاغة – الزّمخشري – ج1 – ص1185.

[2]- سورة القلم – الآية 42.

[3]- المحيط – الفيروز أبادي – تح : مكتبة التّراث في مؤسسة الرّسالة – إشراف محمد نعيم العرقسوسي – لبنان – بيروت – ط8 -1426هـ-2004- ص895.

[4]- زين الدين أبو عبد الله بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرّازي – مختار الصّحاح – تح : يوسف الشّيخ محمد – بيروت – صيدا – المكتبة- العصرية – ط5 – 1999- ص 157.

[5]- المعجم الوسيط – مجمع اللّغة العربية – دار الدّعوة – ج1- ص465.

أمّا جون ديبوا (jean dubois) في قاموس اللّسانيات وعلوم اللّسان (dictionnaire de linguistique) يقول : " نسمّي السّياق أو السّياق القولي مجموعة النّصوص التّي فيها تتموضع (تتحدّد) وحدة لغويّة معيّنة ، أي العناصر التّي تسبق والتّي تلحق هذه الوحدة ".[1]

من خلالنا عرضنا لمجموعة من التّعاريف اللّغويّة التّي احتوتها المعاجم العربية نجد أنّ مصطلح السّياق في دلالته المعجميّة لا يخرج عن معنى الدّفع ، والمهر ، والموت ، ونزع الرّوح ، أمّا سياق الكلام فتتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه .

2 – السّياق في الاصطلاح :

من المصطلحات التّي أحدث إشكالا عند علماء العرب مصطلح السّياق فهو مصطلح عسير صعب التّحديد ، فلا نجد في كتبنا تعريفا جامعا مانعا له ، وهذا ما سنلاحظه من خلال دراستنا له.

يستعمل لفظ السّياق مقابلا للمصطلح في الإنجليزية (contescte) الذي يطلق ويراد به " المحيط اللّغوي الذي تقع فيه الوحدة اللّغويّة سواء أكانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللّغويّة أو غير اللّغويّة "[2] .

ويتكوّن السّياق من مقطع (tesct) و(cont) أي مع النّسيج حيث استعمل هذا المصطلح الأول ليعني الكلمات المصاحبة للمقطوعات الموسيقية ، ثمّ بعد ذلك أصبح يستعمل بمعنى النّص. أي مجموعات الكلمات المتراصة مكتوبة كانت أو مسموعة وإضافة معنى جديد لها يتمثّل فيما يحيط بالكلمة المستعملة في النّص من ملابسات لغويّة وغير لغويّة.[3]

---

[1]– dionnaire de linguistique- larouss- paris- 1999- p116:jean dubois et autre.

[2]– دلالة السّياق – ردّة الله الطّلحي – مكة المكرّمة – جامعة أم القرى – ط1 1424هـ - ص 51.

[3]– ينظر : السّيّاق والنّص – استقراء دور السّياق في تحقيق التّماسك النّصي –فطومة لحمادي – مجلة كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة –والاجتماعية – العدد 2- 3 جوان- 2008-ص03.

كما عرّف أيضا بأنّه " مجموعة الظّروف الطّبيعيّة والاجتماعيّة و الثّقافيّة والنّفسيّة التّي يوجد ضمنها ملفوظ معيّن أو خطاب ."[1]

ومعنى ذلك أنّ السّياق ينقسم إلى سياق لغوي وسياق غير لغوي يتعلّق بما يحيط بالكلمة من ملابسات وظروف .

أمّا في اللّسانيات فالسّياق "هو مجموعة العناصر الصّوتية والصّرفية والتّركيبية التّي تسبق وتلحق وحدة لسانية داخل ملفوظ معيّن "[2].

في حين أضافت بعض التّعاريف مفهوم التّأثير إلى مفهوم السّياق من ذلك قولهم :"السّياق هو مجموعة الوحدات اللّسانية التّي تحيط بعنصر معيّن داخل سلسلة الخطاب وتؤثّر فيه "[3].

II. السّياق عند القدامى :

وردت لفظة السّياق في عبارات القدماء " منفردة ومقرونة بغيرها ، فيقال : دلّ سياق الكلام على كذا ". وهذا "ما يدلّ عليه سياق القول وسباقه ". و"لا بدّ من مراعاة القول وسياقه ولحاقه". يقولون "سيق النّص لغرض كذا أو لقصد كذا".وسيق له الكلام أصالة أو تبعا ، و"لم يسق له الكلام"، ويأبى عليه السّياق ،ويردّه السّياق ، " ويجافي السّيّاق "، و"يناسب السّيّاق " ويدلّ عليه مساق الكلام "[4] .

[1]- المدارس اللّسانية –أعلامها ، مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التّواصلي - أحمد عزوز- وهران - دار آل الرضوان – ط2– 2008- ص185.

[2]- المرجع نفسه - ص 185.

[3]- المرجع نفسه- ص185.

[4]- نظريّة السّياق –دراسة أصولية – نجم الدّين قادر كريم الزّنكي – بيروت – لبنان – دار الكتب العلمية – ط1- 1427هـ- 2006- ص37.

وقد يعبّرون عنه بقولهم : "دلّ علية أوّل الكلام أو وسطه أو آخره ن ودلّ عليه النّظم" و"يقتضيه نسق الكلام " ، وغير ذلك من العبارات الصّريحة التّي ذكرت في كتب الأصول والتّفسير وشروح الحديث ، وكتب البلاغة "[1].

فالملاحظ هنا استعمال السّياق بصورة مكثّفة عند العلماء وهذا نابع من تعدّد اهتمامهم بهذا الموضوع .

- **السّياق عند الأصوليين :**

اشتغل المسلمون منذ نزول القرآن على معرفة سرّ إعجازه وبلاغته ، وتفسير آياته ، وقد تنبّه العلماء قديما إلى أهميّة السّياق في تفسير الآيات القرآنية ومفرداتها .حيث "أشاروا إل قاعدة مهمّة وهي تفسير القرآن بالقرآن ، وهذه القاعدة نجدها في عصرنا الحاضر بما يعرف بالمنهج السّياقي الذي جعل للسّياق الدّور الحاسم في فهم النّصوص، وتحديد معاني الألفاظ ، وضبط دلالاتها "[2].

فالسّياق القرآني هو " جزء من السّياق بعمومه في معناه العام ، وهناك من ذكر أنواعا متعدّدة من السّياقات منها : السّياق المصحفي ، وسياق التّنزيل ، وسياق الموضوع ، ويقصد به دراسة الآية أو الآيات في علاقتها بالآيات الأخرى التّي تناقش نفس الموضوع ، والسّياق التّاريخي حسب التّسلسل الزّمني ."[3] فهو إذن يختص بالآيات والمعنى الذي يكتسبه اللّفظ مع غيره من الآيات .

" وما يحيط بالنّص من عوامل داخلية أو خارجية لها أثر في فهمه من سابق أو لاحق ، أوحال المخاطب ، والمخاطب ، والغرض الذي سيق له ، والجوّ الذي نزل فيه .[4]

---

[1]- نظريّة السّياق –دراسة أصولية – نجم الدّين قادر كريم الزّنكي – ص37.

[2]- السّياق القرآني والدّلالة المعجميّة – ماجدة صلاح حسن – قسم اللّغة العربية –كليّة المعلمين – الزّاوية – جامعة السّابع من أبريل – العدد التّاسع -2007 - ص02.

[3]- المرجع نفسه – ص02

[4]- التّرجيح بين دلالة السّياق وسبب النّزول – محمد أبو زيد – مجلة جامعة دمشق – العدد 3و4- 2012- ص 14

فالسّياق القرآني تحكمه مجموعة من العوامل الدّاخليّة والخارجية وتؤثّر في فهمه .

واعتمد الأصوليّون كذلك على قرائن السّياق المتنوّعة "كالقرائن المخصّصة للعام وأثرها في تحديد المعنى ، وهي قرائن حالية كالحسن والعقل و العرف أي العادة ، والقرائن اللّفظية التّي تشمل التّي تشمل السّياق اللّفظي بمعناه الواسع ".[1]

ومن أنواع السّياق في القرآن الكريم نجد :[2]

- **سياق القرآن** : ويقصد به مراد الله تعالى من كتابه القرآن العظيم ، وهو معرفة الخلق ربّهم وعبادتهم إيّاه ، ويخدم هذا الهدف ما سميّ في كتب الأصول بمقاصد الدّين والضّروريات يقول الشّاطبي (ت790هـ): "فقد اتّفقت الأمّة – بل سائر الملل – على أنّ الشّريعة وضعت للمحافظة على الضّروريات الخمس وهي : الدّين و النّفس ، والنّسل والمال والعقل "[3].
- **سياق السّورة** : فكل سورة في القرآن العظيم وحدة متكاملة متناسقة يجمعها سياق واحد هو الغرض من السّورة الكريمة[4] .
- **سياق المقطع أو النّص** : جزء من السّورة له سياقه الخاص ، ويتناسب وسياق السّورة[5].
- **سياق الآية** : مما يوحي بسياق الآية الكريمة ما عرف برؤوس الآي التّي تفصل كل آية عن أختها وقد تعرّض المفسّرون لهذا النّوع كثيرا وعلى سبيل المثال : ﴿**وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ**

[1]– السّياق والنّص – استقصاء دور السّياق في تحقيق التّماسك النّصي – فطومة لحمادي – ص19.

[2]– التّرجيح بين دلالة السّياق وسبب النّزول – محمد أبو زيد – مجلة جامعة دمشق – العدد 3و4– 2012– ص 15، 16.

[3]– الموافقات – الشّاطبي – تقديم بكر بن عبد الله أبو زيد –ضبط وتقديم – أبو عبيدة مشهور بن الحسن آل سليمان – دار ابن عفان –دت – دط – المجلد الأول – ص 31 .

[4]– التّرجيح بين دلالة السّياق وسبب النّزول – محمد أبو زيد – ص16.

[5]– المرجع نفسه– ص16.

﴿وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾.[1] قال ابن كثير في تفسيره : "وسياق الآية يقتضي أنّ حواء خلقت قبل دخول آدم الجنّة ".[2]

وتظهر أهميّة السّياق القرآني في كونه العلم الذي" يعرف به مراد الله سبحانه وتعالى من كلامه ، فكما لكلّ كلمة معنى ، لكلّ سياق غرض ومقصد صييغ الكلام من أجل بلوغه وتحقيقه ".[3]

ومن الطّرائف التّي تظهر قدر السّياق ما قاله الأصمعي : " قرأت هذه الآية: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[4]، وإلى جنبي أعرابيّ فقلت : "والله غفور رحيم " سهوا فقال الأعرابي : كلام من هذا ؟ قلت كلام الله ؟ قال أعد ،فأعدت "والله غفور رحيم "فقال ليس هذا كلام الله ، فتنبهت فقلت : " والله عزيز حكيم ". فقال :أصبت : أتقرأ القرآن ؟ قال : لا : قلت : فمن أين علمت أنّي أخطأت ؟ قال :يا هذا عزّ فحكم فقطع ، ولو غفر ورحم لما قطع "[5].

واعتمد علماء الأصول على فكرة السّياق في بيان المعنى في النّصوص الشّرعية ، فهذا الشّافعي (ت204هـ)يعنون أحد أبواب رسالته الأصولية بقوله "باب الصّنف الذي يبيّن سياقه معناه"[6].

---

[1]- البقرة – الآية – 35.

[2]- تفسير القرآن – ابن كثير – حققه أبو إسحاق الجويني – جار ابن الجوزي – ج1- ص351.

[3]- التّرجيح بين دلالة السّياق وسبب النّزول – محممد أبو زيد – ص 18.

[4]- المائدة – الآية 38.

[5]- التّرجيح بين دلالة السّياق وسبب النّزول – محمد أبوزيد –ص18.

[6]- الرّسالة – الإمام المطلبي محمد بن ادريس الشّافعي – تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر – مصر – مطبعة المصطفى- 1357هـ-1938- ط1- ص 62.

كما "تناول هذا المصطلح الإمام الزّركشي (ت794هـ)في مسألة خاصة بعنوان " دلالة السّياق " ضمن باب المختلف فيها وأيضا الشوكاني في المسألة الثّامنة والعشرين عندما تحدّث عن إمكان التّخصيص بالسّياق ".[1]

فدلالة السّياق إذن : حظيت بعناية فائقة لدى الباحثين القدامى على اختلاف اتّجاهاتهم تتناسب مع أهميّتها في تحديد دلالة الخطاب ، أو الكلام الذي يحيط به، والتّي تشمل معتقدات المتكلّم ومقاصده وشخصيته وتكوينه الثّقافي ، ومن يشارك في الحدث اللّغوي ، والوقائع الخارجية مثل الظّروف المكانية و الزّمانية[2] .

فهذا ابن القيم الجوزية (ت751هـ)يقول : "السّيّاق يرشد إلى تبيين المجمل ، وتعيين المحتمل ، العام وتقييد المطلق والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام وتقييد المطلق ، وتنوّع الدّلالة وهذا من أعظم القرائن الدّالة على مراد المتكلّم ، فمن أهمله غلط في نظره ، وغالط في مناظرته"[3]، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ** ﴾[4] .أبرز كيف أنّ سياقه يدلّ على أنّ المراد هو "الذّليل الحقير على عكس ما يوحي به ظاهر اللّفظ".[5]

"وبإرجاع الآية المذكورة إلى موقعها في النّظم القرآني يظهر أنّ المفردات الثلاث (الذوق والعزيز والكريم) لا تمنح دلالتها الظّاهرية المتمخّضة للخير والمكانة الرّفيعة ، وإنّما تحمل معاني السّخرية والتّوبيخ ."[6]

---

[1]- مصطلح السّياق في التّراث العربي وعلم اللّغة الحديث – العيد جلولي – مجلة مقاليد – العدد الأول – جوان – 2011- ص02.

[2]- ينظر: المرجع نفسه- ص02.

[3]- بدائع الفوائد – ابن القيم الجوزية – تح: علي بن محمد بن العمران – دار عالم الفوائد – ص 09.

[4]- الدّخان الآية 49.

[5]- دور السّياق في التّرجيح بين الأقاويل التّفسيرية – محمد إقبال عروي – مراجعة منهجية – الكويت – مكتبة الكويت الوطنية – 1428هـ-2007م- ص30.

[6]- ينظر : المرجع نفسه –ص28.

ويقول ابن دقيق العيد (ت702هـ) : " أمّا السّياق والقرائن فإنّها الدّالة على مراد المتكلّم من كلامه ، وهي المرشدة إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات "[1] .بمعنى أنّ السّياق هو الذي يكشف المعنى الذي ينطوي عليه القصد ممن كلام المتكلّم .

أما الشّاطبي (ت790هـ) فيُعَدُّ من الأصوليين الذين تنبّهوا إلى ضرورة اصطحاب حال السّياق لتحديد المعنى ، كما يرى أنّ الطّريقة المثلى لفهم النّص القرآني هي دراسته من خلال السّياق يقول : "والقول في ذلك – والله المستعان – أنّ المسافات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل ،و هذا معلوم في علم المعاني والبيان ، فالذي يكون على بال المستمع والمتفهّم الالتفات إلى أول الكلام وآخره ، لحسب القضيّة وما اقتضاه الحال فيها ، لا ينظر في أوّلها دون آخرها ، ولا في آخرها دون أوّلها ، فإنّ القضيّة وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلّق بالبعض ، لأنّها قضيّة واحدة نازلة في شيء واحد فلا محيص للمتفهّم عن رد "[2].

وقد قسّم الشّاطبي السّياق إلى أنواع نجدها أضبط وأشمل مقارنة ممّا ورد عند غيره فهو في منهجه أنواع يمكن ردّها إلى : [3]

1- سياق لغوي : وضعه في ثلاث :

1-1 في وضعه الإفرادي : ففهم اللّفظ في الكلام لا يتمّ إلاّ بردّ أوّله على آخره والنّظر إلى أحواله وأطرافه ، ولا يصحّ الاقتصار في النّظر على بعض أجزاء الكلام دون البعض إلاّ في موطن واحد هو الظّاهر في فهم الظّاهر بحسب اللّسان ، وما يقتضيه لا بحسب مقصود المتكلّم

2-1 في وضعه الاستعمالي العربي : وعمدته اعتبار مقاصد اللّسان التّي هي ملاك البيان لأنّ العرب تطلق ألفاظ العموم بحسب ما قصدت تعميمه ، ممّا يدلّ عليه معنى الكلام خاصّة دون ما تدلّ عليه تلك الألفاظ بحسب وضعه الإفرادي ، كما أنّها أيضا تطلقها وتقصد بها تعميم ما تدلّ عليه في أصل الوضع وكلّ ذلك ممّا يدلّ عليه مقتضى الحال .

---

[1]- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام – تقي الدّين ابن دقيق العيد – تحقيق محمّد حامد الفقي – مراجعة أحمد محمد شاكر – القاهرة- مطبعة السّنّة المحمّدية – 1372- 1953م –ج2- ص19.

[2]- دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين – موسى بن مصطفى العبيدان – ط1-2002- ص254.

[3]- منهج الدّرس الدّلالي عند الإمام الشّاطبي – عبد الحميد العلمي –دط1422-2001م –ص235.

1-3 في وضعه الشّرعي : وهو مقدّم على الاستعمال العربي لأنّ نسبة الوضع الشرعي إلى الاستعمال العربي كنسبة الوضع في الصّناعات الخاصّة إلى الوضع الجمهوري .

2- سيّاق التّخاطب : ويشما كل من المخاطب - بكسر الطّاء - والمخاطب –بفتحها- فمعرفة الكلام إنّما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال : حال الخطاب من جهة نفس الخطاب أو المخاطَب أو المخاطِب أو الجميع ، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين ، وبحسب مخاطبين وبحسب غير ذلك .

3- سياق التّنزيل : ويصدق على الإلمام بأسباب النّزول لأنّ معرفة التّنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن ، كما يصدق على ضرورة النّظر – عند إجراء الدّليل – إلى أحوال وأزمنة وعادات المكلّفين ، لأنّ المسافات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنّوازل .

4- سياق المقاصد : "وبموجبه يتعيّن النّظر في العلل وتفريق الأمارات وأوجه الحكم الجزئيّة والمصالح الكليّة التّي تتجسّد معانيها في مقاصد الشّرع السّامية .[1]

ويعرّف الشّيخ ابن عاشور المقاصد العامّة للشّريعة بقوله :"مقاصد التّشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشّارع في جميع أحوال التّشريع في معظمها ، بحيث لا تختصّ ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشّريعة ، وغايتها العامة والمعاني ، التّي لا يخلو التّشريع عن ملاحظتها ، ويدخل في هذا أيضا معانٍ من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ، ولكنّها ملحوظة في أنواع كثيرة منها. "[2]

الملاحظ على هذا التّعريف أنّه قصره في المقاصد العامّة للشّريعة ، حيث جعل المعاني هي المقاصد.

[1]- منهج الدّرس الدّلالي عند الإمام الشّاطبي – عبد الحميد العلمي – ص236.

[2]- نظرية المقاصد عند الإمام الشّاطبي – أحمد الرسيوني – تقديم طه جابر العلواني – الدار العالمية للكتاب الإسلامي – ط4- 1416 هـ -1990م-ص18.

فذَكَّر وبَيَّن أنّ من المقاصد العامّة : " حفظ النّظام ، وجلب المصالح ، ودرء المفاسد وإقامة المساواة بين النّاس ، وجعل الشّريعة مهابة مطاعة نافذة ، وجعل الأمّة قويّة مرهونة الجانب مطمئنّة البال ..."[1]

ويدخل في ذلك كلّ حكمة روعيت في تشريع أحكام وتصرّفات النّاس مثل قصد التّوثقة في عقد الرّهن ، وإقامة نظام المنزل والعائلة في عقدة الرّهن ، وإقامة نظام المنزل والعائلة في عقدة النّكاح، ودفع الضّرر المستدام في مشروعية الطّلاق .[2]

أمّا مقاصد الشّريعة عند علال الفاسي (ت 1974م) فقد جمعها في تعريف موجز واضح قال فيه : " المراد بمقاصد الشّريعة الغاية منها و الأسرار التّي وضعها الشّارع عند كلّ حكم من أحكامها "[3]. فشطره الأوّل الغاية (الغاية منها) ، يشير إلى سياق المقاصد العامّة .

وفي سياق الحديث دائما عن سياق المقاصد فقد ألفناه في الموافقات بالشّكل الآتي : " يدلّ عليه المساق أيضا ، وهذا السّياق يختص بمعرفته العارفون بمقاصد الشّارع تمييزا له عن المساق اللّغوي الذي يدرك بمطلق الفهم العربي في الاستعمال" [4].وهنا تمييز بين السّياق اللّغوي السالف الذّكر والسّياق المقاصدي، الذي يختص به العارفون لمقاصد الشّرع.

وهو عند الغزالي " عبارة عن تصفح جزئيات كثيرة داخلة تحت معنى كلي ، حتّى إذا وجدت حكما في تلك الجزئيات حكمت على ذلك الكلي به "[5].

[1]- نظريّة المقاصد عند الإمام الشّاطبي – أحمد الرّسيوني– ص 18.
[2]- المرجع نفسه– ص18.
[3]- ينظر : المرجع نفسه : ص18.
[4]- منهج الدّرس الدّلالي عند الإمام الشّاطبي – عبد الحميد العلمي – ص 238.
[5]-المرجع نفسه – ص144.

5- سياق الاستقراء : أمّا سياق الاستقراء فعليه مدار العلم والفتوى في منهجه ، خاصّة في مختلف المباحث والقضايا ، فأصول الفقه إنّما معناها استقراء كليات الأدلّة حتّى تكون عند المجتهد نصب عين ، وعند الطّالب سهلة الملتمس" [1].

"وانطلاقا من مبدأ شمولية الشّريعة ، وضرورة إنزالها وفق الإدراك ، فإنّ طبيعة التّصرّف فيها يجب أن تتّصف بمبدأ ذلك الشّمول ، لأنّ مآخذ الأدلّة عند الرّاسخين إذ هو أن تؤخذ الشّريعة كالصّورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتّبة عليها ، وعامها المرتّب على خاصها ، ومطلقها المحمول على مقيدها بينها إلى ما سوى ذلك من مناحيها ." [2]

من خلال ما سبق نجد اهتمام الأصوليين وعلماء القرآن والمفسّرين في دراسة النّص القرآني وفهم معانيه على السّياق ، فلم يقتصروا في تفسيرهم لآي القرآن على المفردات وحسب ، ولكن أكّدوا على ضرورة الاهتمام بالسّياق لبيان المعنى المقصود، والوقوف على المعنى .

- **السّياق عند البلاغيين** :

اهتم البلاغيون القدماء والمحدثون بالسّياق اهتماما "يتناسب ونتيجته في التّواصل الاجتماعي، وأثره في دراسة النّص وتحليل الخطاب، ودوره في عمليّة التّلقي".[3]

"حيث اتّخذ مبحث السّياق عندهم نمطا إجرائيا أثناء البحث في مفهوم الدّلالة وأنواعها ، ومنطلقات تقسيمها ، وغير ذلك ممّا نجده في كتب أهل البلاغة ، غير أنّه تلزم الإشارة إلى أنّ أولى

[1]- منهج الدّرس الدّلالي عند الإمام الشّاطبي – عبد الحميد العلمي- ص 239..

[2]-ينظر المرجع نفسه – ص239

[3]- المعنى خارج النّص – أثر السّياق في تحديد دلالات الخطاب – فاطمة الشّيدي – دمشق – دار نينوي – 2011- ص07.

الأفكار التّي تناولت مفهوم السّياق وردت في الدّراسات الأصوليّة خاصّة في كتاب الرّسالة "[1].والواضح في الأمر أنّ مبحث السّياق عنصر مشترك بين البلاغة والدّلالة .

فقد أثّر السّياق في فهم خطاب العرب " إنّما خاطب كتاب العرب بلسانها ، على ما تعرف من معانيها ، وكان ممّا تعرف من معانيها : اتّساع لسانها ، وأنّ فطرته أن يخاطب بالشّيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظّاهر ، ويستغنى بأوّل هذا عن آخره ، وعامّا ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص ، فيستدلّ عل هذا ببعض ما خوطب به فيه ، وعاما ظاهرا يراد به الخاص ، وظاهرا يعرف في سياقه أنّ يراد به ظاهره ، فكلّ هذا موجود علمه في أوّل الكلام أو وسطه أو آخره "[2] .

وأشار الباحث" تمام حسان " إلى تعرّض البلاغيين العرب للسّياق بنوعيه وتحليلهم له في إطار معالجتهم لفكرة" لكلّ مقام مقال " فوجد أنّهم متقدّمين في ذلك : " ولقد كان البلاغيون في اعترافهم بفكرة المقام متقدّمين ألف سنة تقريبا على زمانهم لأنّ الاعتراف بفكرتي المقام والمقال باعتبارهما أساسين متميّزين من أسس تحليل المعنى . يعتبر الآن من الكشوف التّي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللّغة ."[3]

انصبّ اهتمام البلاغيين في دراستهم للسياق على فكرة مقتضى الحال والعلاقة بين المقال والمقام، كما ركزوا جلّ جهودهم على الاهتمام بأحوال المتكلم والمستمع. ومن الأمثلة على ذلك :

- **عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)** : الذي ربط فصاحة الكلمة بسياقها اللّغوي والتّركيب الذي قيلت فيه يقول : " فقد اتّضح اتّضاحا لا يدعو للشّكّ مجالا أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة ، ولا من حيث هي كلم مفردة ، أنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة ، وخلافها في ملاءمة معنى اللّفظة لمعنى التّي تليها أو ما أشبه ذلك ، مما تعلّق له بصريح اللّفظ ، وممّا يشهد لذلك أنّك

[1]- ينظر: السّياق في الدّراسات الأصولية والبلاغية –دراسة تحليلية في ضوء نظريّة السّياق – أسامة عبد العزيز جاب الله – قسم اللّغة العربية – جامعة كفر الشّيخ – ص07.

[2]- نظريّة السّياق – دراسة أسلوبية – نجم الدّين قادر كريم الزّنكي- ص37-38.

[3]- اللّغة العربيّة معناها ومبناها – تمام حسان – المغرب – دار الثّقافة –دط- 1994م- ص337.

ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثمّ تراها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر ."[1] وفي هذا إشارة إلى أهميّة السّياق في إضفاء الجمال والحسن على الكلمة .

"ومن ذلك لفظة (الأخدع) في بيت الحماسة : (طويل)

تَلَفَّتُ نحو الحيِّ حَتّىَ وجدتُّني *** وجِعت مِنَ الإصْغَاءِ لِيتا و أخْدَعَا

فإنّ لها في هذين المكانين مالا يخفى من الحسن ، ثمّ إنّك تتأمّلها في بيت أبي تمام (البسيط):

يَا دَهْرُ قَوِّم مِن أخدَعَيْكَ فَقَد *** أَضْجَجَتَ هذا الأنام مِنْ خُرُقِك .

فنجد لها من الثّقل على النّفس ومن التّنغيص والتّكدير ، أضعاف ما وجدت هناك من الرّوح والخفّة ومن الإيناس والبهجة ."[2]

فالمثال الذي قدّمه عبد القاهر الجرجاني يركّز على دور السّياق في الحكم على بلاغة كلّ بيت من الأبيات على اللّغة التّي استعملها الشّعراء في التّعبير عن الدّلالة التّي يريدون توصيلها إلى السّامع ، لذلك فاللّغة عنده ليست مجموعة من الألفاظ ، بل هي مجموعة من العلاقات التّي تنشأ فيما بين تلك الألفاظ ، ويبيّن الجرجاني في موضع آخر أثر السّياق الثّقافي في التّمييز بين الحقيقة والمجاز ، و هو أمر وثيق الصّلة بإجلاء المعنى . فالوقوف على ثقافة المتكلّم ومعتقداته يبيّن ذلك .[3]

وقد ركّز عبد القاهر الجرجاني على السّياق اللّغوي من حيث بناء الكلمات وترابطها لإحداث فكرة أو معنى ما ."فالسّياق الحالي أو المقامي هو وضع موافقة الكلام لمقتضى الحال "ليس الغرض

[1]- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تح: محمد رضوان الداية – فايز الداية – دمشق – دار الفكر –ط1-1428-2007م-ص 94.

[2]- المرجع نفسه – ص 202 .

[3]- السّياق والنّص استقصاء دور السّياق في تحقيق التّماسك النّصي – فطومة لحمادي – جامعة محمد خيضر – بسكرة الجزائر –– العدد الثّاني والثّالث - جوان - 2008-ص 16.

بنظم الكلام أن توالت ألفاظها في النّطق ، بل أن تناسقت دلالتها ، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل " [1].

كما يرى أنّ الكلام المنطوق بصورة منظّمة هو المستوى الثّاني من الكلام ، وهو ما يسمّيه بالنّظم ويشبه أن يكون النّظم مرادفا لمفهوم السّياق فيقول : " إنّ الألفاظ المفردة التّي هي أوضاع اللّغة لم توضع لتعرف معانيها في نفسها ، ولكن لأن يضمّ يبعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائده "[2].

- **ابن الأثير(ت637هـ)** : "من الذين اهتموا أيضا بالسّياق ودوره في جمال النّص فقد أشار إلى أنّه قد تجد لفظتين تدلاّن على معنى واحد وكلاهما حسن الاستعمال، ولهما وزن واحد إلاّ أنّه لا يحسن استعمال لفظة في كلّ موضع تستعمل فيه اللّفظة الأخرى، ويمثّل لذلك بلفظتي (الجوف) و(البطن) [3].

ففي قوله تعالى : ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾[4].وفي قوله أيضا : ﴿**رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا**﴾[5] . استعمل الجوف في الأول والبطن في الثّانية ، ولم يستعمل (الجوف) موضع (البطن) ، ولا (البطن) موضع (الجوف) واللّفظتان سواء في الدّلالة ، وهما ثلاثيتان ووزنهما واحد ".[6]

- **الجاحظ** : (**ت 255هـ**) : نقل الجاحظ في البيان والتبيين عن بشر بن المعتمر قوله : " ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدر المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ينبغي وبين أقدار الحالات ،

---

[1]- المعنى خارج النّص -أثر السّياق في تحديد دلالات الخطاب – ص50

[2]- المرجع نفسه – 60

[3]- ينظر : السّياق والنّص استقصاء دور السّياق في تحقيق التّماسك النّصي – فطومة لحمادي- ص18.

[4]- الأحزاب . الآية 04

[5]- آل عمران الآية 35.

[6]- المرجع نفسه – ص 18.

فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ، ولكلّ حالة من ذلك مقاما ، حتّى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسّم أقدار على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات".[1]

- **السّكاكي** : (ت 626هـ) وقد بيّن أهميّة معرفة العلاقة بين للسّياق المقالي والسّياق المقامي وبين الكلام والموجه إليه ومناسبته شارحا مقولة لكلّ مقام مقال بقوله : "لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التشكّر يباين مقام الشّكاية ، ومقام التّهنئة يباين مقام التّعزية ، ومقام المدح يباين مقام الذم ، ومقام التّرغيب يباين مقام التّرهيب ، ومقام الجدّ في جميع ذلك يباين مقام الهزل .... ولكلّ من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر ، وهو الذي نسمّيه مقتضى الحال ".[2]

وأوضح السّكاكي بأنّ للصّياغة مستويين يختلفان بحسب السّياق الذي يردان فيه : "الأول هو المستوى اللّغوي والثّاني هو مقتضى البيان المتميّز بطابعه الجمالي ، وفكرة الحال والمقام في تفكير البلاغيين مرتبطان بالبعدين الزّماني والمكاني للكلام ،وذلك أنّ الأمر الذي يدعو المتكلّم إلى تقديم صياغة على وجه معين ، فإمّا أن يتّصل بمكان هذه الصّياغة ويسمّى المقام الجانب من السّياق و هو الجانب الاجتماعي الذي يدرسه البلاغيون ."[3]

- **القزويني**: (**ت 605هـ**): ذهب مذهب السّكاكي حيث عرّف البلاغة بقوله : "وأمّا بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ".[4]

على هذا يتضّح لنا أنّ البلاغيين عرفوا منذ القدم ظاهرة السّياق ، وطبّقوها من خلال مقولتهم الشّهيرة لكلّ مقام مقال، فتمخّضت أبحاثهم انطلاقا من هذه الفكرة ، حيث أصبح مقياس حسن الكلام وقبوله بما يتناسب ومقتضى الحال .

---

[1]- البيان والتبيين – الجاحظ – تحقيق عبد السّلام محمد هارون – القاهرة – مكتبة الخانجي – ص138-139

[2]- المعنى خارج السّياق أثر السّياق في تحديد دلالات الخطاب –ص56.

[3]- السّياق والنّص استقراء دور السّياق في تحقيق التّماسك النّصي .- ص 17.

[4]- الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني – شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي – القاهرة – النّاشر عيسى بابي الحلبي –1372هـ-1953م- ص47.

ج – السّياق عند النّحاة :

تجلّى اهتمام النّحاة بالسّياق في العديد من المناسبات ومنهم:

- **الخليل بن أحمد ت (175هـ)**: "حيث اعتنى بالعلاقة بين المتكلّم والمخاطب ، وذلك عند الحديث على قد جواب لمن قال لما يفعل . فنقول الجواب: قد فعل ، وزعم الخليل أنّ هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر فقال الخليل : إنّ العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم لأيّ شيء وضع هذا الكلام "[1].

وفي هذا دلالة على أنّ الخليل اعتمد في تقعيده النّحوي لبيان معنى التّراكيب ودلالتها على السّياق اللّغوي وغير اللّغوي، فقد اعتنى بالعلاقة بين المتكلم والمخاطب.

- **سيبويه (ت180هـ)**: "فقد ظهر اهتمامه بكلّ من السّياق اللّغوي والحال ، لما لذلك من أثر في مباني التّراكيب من حيث الذّكر والحذف والتّقديم والتّأخير أو التّوجيه النّحوي ، والحكم بصحّة التّراكيب . فقد ورد في باب (ما أجري مجرى ليس في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ، ثمّ يصير إلى أصله) . يقول الشّاعر : أبو داود:

أَكُلّ امْرِئ تَحْسَبين إِمْرأ *** وَنَار تُوقّد بِاللّيل نَارًا "[2]

" ثمّ يواصل حديثه قائلا : فاستغنيت عن تثنية (كل) لذكرك إيّاه في أوّل الكلمة ، ولقلّة التباسه على المخاطب ، وجاز كما جاز في قولك ، ما مثل عبد الله يقول ذاك ولا أخيه ، وإن شئت قلت : ولا مثل أخيه ، فكما جاز في جميع الخبر كذلك يجوز في تفريقه ، وتفريقه أن تقول ما مثل

[1]– الكتاب – سيبويه – تح : عبد السّلام محمد هارون – القاهرة – مكتبة الخانجي – دط – 1408هـ-1988م- ج3- ص103.

[2]– المرجع نفسه – ص 66

عبد الله يقول ذاك ولا أخيه يكره ذاك ، ومثل ذلك ما مثل أخيك ولا أبيك يقولان ذاك ، فلمّا جاز في هذا جاز في ذلك. [1]

"ويقول أيضا في (ضرب عبد الله زيدا) فعبد الله ارتفع هاهنا كما ارتفع في ذهب ، وشغلت ضرب به كما شغلت به ذهب ، وانتصب زيد لأنّه مفعول تعدّى إليه فعل الفاعل ، فإذا قدّمت المفعول وأخّرت الفاعل جرى اللّفظ كما جرى في الأوّل وذلك قولك : ضرب زيد عبد الله ، لأنّك أردت به مؤخرا ما أردت به مقدّما وهو عربيّ جيّد كثير ، كأنّهم إنّما يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم ، وهم ببيانه أغنى وإن كانا جميعا يهمّانهم ويعنيانهم "[2].

سيبويه يوضّح هنا دور العلامة الإعرابية في بيان الفاعل والمفعول به حتّى وإن كان هناك تقديم وتأخير جرى اللّفظ كما جرى في الأول .

"أمّا في(باب المفعول الذي تعدّاه فعله فيؤكّد على دلالة العلامة الإعرابية وتفريقها بين نائب الفاعل والمفعول)يقول : وذلك قول كسي عبد الله الثّوب ، وأعطي عبد الله المال ، رفعت عبد الله ههنا كما رفعته في ضرب حين قلت ضرب عبد الله ، وشغلت به كسي وأعطي كما شغلت به ضرب ،وانتصب الثّوب والمال لأنّهما مفعولان تعدّى إليهما فعل مفعول بمنزلة الفاعل . وإن شئت قدّمت وأخّرت فقلت : كسى الثّوب زيد ، وأعطي المال عبد الله . كما قلت : ضرب زيد عبد الله، فأمره في هذا كأمر الفاعل .[3]

"وفي باب (ما يكون فيه الاسم مبنيا على الفعل قدّم أو أخّر ، وما يكون فيه الفعل مبنيا على الاسم) فيواصل عنايته واهتمامه بالمفعول يقول : " فإذا بنيت الاسم عليه قلت : ضربت زيدا ، وهو الحدّ لأنّك تريد أن تعلمه ، وتحمل عليه الاسم كما كان الحدّ ضرب زيد عمرا ، حيث كان زيد أوّل

[1]- الكتاب- سيبويه -66

[2]- المرجع نفسه – ص34.

[3]- المرجع نفسه- ص 46

من شغل به الفعل ، وكذلك هذا إذا كان يعمل فيه ، وإن قدّمت الاسم فهو عربيّ جيّد ، كما كان ذلك عربيّا جيّدا وذلك قولك: زيد ضربت والاهتمام والعناية هاهنا التّقديم والتّأخير سواء مثله في ضرب زيد عمرًا ، وضرب عمرًا زيد "[1].

- **ابن جني** : (**ت 392هـ**): يقول في هذا الموضع : "فإن قيل ألا تعلم أنّ الفاعل رتبته التّقدّم والمفعول رتبته التّأخّر ، فقد وقع كلّ منهما الموقع الذي هو أولى به ، فليس لك أن تعتقد في الفاعل، وقد وقع مقدّما أنّ موضعه التّأخير ، وإنّما المأخوذ به في ذلك أن يعتقد في الفاعل إذا وقع مؤخّرا أنّ موضعه التّقديم ، فإذا وقع مقدّما فقد أخذ مأخذه ، ورست به قدمه ، وإذا كان كذلك وقع المضمر قبل مظهره لفظا ومعنى ، وهذا ما لا يجوّزه القياس ، قيل الأمر وإن كان ظاهره ما تقوله فإنّ هنا طريقا يسوّغك غيره ، وذلك أنّ المفعول شاع عنهم واطّرد من مذاهبهم كثرة تقدّمه على الفاعل ، حتّى دعا ذلك أبا علي إلى أن قال : إن تقدّم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه ، كما تقدّم الفاعل قسم أيضا قائم برأسه ، وإن كان تقديم الفاعل أكثر وقد جاء به الاستعمال مجيئا واسعا "[2].

فيمكن للمفعول أن يتقدّم على الفاعل ، ولكن لسبب قصد إليها المتكلّم من أجل العناية والاهتمام به ، وإن كان تقديم المفعول على الفاعل للعناية والاهتمام به فإنّ تقديم المفعول على الفاعل للغرض البلاغي نفسه .

[1]- الكتاب- سيبويه – ص80 .

[2]- ينظر الخصائص – ابن جنّي – تح محمد علي النّجار – مصر – المكتبة العلمية – دط- دت –ج1- ص 294-295

III. السّياق عند المحدثين:

إنّ الباحث في الدّرس اللّساني يظهر له بوضوح أنّ الحديث عن نظريّة السّياق ضاربة في القدم ولكنّها ممتدّة عند علمائنا المحدثين فمن أهمّ اللّغويين العرب المحدثين نجد :

- تمام حسان : "تحدّث عن السّياق من خلال ربطه بين الشّكل والوظيفة في حديثه عن المجاورة في السّياق . أي : دراسة الكلمة عن طريق المجاورة في السّياق بوصفها نواة الدّلالة أو لأنّها ذات معنى معجمي وفرّق بين المعنى المعجمي والمعنى الوظيفي "[1] ووضع مسائل الرّبط في السّياق على النّحو التّالي :[2]
  - وسائل التّماسك السّياقي .
  - وسائل التّوافق السّياقي .
  - وسائل التّأثير السّياقي .

"وقد جعل المعنى الدلالي يرتكز على المعنى المقالي ،و المعنى المقامي وفق الشّكل الذي يوضّح العلاقة بينهما :"[3]

المعنى الدّلالي

المعنى المقالي	المعنى المقامي
وهو مكون من المعنى الوظيفي + المعنى المعجمي ويشمل القرائن المقالية	وهو مكون من ظروف أداء المقال والتي تشمل القرائن الحالية (وكل ذلك يسمى المقام)

[1]- ملامح نظريّة السّياق في الدّرس اللّغوي الحديث – محمد إسماعيل بصلة – فاطمة بلة – مجلّة الدّراسات اللّسانية –العدد – 18- 2014- ص 09.

[2]- المرجع نفسه – ص 11

[3]- اللّغة العربية معناها ومبناها – تمام حسان –ص 393.

كما وجدت .(منها ما هو معنويّ، ومنها ما هو لفظي).

وتحدّث عن نوع المقامات التّي تكمّل الطّابع الاجتماعي" فتمام حسان " جعل المقام مركّبا ، والموقف بسيطا كالمثال الذي قال فيه الرّجل لزوجته :" أهلا بالجميلة " أنّ الاحتمالات التي تحتملها هذه التّحيّة تتنوّع بتنوّع المقامات من مقام غزل إلى مقام توبيخ إلى مقام تعبير ولا يمكن لواحد من هذه المعاني أن يؤخد أخذا مباشرا من المعنى المعجمي لكلمة (أهلا) ولا المعنى المعجمي لكلمة الجميلة ولا من المعنى الوظيفي للأيّ منها ولا الباء التّي ربطت بينهما في السّياق ."[1]

فالمعنى الذي يتوجّب علينا فهمه مأخوذ من المقام لا من المقال .

يكمل العبارة نفسها : " أهلا بالجميلة يختلف المقام معه عن الذي يقوله لفرسه عندما يراها ، فمقام توجيه هذه العبارة للفرس هو مقام التّرويض ، فالمعنى يختلف بحسب المقام الاجتماعي ."[2]

كما نجده أيضا في كتابه (اللّغة العربيّة بين المعياريّة والوصفيّة) الذي : " راوح فيه بين نقد التّفكير اللّغوي القديم الذي وصفه بالمعياريّة وبين طرحه للمنهج الجديد الذي يقول : فكرت في أنر الدّراسات العربيّة القديمة من حيث المنهج ، لا من حيث التّفاصيل ، وجعلت تفكيري في أمرها مستضيئا بمناهج الدّراسات اللّغويّة الحديثة ، ثمّ بدأ يطرح مفهومة مدرسة فيرث عن اجتماعيّة اللّغة ، من حيث عناصر النّشاط الاجتماعي والفردي ، وعدّ خطرها في حياة الفرد لا يقلّ عن خطرها في حياة المجتمع ".[3]

[1]- ملامح نظريّة السّياق في الدّرس اللّغوي الحديث – محمد إسماعيل بصلة – وفاطمة بلّة – ص 11.

[2]- المرجع نفسه – ص 11.

[3]- الاتّجاهات النّحويّة لدى القدماء – دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة – حليمة أحمد عمايرة – عمان – دار وائل – ط1- 2006م- ص196.

وقد ضمّ المقام عند تمام حسان : المتكلّم ، المستمع ، والظّروف الاجتماعية والأحداث الواردة في الماضي والحاضر وسميّ المقام بالموقف اللّغوي ".[1]

- أحمد مختار عمر : أفرد قسما خاصّا بنظريّة السّياق في كتابه : " علم الدّلالة " ذاكرا التعّريفات الكثيرة لعناصر السّياق ومعدّدا أنواع السّياق وحدّد منهج فيرث السّياقي وتحديده لمصطلح الموقف وراح يقارن بمنهج ستيفن أولمان ، وترجم نصوصا لهذه النّظريّة ، وحدّد نظريّة الرّصف لدى فيرث"[2].
- محمود السّعران : من الباحثين الذين تأثّروا أيضا بنظريّة السّياق: " فقد مثّلت عنده آخر المدارس اللّغويّة التّي اهتمّت بالمعنى ، وقد وقف عندها بالتّفصيل عارضا لآراء مالينوفسكي الذي أقام عليها فيرث نظريّة سياق الحال ، ويرى السّعران نّ هذه المدرسة تنظر إلى المعنى على أنّه وحدة مركّبة من مجموعة من الوظائف اللّغويّة والصّوتية والفونولوجيّة والنّحوية والمعجميّة "[3] .
- كمال بشر :" تناول أيضا هذه النّظريّة من جانبها النّظري كما هو شأن محمود السّعران ، ولم يتعرّضا للجانب العملي التّطبيقي ، حيث دعا كمال بشر إلى تطبيق هذه النّظريّة في الدّرس اللّغوي العربي وخصوصا في تناولنا للتّراث" [4].

IV. السيّاق في الدّرس اللّساني الغربي الحديث :

من النّظريات الحديثة التّي ظهرت في ميدان البحث اللّغوي، و التّي عنيت بوضع منهج معيّن لدراسة المعنى نظريّة السّياق .

[1]- المقام والقرينة الحالية ودورهما في المعنى – صالحة حاج يعقوب – الجامعية العالمية الإسلاميّة بماليزيا – ص03

[2]- ملامح نظريّة السّياق في الدّرس الحديث – محمد إسماعيل بصلة-فاطمة بلة –ص14.

[3]- الاتّجاهات النّحويّة لدى القدماء –دراسة تحليليّة في ضوء المناهج المعاصرة – حليمة أحمد عمايرة – ص 46.

[4]- المرجع نفسه – ص 46.

أ- نظرّية السّياق :

" يعتمد أصحاب هذه النّظريّة في تحديدهم للدّلالات اللّغويّة على المنهج الذي اشتهرت به الدّراسات الفيلولوجية في تحقيقها للنّصوص القديمة ، فيرون أنّه لتحديد وحدة لغويّة يجب أن نتتبّع و نستقرئ جميع السّياقات التّي تحقّقت فيها " .[1]وفي هذا تركيز على جميع الظروف المحيطة بالوحدة اللّغويّة .

" فمادام نظام اللّغة نظام متشابك من العلاقات بين وحداته ، ومفتوح دوما على التّجديد و التّغيير في بنياته المعجميّة والتّركيبيّة حتّى غدا تحديد دلالة الكلمة يحتاج إلى تحديد مجموع السّياقات التّي ترد فيها ، وهذا ما نادت به النّظريّة السّياقية التّي نفت عن الصّيغة اللّغويّة دلالتها المعجميّة يقول مارتيني : " خارج السّياق لا تتوفّر الكلمة على معنى "[2] .فمعنى الكلمة يتحدّد عن طريق الأسيقة التّي ترد فيها .

و يعدّ منهج النّظريّة السّياقيّة" من المناهج الأكثر موضوعيّة ومقاربة للدّلالة ذلك أنّه يقدّم نموذجا فعليا لتحديد دلالة الصّيغ اللّغويّة ، وقد تبنّى كثير من علماء اللّغة هذا المنهج منهم العالم (وتغنشتين)- (witgenstein) الذي صرح قائلا : لا تفتّش معنى الكلمة وإنّما عن الطّريقة التّي تستعمل فيها ."[3]

---

[1]- مبادئ في اللّسانيات – خولة طالب الإبراهيمي - الجزائر – دار القصبة للنّشر –ط2- 2000- ص 121.

[2]- علم الدّلالة أصوله ومباحثه في التّراث العربي – منقور عبد الجليل – دمشق – منشورات اتّحاد كتّاب العرب -2001.- ص90.

[3]- المرجع نفسه – ص 90

ب- السّياق عند فيرث :

"اقترنت نظريّة السّياق أو النّظريّة السّياقية للمعنى the contextual theory of meaning باسم اللّغوي الانجليزي فيرث (firth) الذي تأثّر بالأنثروبولوجي المعروف مالينوفسكي (Malinowski) في حديثه عن السّياق ".[1]

"وعلى الرّغم من أنّ فكرة السّياق قد عالجها علماء اللّغة قديما من خلال إجرائهم أثر السّياق في فهم الحدث اللّغوي إلاّ أنّ "فيرث" قد توسّع في معالجتها بحيث كوّنت نظريّة متكاملة ، وأصبحت أساس المدرسة اللّغويّة الاجتماعيّة حيث عالج جميع الظّروف اللّغويّة لتحديد المعنى ، ومن ثمّ حاول إثبات صدق المقولة بأنّ المعنى وظيفة السّياق ".[2]

ويكن تلخيص نظرية فيرث في كونها تنظر إلى المعنى على "أنّه وظيفة في سياق ، وهو ما عدّ تحولا في النّظر إلى المعنى بعد أن كان يوصف بأنّه علاقة بين اللّفظ وما يحيل عليه في الخارج ، أو في الذّهن من حقائق وأحداث ".[3]

ويعدّ ما فعله فيرث في هذا الشّأن نظرة ابستمولوجية *أنطولوجية كبيرة في حقل اللّسانيات ، لأنّها دعمت الموقف السّلوكي في ذهابه إلى صعوبة البحث الدّلالي المعتمد على المنطق ، والتّصوّرات

---

[1]- في علم الدّلالة – دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات –كريم محمد حسن حبل – دار المعرفة الجامعيّة – 1997- ص22.

[2]- العلاقات السّياقية في بناء الجملة القرآنية سورة الأحقاف نموذجا – هديل عبد الحميد داوود البكر – مجلّة التّربيّة والتّعليم – مج 19- العدد1- 2012- ص267.

[3]- مدخل إل اللّسانيات – محمد محمد يونس علي – دار الكتاب الجديدة المتّحدة – ط1- 2004- ص79.

*- مصطلح الإبستيمولوجيا (EPISTEMOLOGIE) : مصطلح جديد صيغ من كلمتين يونانيتين : EPISTEMEومعناها : علم و logos: وفي معانيها : علم ونقد ونظرية ودراسة ... وبذلك تكون الإبستيمولوجيا من حيث الاشتقاقات اللّغويّة هي علم العلوم ، أو الدّراسة النّقديّة للعلوم . من كتاب قضايا ابستمولوجية في اللّسانيات – امحمد الملاخ – حافظ إسماعيل علوي – الدّار العربيّة للعلوم ناشرون – ط1- 1430-2009- ص21.

الوجوديّة المختلفة التّي كانت سائدة في الفلسفة الإغريقية ، كما فتحت الباب نحو نهج جديد في دراسة المعنى على نحو يراعي الاستخدامات الفعليّة للّغة .[1]

ت- ستيفن أولمان والسّياق : (stephen ullmann)

من اللّغويين الغربيين الذين عُنِيُوا بموضوع السّياق عناية كبيرة وعرّفوه وتداولوه ستيفان أولمان تحدّث عن المصطلح (contexte) بقوله: " كلمة (contexte) قد استعملت حديثا في معان مختلفة منها النّظم اللّفظي للكلمة وموقعها من ذلك النّظم ، لذا فالسّياق ينبغي إضافة إلى اشتماله على الجمل الحقيقيّة السّابقة واللاحقة أن يتضمّن القطعة كلّها والكتاب كلّه وما يتّصل بالكلمة من ظروف وملابسات ، كما أنّ للعناصر غير اللّغويّة المتعلّقة بالمقام دورا بالغا في هذا الشّأن ، وكلاهما ينطويان تحت سياق الثّقافة .[2]

كما يرى أولمان ." أنّ العنصر المتّخذ موضوعا للتّحليل هو الذي يحدّد حجم السّياق وتنوّعه".[3]

يعدّد أولمان أنماطا خمسة من وظائف السّياق هي كالآتي :[4]

1- السّياق وحده كفيل بتوضيح ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تحمل على أنّها تعبير موضوعي صرف أم تعبير عاطفي انفعالي ، ويمثّل لذلك بكلمة(جدار) في مقطوعة شعريّة ، وكلمتي (حريّة وعدل) وغيرهما ممّا له مضمون مؤثّر

2- السّياق وحده أداة تعيين حدود ومجال الكلمة في أيّ موقف معيّن ، ككلمة (انجليزي) التّي يتّسع مجال استعمالها باعتبارها مصطلحا لغويّا عاما أكثر منه مصطلحا قوميا في مقابل (إيرلنديّ) (اسكتلندي) .

---

[1]- مدخل إلى اللّسانيات – محمد محمد يونس علي – ص80.

[2]- دلالة السّياق – ردّة الله بن ردّة الطّلحي – ص52.

[3]- المرجع نفسه – ص 52.

[4]- السّياق في الدّرس اللّساني الحديث – غنيّة تومي – مجلة المخبر – العدد 6- 2010- 17.

3- السّياق وحده يوجّه دلالات الكلمات ذوات المعاني المركزيّة الثّابتة في الاستعمال ن فالسّياق يبيّن ما إذا كان المقصود بكلمة (قريب) قرابة رحم أو مسافة .

4- السّياق وحده القادر على تحديد معنى واحد من بين معاني الكلمة خارج التّركيب مثل الفعل (أدرك)الذي يحمل معاني متعدّدة وغير محدّدة تؤدّي إلى الغموض ، وبمراعاة السّياق الواقع فيه الفعل يتأكّد المقصود مثل (لحق به) أم (عاصره) أم (رأى) أم (بلغ) .....

5- السّياق وحده يكشف المقصود من الكلمات المتّفقة النّطق مثل seaوsee، وهو ما يسمّى بالمشترك اللّفظي الذي يتلاشى غموضه بصمّام الأمان الذي يتمثّل في السّياق .

من خلال تحديد أولمان لأنماط السّياق يظهر بوضوح أهميّة السّياق عنده في الكشف عن المقصود من الكلمة في أيّ مجال أو تغيير داخل التّركيب وخارجه حتّى لو كانت الكلمات المتفقة في النّطق .

ولهذا يستقيم وصف أولمان للسّياق" بأنّه صمام الأمان الذي لا يسمح باندماج حقول المصطلحات في الغالب ".[1]

كما اعتبر أولمان (ulmann) "المنهج السّياقي خطوة تمهيديّة للمنهج التّحليلي الذي صرّح بأنّ المعجمي يجب –أولا- أن يلاحظ كلّ كلمة في سياقها (كما ترد في الحديث أو النّص المكتوب) بمعنى أنّنا يجب أن ندرسها في واقع عملي (أي الكلام) ثمّ نستخلص من هذه الأحداث الواقعية العامل المشترك ، ونستخلصه على أنّه المعنى أو (المعاني)للكلمة .[2]

ث- السّياق عند مالينوفسكي:(Malinowski)

"نشأ اهتمام مالينوفسكي باللّغة من عمله في جزر التّروبرياند جنوبي الباسفيك ، وكان معنيّا على وجه – الخصوص- بعجزه عن الوصول إلى أيّ ترجمات مرضيّة للنّصوص التّي سجّلها ، فقد سجّل

[1] - ظاهرة اللّبس في العربية –جدل التّواصل والتّفاهم – مهدي أسعد عراز – دار وائل للنّشر- ط1- 2003- ص73.
[2] - علم الدّلالة – أحمد مختار عمر – عالم الكتب – ص5-1998- ص70.

على سبيل المثال فخرا (لصاحب زورق – طويل – خفيف – ضيّق – يقاد بمجدف (conieist) وترجمه على النّحو التّالي (ونحن – نجري أمام – خشب أنفسنا–... نحن نتحول – نحن نرى زملاء نا هو – يجري ينصب خشب ."[1]

وزعم مالينوفسكي "أنّ هذا الكلام المنطوق يكون معنى فقط ، لو رأيناه في السّياق الذي استخدم فيه ، وإنّ اللّغات الحيّة يجب ألا تعامل معاملة اللّغات الميّتة ، تنتزع من سياق حالها "[2].

كما "عدّ مالينوفسكي اللّغة أداة تخدم أغراض الجماعة ، فلا تقتصر وظيفتها على نقل الأفكار والانفعالات فقط بل لها وظائف كثيرة غير ذلك ، ثمّ إنّها تؤدّي وظائفها في نطاق ما عرف عنده باسم سياق الحال" .[3]

واستخدم مالينوفسكي مصطلح سياق الحال ، ثمّ تطوّر هذا المصطلح على يد فيرث في الدّراسات اللّغويّة وقد حدّد مالينوفسكي أسس سياق الحال فيما يأتي :[4]

- ✓ المنطوقات اللّغوية لا تنطق ولا تفهم في حدّ ذاتها ، ولكنّها في حاجة إلى الملابسات والظّروف التّي تمثّل كلّ ما هو شخصي وثقافي وتاريخي.
- ✓ كما دعا إلى دراسة الرّمز والمفهوم في ضوء السّياق اللّغوي وغير اللّغوي في مشاركة المشاركين ثقافيا واجتماعيا .
- ✓ وأيضا الحثّ على ضرورة فهم الألفاظ من خلال ثقافة المجتمعات ، وأشار إلى أثر تقارب الثّقافات في تسهيل التّرجمة .

---

[1]– علم الدّلالة – ف .ر بالمر – ترجمة صبري إبراهيم السّيّد – الإسكندرية – دار المعرفة الجامعيّة – 1995–ص74

[2]– المرجع نفسه –ص 74

[3]– علم اللّغة بين القديم والحديث – عبد الغفّار حامد هلال – ط1 1406–1986–ص314.

[4]– السّياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكوّن التّركيبي – عرفة عبد المقصود عامر حسن – شبكة الألوكة – www -alukah :net– ص08.

✓ أنّ الجملة هي وحدة السّياق اللّغوي وليست المفردات ، وما تقدّمه المعاجم ما هو إلاّ مستخرجات من المعاني ومن الوظائف السّياقية ومن الجمل .

ج- فندريس والسّياق :vendryes

أولى هذا العالم اللّغوي الفرنسي أهميّة كبيرة للسّياق ، وعدّه المميّز الوحيد في المشترك اللّفظي والفاصل الذّي يحدّد المعنى المقصود من الألفاظ المشتركة ن فسياق النّص هو الذي يعيّن المعنى بدقّة، لأنّ المعجم لا يمنح إلاّ المعنى الأساس ، بينما السّياق يعين قيمة الكلمة في كلّ الحالات ، ويخلّصها من قيود الذّاكرة ويحيينها [1].

يقول فندريس :" إنّ الذي يعين قيمة الكلمة في كلّ الحالات ...إنّما هو السّياق إذ أنّ الكلمة توجد في كلّ مرّة تستعمل فيها في جوّ يحدّد معناها تحديدا مؤقتا ، والسّياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرّغم من المعاني المتنوّعة التّي في وسعها أن تدلّ عليها ، والسّياق أيضا هو الذي يخلّص الكلمة من الدّلالات الماضية التّي تدعها الذّاكرة تتراكم عليها ، وهو يخلق لها قيمة حضوريّة ."[2]

ح- انكسفت (Anksvet): "حدّد للسّياق اللّغوي مقاييس ثلاثةهي:الحقل(field) يربط بموضوعه ، وحالة الخطاب (mode) وفحوى الخطاب (tenor) "[3].

خ- هاليداي (halliday) : " رأى أنّ معنى الكلمة يتحدّد من خلال ورودها مع مجموعة من الكلمات ، فلكي تتوصّل إلى معنى الكلمة الدّقيق علينا أن نتمعّن في العناصر التّي تقع معها في سياق لغوي يقبله أبناء اللّغة ، ومن أمثلة ذلك أنّ معنى (منصهر) يرتبط بمجموعة من الكلمات

[1]- ينظر : دلالة السّياق –ردّة الله بن ردّة الطّلحي – ص181.

[2]- مصطلح the contexteالنشأة المفهوم والتّطوّر – قراءة في الفكر اللّغوي – عبد العزيز بن طلحي مؤتمر المصطلح اللّساني الحديث عند علماء اللّغة العرب المعاصرين التّأصيل والتّعريب – جامعة مؤتة المملكة الأردنيّة الهاشميّة – 1429-2008.ص32.

[3]- المعنى خارج النّص – أثر السّياق في تحديد دلالات الخطاب – فاطمة الشّيدي – ص24.

نحو الحديد ، والذّهب ، والفضّة ، ولا يرتبط بكلمات نحو التّراب والخشب والجلد والملح .... وعلى هذا يتحدّد معنى (منصهر) من جهة ، ويعرف أنّها لا ترد في سياق لغوي مقبول مع المجموعة الثّانية من الكلمات من جهة أخرى "[1] .فهنا إشارة إلى أهميّة الحقل الدّلالي الذي يرتبط بالكلمة في إيصالنا للمعنى الدّقيق لها .

د- بيار غيرو: " ممّن اهتموا بالسّياق حتّى بالغ في ذلك أحيانا ، ونفى أي معنى ممكن للكلمات خارج سياقها فليس للكلمات معنى إنّما استعمالات شتّى ....إنّ المعنى كما يصلنا في الخطاب ، يخضع لعلاقات الكلمة مع غيرها من الكلمات المتواجدة ضمن السّياق ذاته ، وتحدّد بنية النّظام الألسني هذه العلاقات."[2]

ذ- جيفري ليتش: "نجد هذا اللّغوي من أتباع المدرسة السّياقية الذي يرى أنّ السّياق يمثّل في أحد أحواله حجر الزّاوية في العمليّة التّفسيريّة أو التّأويلية ، ويحدّد جملة من الطّرق يمكن بواسطتها تعيين المعنى : أوّلها : أنّ السّياق يزيل بعض المعاني الغامضة أو المتعدّدة في الرّسالة .ثانيا : يظهر السّياق ويشير إلى إحالات بعض أنماط الكلام كالتّي يسميها (deictic) مثل : الذي ، هذا ، هنا ، هناك ، الآن ، إذن . ثالثا : أنّ السّياق يزوّدنا بالمعلومة التّي أهملها المتكلّم عند الحذف " .[3]

ر- سبنس : عرّف السّياق : "بأنّه وضع الكلمة داخل الجملة أو الحدث الذي تعبّر عنه الكلمة داخل الجملة ، مرتبطة بما قبلها ، وما بعدها ، كما أنّه في حالة الكلام يتمثّل في العلاقة القائمة بين المتكلّم والحالة ، أو المقام الذي يتكلّم فيه ، وتكوينه الثّقافي ".[1]

---

[1]- المعنى خارج النّص – أثر السّياق في تحديد دلالات الخطاب – فاطمة الشّيدي – ص30.

[2]- السّياق في الدّرس اللّساني الحديث – غنيّة تومي – ص16.

[3]- المرجع نفسه –ص 17.

[1]- علم الدّلالة بين النّظريّة والتّطبيق – أحمد نعيم – ط1- 1993- ص100.

ز- هانس (Hansson) صنّف مختلف الاتّجاهات التّداوليّة اعتمادا على تشغيلها لمصطلح السّياق إلى ثلاث درجات : [1]

- ❖ تداوليّة الدّرجة الأولى : وتتمثّل في دراسة الرّموز الإشاريّة : والسّياق يتمثّل في الاهتمام بالمخاطبين ومحدّدات المكان والزّمان .
- ❖ تداوليّة الدّرجة الثّانيّة : وتهتم بدراسة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة المتلفّظة ، والسّيّاق يمتدّ إلى ما يحدس به المخاطبون .
- ❖ تداوليّة الدّرجة الثّالثة : وتتمثّل في نظريّة أفعال الكلام .

س- أرمينكو: خصّصت الفصل الثّاني من الكتاب لتداوليّة الدّرجة الأولى التّي تهتم أساسا بدراسة الرّموز الإشاريّة ، وفي الباب الرّابع والأخير تعالج مسألة السّياق تحت عنوان : " السّيّاق ، التّنويع والتّوحيد " حيث تعتبر السّياق مفهوما مركزيا ، يمتلك طابعه التّداولي إلاّ أنّ الصّعوبة تأتي من عدم معرفتنا أين يبدأ وأين ينتهي وللسّياق أربعة أنماط :[2]

- ➢ السّياق الظّرفي والفعلي والوجودي والمرجعي : ويحدّد هويّة المخاطبين ومحيطهم المادّي والمكان والزّمان اللّذين يتمّ فيها الغرض
- ➢ السّياق المقامي أو التّداولي : يتميّز هذا النّوع من بالاعتراف به اجتماعيا كمتضمن لغاية أو غايات ، وعلى معنى ملازم تتقاسمه الشّخصيات المنتمية إلى الثّقافة نفسها .
- ➢ السّياق التّفاعلي : ويقصد به تسلسل أفعال اللّغة في مقطع متداخل الخطابات ، إذ يتّخذ المخاطبون أدورا تداولية محضة هي : الاقتراح والاعتراض والتّطبيق
- ➢ السياق الاقتضائي : يتكوّن من كلّ ما يحد سبه المخاطبون من الاقتضاءات أي من اعتقادات وانتظارات ومقاصد تكون مشتركة ببين المخاطبين .

[1]- ينظر : السّياق والنّص الشّعري من البنيّة إلى القراءة – علي آيت وشان– الدّار البيضاء - مطبعة النّجاح الجديدة – ط1- 1421هـ-2000م- ص59.

[2]– المرجع نفسه - ص61-62

ش- فان ديك : فقسّم السّياق إلى المستويات الآتية : [1]

1- السّياق التّداولي : حسب (فان ديك) إنّنا لا ندرس الملفوظات اللّغويّة ، وبالتّالي النّصوص من حيث بناها فحسب ، وإنّما أيضا من حيث وظائفها ، لأنّنا لا نريد أن نعرف فقط الأشكال والمضامين ، والتّي يمكن أن يتّخذها نص ما ، ولكن الوظائف الممكنة التّي قد يؤدّيها بفضل الشّكل والمضمون ، ويقوم السّياق التّداولي على تأويل النّص كفعل كلامي أو سلسلة أفعال كلامية ، ويتألّف السّياق من جميع العوامل النّفسية والاجتماعية ومنها المعرفة التّي يملكها مستعملو اللّغة ورغباتهم وإرادتهم وعلاقتهم الاجتماعية .

2- السّياق الإدراكي : ينطلق (فان ديك) من فرضيّة حتّى يتمكّن السّامع أو القارئ من استخدام نصّ معيّن في مقام تواصلي ما عليه أن يفهم هذا النّص. فمستعمل اللّغة سوف يفهم بالدّرجة الأولى الكلمات ، ومجموعة الكلمات والجمل ن ومن ثمّ متتاليات الجمل .

3- السّياق النّفسي الاجتماعي : المقصود به المفعول الذي تحدثه النّصوص على مستعملين اللّغة سواء فرديا أو جماعيا ، وثمّة مبدأ فعّال في تكوين وتغيير المعرفة و الآراء والمواقف بواسطة النّصوص ، ومبدأ الوظيفيّة ، أمّا المبدأ الثّاني: فهو الترابط الإدراكي ، والمبدأ الثّالث : تحقيق الذات اجتماعيا وشخصيا فبفضل أن تكون المعرفة والمواقف متّفقة مع الآراء التّفسيرية التّي يكوّنها الفرد عن ذاته ن وعن علاقاته مع مجموعة معيّنة من الأفراد .

4- السّياق الاجتماعي: يقول : إنّنا ونحن ننطلق بنصوص في سياق معيّن ، إنّما نقوم بأفعال كلامية ، والأفعال الكلامية هي أفعال اجتماعيّة ن تنتج في سياقات من التّفاعل التّواصلي ، وهذا التّفاعل يندرج في مقامات اجتماعيّة.

5- السّياق الثّقافي : يمثّل النّص ظاهرة ثقافية إضافة إلى كون النّص أحد عناصر التّفاعل الاجتماعي ، ويمكن أن نستنتج منها بعض الاستنتاجات حول البنية الاجتماعية للجماعات الثّقافية، وغالبا ما يمكن أن نستخرج من النّصوص والحوارات المستعملة في المقامات دور أعضاء المجتمع

[1] - السّياق والنّص الشّعري من البنيّة إلى القراءة من البنيّة إلى القراءة - علي آيت وشان – ص 62-63.

وحقوقهم وواجباتهم ، والقواعد والأعراف السّائدة بينهم ، وتحليل النّص هو طريقة ذات فعاليّة كبيرة في إطار التّحليل العام للثّقافة .

تناولنا في هذه الصّفحات السّياق عند اللّغويين الغربيين الذين ذاع صيتهم في الاهتمام به ، وأبرزوا دوره الفعّال باعتباره أداة لفهم المعنى ، وعنصرا أساسيا في الخطاب ، فوجدناه تأسّس على يد فيرث الذي توسّع في معالجته وكوّن عنده نظريّة متكاملة ، لتتواصل الدّراسات بعده عند اللّغويين الآخرين الذين عالجوا جميع الظّروف اللّغويّة وغير اللّغويّة لتحديد المعنى .

V. أنواع الأسيقة عند المحدثين.

لقد توصل العلماء إلى التمييز بين 4 أنواع من السياق:

1- السّياق اللغوي: linguitic context:

"وهو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاوزة وكلمات أخرى مما يكسبها معنى خاص محدد، والسّياق اللّغوي يوضح كثيرًا من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياسا لبيان التّرادف والاشتراك أو العموم والخصوص أو الفرق ونحو ذلك"[1].

وهو "الضابط الدلالي لحركة المعنى وعلاقاته وعلائقه داخل النص وفق إشارات النص النابضة والمستقلة والتي تقلص احتمالات تسرب مقترحات مغايرة للنص خارج القصدية التي أرادها المنتج".[1]

"فالسياق اللغوي يشرف على تغيير دلالة الكلمة تبعًا لتغيير يمس التراكيب اللغوي، كالتقديم والتأخير في عناصر الجملة فقولنا: زَيْدٌ تم قراءة الكتاب تختلف دلالتها اللغوية عن جملة: قراءة الكتاب أنهما زيدٌ".[2]

ويدخل في السياق اللغوي المعنى لكلمة واحدة في السياقات المتنوعة، وذلك نحو: قولنا:[3]

[1] – المعنى خارج السياق– أثر السياق تحديد دلالات الخطاب– فاطمة الشيدي– ص22.

[1] – المرجع نفسه – ص08.

[2] – علم الدلالة، أصوله و مباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، دمشق، منشورات اتحاد كتاب العرب، 2001، ص91.

- أكل عليّ طعامه
- أكل عليّ مال اليتيم
- أكل عليّ أصابعه ندمًا
- أكل عليّ ضربة على رأسه
- أكله جلده
- علي يأكل عمره
- علي يأكل لحوم النّاس

ويمكن أيضًا التّمثيل له بكلمة (يد) التي ترد في سياق متنوعة منها:[2]

1) – أعطيته ما لا عن ظهر(يد) يعني تفضلا ليس من بيع ولا قرض ولا مكافأة

2) هم (يد) على من سواهم: إذا كان أمرهم وادًا

3) (يد) الفأس ونحوه: مقيضها

4) (يد) الدهر، مد زمانه

5) (يد) الريح سلطانه

6) (يد) الطائر: جناحه

7) خلع يده من الطاعة: مثل نزع يده

8) ثوب قصير (اليد): إذا كان يقصر أن يلتحف به

9) فلان طويل اليد: إذا كان سمحًا

10) مالي يد (يد) أي: قوة

11) بايعته يدا (بيد): أي تقدًا

12) سقط في (يده): ندم

[1]– الاتجاهات النحوية لدى القدماء– دراسة تحليلية في ضوء المناهج– حليمة أحمد عمايرة – ص47

[2]– علم الدلالة– أحمد مختار عمر– عالم الكتب، ط5، 1998، ص70.

13) هذه (يدي) لك: أي استسلمت وانقدت لك

14) حتى يعطوا الجزية عن (يد) عن ذل واعتراف للمسلمين بعلوم أيديهم

15) إن بين (يدي) الساعة أهوالاً، أي قدامها

16) (يد) الرجل: جماعة قومه وأنصاره

ويندرج تحت هذا السياق اللغوي" عدة سياقات منها:[1]

1- **السّياق الصوتي:**

"الذي يهتم بدراسة الصّوت داخل سياقه اللّغوي، من حيث كمية الهواء اللّازمة لإنتاج هذا الصّوت، والجهد والهمس وسوى ذلك ، بالإضافة إلى دراسة الفونيم الذي يعتبر المادة الأساس في قيم الدلالة، باعتباره وسيلة لتوزيع الأصوات، وفق محتواها الوظيفي، فقيمة الفونيم تكمن في مهمته الوظيفية وتأثيره داخل منظومة من السّياق.

2- **السّياق الصرفي:**

ويهتم بالمورفيمات أو الوحدات الصرفية، حرة كانت أو مقيدة أو محايدة لا قيمة لها، إذا كانت ضمن سياق تركيبي معين أي تمارس وظيفتها داخل النّص مثل أحرف المضارعة.

3- **السّياق المعجمي**:وهو مجموعة العلاقات الصوتية التي تتضافر من أجل تخصيص الوحدة اللغوية بيان دلالي معين، يمنحها لقدرة على التركيب وفق أنظمة اللغة المعينة، وهذه الوحدة تشترك في علاقات أفقية مع وحدات أخرى لإنتاج للمعنى السياقي العام للتركيب.

4- **السّياق النّحوي**:وهو شبكة العلاقات القواعدية التي تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص، وفيما تقوم كل علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة، من خلال القرائن النحوية، كالإعراب الذي يعتبر قرينة سياقية تتعاون جاهدة مع غيرها في رسم شبكة البيانات الدلالية.

[1]- المعنى خارج النص- أثر السياق في تحيد دلالات الخطاب- فاطمة الشّيدي-ص32.

5- **السّياق الأسلوبي**:ويظهر هذا اللون من السياق في النصوص الشعرية والنثرية أكثر منه في اللغة العادية لما يملكه من قوة النسج، وجدارة البناء وقوة التوالد الدلالي، لأنه ملك الفرد الذاتي، ومن حقه أن يمارس طاقته الإبداعية وإنتاجيته في خلف أجيال جديدة من التراكيب ذات مستوى فني عالي النسيج.

فالسياق اللغوي "هو الإطار الداخلي أو لبنة الداخلية للغة دون الرجوع إلى المجتمع".[1]

2- السّياق العاطفي الانفعالي: Emotional context

"يحدد دلالة الصيغة أو التركيب من معيار قوة أو ضعف الانفعال، فبالرغم من اشتراك وحدتين لغويتين في أصل المعنى إلاّ أن دلالتها تختلف، مثل ذلك الفرق بين دلالة الكلمتين (اغتال، و(قتل)".[1]

3- السّياق الثقافي: cultural context .

"يعد أصلاً من أصول علم اللغة الإجتماعي".[2] وهو "المجال أو الإطار الاجتماعي أو الثقافي الذي ينتقي إليه الكلام".[3]

وقد أشار علماء اللغة إلى ضرورة وجود هذه المرجعية الثقافية عند أهل اللغة الواحدة لكي يتم التواصل والإبلاغي، وتخضع القيم الثقافية للطابع الخصوصي الذي يلوّن كلّ نظام لغوي بسمة ثقافية معينة، وهو ما يكون أحد العوائق الموصوفية في تعلم اللّغات".[4]

---

[1]-الدلالات والتداولية والأسلوبية وعلم النص، سليمان بن سمعون، مرحلة الواحات للبحوث والدراسات، غرداية، العدد 17، 2012، ص47

[1] - علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي- منقور عبد الجليل- ص91.

[2]- الاتجّاهات النحوية لدى القدماء- دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة- ص195..

[3]- حليمة أحمد عمايرة 1428هـ- موقع لسان العرب .http: www angelfrire. Com.tx4/lisan

[4]- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، ص92.

كما يدل مصطلح السّياق الثّقافي على "المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة.[1]

ويمكن أن تمثل لذلك في النّظام اللّساني العربي بمدخل المعجمية "كفر" الذي يتغير مدلوله من سياق إلى آخر، ولذلك كلمة جذر لها معنى عند المزارع، ومعنى ثان عند اللّغوي ومعنى ثالث عند الرياضيات.[2]

4- سياق الموقف أو المقام: situational context. "وهو يعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة."[3]

"ويشمل سياق الموقف أيضًا كل ما يقول المشاركون عملية الكلام وما يسلكونه، كما يشكل الخلفية الثقافية بما تتضمنه من سياقات خبرات المشاركة، وقد أشار فيرث إلى كل إنسان يعمل معه ثقافته، وكثيرًا من واقعه الاجتماعي حيث حلّ."[1]

وهكذا فإن فيرث توصّل أن سياق الموقف مصطلح واسع لا يقتصر على السّياقات اللغوية بل يشمل السّياق الثّقافي، وأقوال المخاطبين وغير المخاطبين وأفعالهم، وكلّ الأشياء المتّصلة اتّصالا وثيقًا بالقولة المستعملة، وتأثير الحدث اللغوي.[2]

و"يذكر فيرث أنّ مالينوفسكي هو أول من استخدم عبارة سياق الموقف يشكل موسع في اللغة الانجليزية"[3].

والسّياق والموقف عنده مرتبطان ببعضهما لا ينقصان، ويتكون السّياق عنده من ثلاثة عناصر:[4]

---

[1]- علم الدلالة أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، ط5، 1997، ص71.

[2]- ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص71.

[3]- ينظر مباحث في اللسانيات أحمد حساني- ص243.

[1] - المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية- محمد يونس علي- دار الاسلامي- ط2007،2، ص121

[2]- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس علي- ليبيا-بنغازي- دار الكتاب الجديدة المتحدة- ط1-2004- ص32.

[3]- المعنى وظلال المعنى- أنظمة للدلالة في العربية د.محمد محمد يونس علي- ص121.

أولا: شخصية المتكلم والسامع، ومن يشاهد الكلام معهما، ودور المشاهد في المراقبة أو المشاركة.

ثانيا: العوامل والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتصلة بالحدث اللغوي ويشمل الزّمان والمكان.

ثالثا: أثر الحدث اللغوي كالإقناع والفرح والألم.

من خلال عرضنا لأنواع السّياق يتّضح أنّ المعنى هو ما يفهم من السّياق سواء كان لغويّا أو عاطفيا أو ثقافيا ، وكذلك من خلال سياق الموقف ، فكلّ هذه الأنواع تساعد على إدراك معاني النّص وفهمها .

VI. مزايا النظرية السياقية:

من مزايا هذه النظرية أنها تهتم اهتماما كبير بالسياق، يبدر ذلك ظاهر جليا ، "وقد تبين فيرث حدود هذا الاهتمام عندما أشار إلى أنه من الممكن أن يوصف مناهجه في الدراسة السياقية "بأنه تحقق سياقي متسلسل".[2]

"ومن مزاياها أيضًا موضوعيتها وعدم خروجها عن بنية اللغة والسياق الثقافي في المحيط بها، وقد سمح منهجها السياقي الطريق للمهمتين باللغة أن يوجهوا اهتمامهم إلى العناصر اللغوية نفسها، بدلاً من صرف انتباههم إلى العلاقات النفسية بين اللغة والذهن، أو اللغة والخارج، أو إلى العمليات النفسية التي تحدث في الدماغ.[1]

ومن مزاياها أيضًا أن العناية بالسّياق تعني مراعاة سمة من أهم السّمات والمتأصلة في طبيعة اللغة وهي السّمة التّراكمية للعناصر اللغوية إذ يتسنى للمهمتين باللّغة من خلال رصد أهمية هذه السّمة، وتطبيقاتها أن يكتشف الدّور الذي يؤديه تسلسل العناصر اللّغوية وتفاعل بعضها مع بعض في عملية الفهم، والإفهام الضروريتين في عملية التّخاطب اللّغوي.[2]

---

[1] – التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه–كريم زكي حسام الدين– ج1، ص32.

[2] – المعنى وظلال المعنى – أنظمة الدلالة في العربية–محمد محمود يونس علي–ص125.

[1] – ينظر : مقدمة في علم الدلالة والتخاطب– محمد محمد يونس علي– ص 32.

[2]–ينظر: المرجع السابق–ص 33.

كما تعطي هذه النّظرية معيار التّمييز للكلمات المشتركة أو المترادفة من الكلمات التي لها مدلول مركزي واحد، وتساعد كذلك في تحديد مجالات استعمال الكلمة في اللّغة.[1]

تركّز هذه النظرية –الساقية– على الجوانب الوظيفية من اللّغة التي تعنّى الجوانب الأهمّ فالوظائف اللّغوية هي التّي ابتكرت من أجلها اللّغة البشرية وهي من بأهم وسائل الإبلاغ على الإطلاق.

VII. الانتقادات الموجهة للنظرية:

على الرغم مما يكتسبه السياق من أهمية كبرى في الكشف عن المعنى إلاّ أنّ ذلك لن يشفع له من الانتقادات: فتعود لهذه النظرية على السياق جعلها تجمع إلى المبالغة في دور السّياق في صنع المعنى إلى الحدّ الذي أغفلت معه الوظيفة الحالية، والشارية للمفردات، والجمل اللغوية حين أسقطت من حسابها ما تحيل عليه الكلمات من صورة ذهنية".[2]

ومن الانتقادات التي وجهها بعض الباحثين أيضًا نجد:[1]

أنّها تحصر نظريتها للمعنى في تركيب اللّغوي لأنها تدرس المعنى على المستوى الدلالي فقط، علمًا بأن المعنى يتركب من مجموع العلاقات السياقية والأصوات والنحو والمعجم والدلالات.

إن تقسيم السّياق إلى أربعة أقسام فيه مبالغة واضحة وتفتيت متكلّف وكان ممكنًا تقسيمه إلى:[2]

_ السياق المقالي (اللغوي) أو (اللّساني).

_ السّياق الحالي : (المقامي) أو(الاجتماعي)

[1] – ينظر : نظرية السياق– دراسة أصولية–نجم الدين قادر كريم الزّنكي– لبنان– بيروت–دار الكتب الجامعية– ط1– 2006– ص85.

[2] – مقدمة في علم الدلالة والتخاطب– محمد محمد يونس علي– ص 33.

[1] – نظرية السياق– دراسة أصولية– نجم الدين قادر كريم الزّنكي– ص85–86.

[2] – المرجع نفسه– ص86.

فالسّياق ركنا أساسيا لا يمكن بدونه فهم الرّسالة اللّغويّة ، وطبعا لا يمكن الحديث عن السّياق دون ربطه بالمعنى باعتبار المعنى مجموعة من الملامح المفهوميّة والتّي بفضل بنيتها الخاصّة يتّضح معنى العلامة ، ولا يمكن إزالة الغموض والإبهام عن المعنى دون السّياق .

الفصل الثّاني : تقديم عن سياق الحال عند فخر الدّين الرازي .

I. التّعريف بفخر الدّين الرّازي .

II. التّعريف بكتاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز.

III. منهج كتاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز .

IV. مفهوم سياق الحال عند القدامى.

V. أهميّة سياق الحال في الوقوف على المعنى عند فخر الدّين الرّازي .

VI. الدّلالة اللّفظيّة والمعنويّة عند فخر الدّين الرّازي .

I. التّعريف بفخر الدّين الرّازي :

فخر الدّين الرّازي من الأصوليين الذين لهم بصمة في مختلف العلوم ، وهو من ألمع الفلاسفة في القرن السّادس الهجري " وقد شغلت جوانبه العلميّة وإنتاجه الغزير جيله ، والأجيال التّي جاءت بعده"[1].

1- نشأته :

"نشأ الرّازي في بيت علم ، فقد كان والده ضياء الدّين عمر من كبار علماء الرّيّ، أحد العلماء الشّافعيّة في فروع الأشاعرة في العقيدة ، وكان خطيب الريّ وعالمها .وله مؤلفات أهمّها :" كتاب (غاية المرام في علم الكلام) اعتبره ابن السّبكي من أنفس كتب أهل السّنّة ، وأشدّها تحقيقا ، وقال عنه مؤلفه : بأنّه كان فصيح اللّسان قويّ الجنان ، فقيها أصوليّا متكلّما ، صوفيا ، خطيبا، محدّثا ، أديبا ، له نثر في غاية الحسن تكاد تحكي ألفاظ مقامات الحريري من حسنه ، وحلاوته، ورشاقته"[2] .

وقد "نشأ الفخر في حجر والده – الإمام ضياء الدّين عمر – فكان له الوالد والأستاذ الذي أغناه عن طلب االعلم على يد سواه، حتّى انتقل إلى جوار ربّه ، وكان الفخر يقرّ له دائما بالفضل في الكثير ممّا تعلّمه ".[3]

---

[1]- فخر الدّين الرّازي وآراؤه الكلاميّة والفلسفيّة – محمد صالح الزركان – دار الفكر – دط - دت – ص 03.

[2]- ينظر: تفسير الفخر الرّزي – محمد الرّازي فخر الدّين – دار الفكر – ج 1 –ص 03 . وينظر أيضا : الإمام فخر الدّين الرّازي ومصنّفاته – طه جابر العلواني - القاهرة – دار السّلام – ط1 – 1431-2010- ص 38.

[3]- المرجع نفسه – ص 38.

2- اسمه ولقبه وكنيته :

"أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التّيمي البكري الطبرستاني الأصل الرّازي المولد الملقّب بفخر الدّين المعروف بابن الخطيب الريّ الأشعري ، فريد عصره ونسيج وحده ، فاق أبناء أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات ، وعلم الأوائل ".[1]

3- مولده : ولد الإمام فخر الدّين في مدينة الرّي "سنة أربع وأربعين وخمسمائة (544هـ) ، وهي كورة من مشاهير بلاد الديلم ، قريبة من خرسان ، والنّسبة إليها " رازي " "، والريّ "بفتح الرّاء وتشديد الياء مدينة قديمة ومشهورة من أمّهات البلاد وأعلام المدن ، تقع في الجنوب الغربي من طهران عاصمة إيران – الحاليّة – ، وهي الآن ضاحية من ضواحيها ، وفيها ضريح عظيم يعظّمه الإيرانيون هو ضريح (شاه عبد العظيم) ، وربّما سمّيت الضّاحية باسمه الآن وكانت الريّ أجمع البلاد للمقالات والاختلافات في المذاهب على تضادها وكثرتها ، وقد نسب إليها خلق كثير في الأئمة والعلماء حتّى إنّ النسبة إليها لم تعد خاصّة بعلم من الأعلام ، فبلا يكفي لتحديد علم من الأعلام المنسوبين إليها أن يقال : (الرّازي) ,إنّما لابدّ من ذكر الاسم أو الكنية أو اللّقب مع النّسبة لتميز المراد منهم ".[2]

"ومن المشاهير الذين انتسبوا إلى الريّ منهم : " أبو زكريا يحي بن معاذ الرّازي وأبو بكر محمد بن زكريا الرّازي الطّبيب ، وأبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرّازي ، وابن أبي حاتم الرّازي ، وأبو بكر الرّازي الجصاص ، ومحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي ، وقطب الدّين الرّازي "[3].

---

[1]- ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – القاضي ابن خلكان – بيروت – دار صادر – 1978- ج4 –ص248.
وينظر: الوافي بالوفيات – صلاح الدّين خليل بن أيبك الصّفدي – تح: أحمد الأرناؤوط – تركي مصطفى – بيروت لبنان – دار إحياء التّراث العربي – ط1- 1420-2000- ج4- ص175.

[2]- فخر الدّين الرّازي وآراؤه الكلاميّة والفلسفيّة – محمد صالح الزّركان – ص11.

[3]- المرجع نفسه – ص 12.

4- وصفه :

" ذكر الصّفدي في الوافي بالوفيات : اجتمع له خمسة أشياء – الرّازي – ما جمعها الله لغيره ، فيما علمته من أمثاله وهي : سعة العبارة في القدرة على الكلام ، وصحّة الذّهن ، والاطّلاع ما عليه من مزيد ن والحافظة المستوعبة والذّاكرة التّي تعينه على ما يريده في تقرير الأدلّة والبراهين ، وكان فيه قوة جدلية ونظره دقيق ، كان عارفا بالأدب ن له شعر بالعربي ليس في الطّبقة العليا ولا السّفلى، وشعر بالفارسي لعلّه يكون فيه مجيدا ، وكان عبل البدن، ربع القامة، كبير اللّحية في صورته فخامة."[1]

5- مؤلفاته : "رزق الرّازي الفخر الرّازي السّعادة العظمى في تصانيفه ، وانتشرت في الآفاق ن وأقبل النّاس على الاشتغال بها ، ورفضوا كتب الأقدمين ، وكان الوعظ باللّسانيين مرتبة عليا ن وكان يلحقه الوجد حال وعظه ن ويحضر مجلسه أرباب المقالات والمذاهب ، ويسألونه ، ورجع بسببه خلق كثير من الكرامية و غيرهم إلى مذهب السّنّة ، وكان يلقّب بهراة شيخ الإسلام "[2].

له التّصانيف المفيدة في عدّة فنون منها:[3]

- **في كتب الدّين** : مفاتيح الغيب أو التّفسير الكبير أو تفسير القرآن الكبير ، كتاب الأربعين في أصول الدّين ، كتاب لوامع البيان في شرح الصّفات وأسماء الأديان ، كتاب المسائل الخمسون في أصول الفقه ، كتاب المحصول في أصول الفقه، كتاب نهاية العقول في دراية الأصول ، كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، رسالة في التّنبيه على بعض الأسرار المودعة في بعض سور القرآن العظيم ،كتاب محصل أو ملخص أفكار الأقدمين وتحصيل آراء الأوّلين ، رسالة تأسيس التّقديس في الرّدّ على أهل التّشبيه ، كتاب الاختيارات العلائقية في الاختبارات السّماويّة ، كتاب الطّريقة العلائقيّة في الخلاف ، كتاب نصرة مذهب الإمام الشّافعي ، كتاب المحصول في علم الأصول ، كتاب شرح وجيز الغزالي ، كتاب في الآيات البيّنات ، كتاب تحصيل الحقّ .

[1]- الوافي بالوفيات – صلاح الدّين خليل بن أيبك الصّفدي – ص176.
[2]- ينظر: المرجع نفسه – ص176.
[3]- ينظر : المرجع نفسه – ص 176-177

- مؤلفاته في الرّياضيات والفلك منها :مصادرات إقليدس ، كتاب في الهندسة ، رسالة في علم الهيئة ، السّرّ المكتوم في علم الفلك والنّجوم .
- مؤلفاته في المنطق والفلسفة وعلم الكلام والإلهيات : كتاب التّبصرة في المنطق ، كتاب المنطق الكبير ، كتاب الملخّص بالمنطق ، كتاب المنصص شرح الملخص في الحكمة والمنطق ، كتاب الجدل ، المطالب العالية من العلم الإلهي ، رسالة في إثبات النّفس وبقائها وفي فائدة الزّيارة ، كتاب تعجيز الفلاسفة ، كتاب البراهين البهائيّة ، الرّسالة الكماليّة في الحقائق الإلهيّة ، رسالة في النّجوات ، كتاب عصمة الأنبياء ، كتاب الجبر والقدر ، كتاب الكلام في الخلق والبعث ، كتاب المحصّل في علم الكلام المسمّى بالأنوار العداميّة في الأسرار الكلامية .
- مؤلفاته في الأدب والعلوم المختلفة : رسالة جامع العلوم ، كتاب المحصل في شرح الزّمخشري في النّحو ، كتاب المعالم ، كتاب الملل والنّحل ، كتاب فضائل الصّحابة الرّاشدين ، كتاب الشّجرة المباركة في إنساب الطّالبيّة ، رسالة في علم الفراسة .
- ومن مؤلفاته المشهورة أيضا نجد : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز وهو موضوع دراستنا في هذه البحث .

6- وفاته : ذكرت بعض الكتب أنّ الفخر" قد مرض في خوارزم ، من غير أن يحدّدّ لمرضه سبب من سم أو غيره ، ويبدو أنّه قد عانى من مرضه أشهرا حتّى لقي وجه ربّه في يوم عيد الفطر من السّنة نفسها ، ومن المؤرخين من ذهب إلى أنّه توفي في ذي الحجّة من السّنة نفسها ، وذكر بعضهم أنّ يوم وفاته هو الجمعة الخامس عشرة من رمضان سنة (606هـ) واختلف الكتاب الغربيون كذلك في تحديد تاريخ وفاتهن واضطربت أقوالهم تبعا لاختلاف المصادر العربيّة "[1].

وقد ذكرت بعض المصادر أنّ وفاته كانت "يوم الاثنين وكان عيد الفطر ، سنة ست وستمائة بمدينة هراة (606هـ)، ودفن آخر النّهار في الجبل المعاقب لقرية مزداخان رحمه الله ".[2]

[1]- الإمام فخر الدّين الرّازي ومصنّفاته – طه جابر العلواني – ص 69.

[2]- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان – القاضي ابن خلكان – ص 251.

عدّ فخر الدّين الرّازي من ألمع الفلاسفة والأصوليين في القرن السّادس الهجري ، وقد اهتمّ العلماء والباحثون بمصنفاته أثناء حياته وبعد وفاته لتحقيقها وشرحها وتفحّصها ، حيث أبدع الرّازي في مختلف المجالات فقد كان فقيها ، متكلّما ، وفيلسوفا ، وطبيبا ، ومفسّرا .

II. التّعريف بالمؤلّف : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز :

كما أسلفنا الذّكر فقد أودع الرّازي مؤلفات وبحوث ورسائل عديدة منها : كتابه" نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ".

"وهو كتاب في البلاغة لخّص فيه كتابي الشّيخ عبد القاهر الجرجاني (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز)حيث قال في مقدّمته : "ولما وفقني الله لمطالعة هذين الكتابين ، التقطت منهما معاقد فوائدهما ، ومقاصد فوائدهما ، وراعيت التّرتيب مع التّهذيب ، والتّحرير مع التّقرير ، وضبطت أوابد الإجمالات في كل باب بالتّقسيمات اليقينيّة ، وجمعت متفرّقات الكلم في الضّوابط العقليّة مع اجتناب الإكثار المملّ ، والاحتراز عن الاختصار المخلّ ، وسميته : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ".[1]

وبيّن أيضا الرّازي في مقدّمته أيضا تقصير النّاس قبل عبد القاهر الجرجاني في مجال الدّرس البلاغي : " ... وصنّف في ذلك كتابين وسم أحدهما (بدلائل الإعجاز)و الأخر(بأسرار البلاغة)، وجمع فيهما من القواعد الغريبة والدّقائق العجيبة ، والوجوه العقليّة والشّواهد النّقليّة ، و اللّطائف الأدبيّة والمباحث العربيّة مالا يوجد في كلام من قبله من المتقدّمين ، ولم يصل إليها أحد من العلماء الرّاسخين "[2] .

ولم يقتصر الرّازي في عمله على ما جاء في كتابي عبد القاهر من قضايا البلاغة ومباحثها بل أضاف إليها ما توصّل إليه علمه في هذا الميدان فنقل عن الرّماني و الزّمخشري ، بيد أنّه يبدو متأثّرا

[1]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي – دراسة وتحقيق سعد سليمان حمودة – الإسكندريّة – دار المعرفة الجامعيّة – د ط- 1429-2008م- ص18 -19.

[2]- المرجع نفسه – ص18.

إلى حدّ كبير بآراء معاصريه رشيد الدّين العمري المعروف بالوطواط والمتوفى (573هـ)الذي ألّف في البلاغة الفارسيّة (حدائق السّحر في دقائق الشّعر) .[1]

III. منهج كِتاب :نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز :

لقد بنى الفخر الرّازي كتابه على مقدّمة وجملتين ، اشتملت المقدّمة على فصلين :

- **الفصل الأوّل** جاء بعنوان : **في أنّ القرآن معجّز وأنّ الإعجاز في فصاحته** تحدّث تحت هذا العنوان عن الدّليل كون القرآن معجز : " أنّ العرب تحدّوا إلى معارضته ، فلم يأتوا بها ولولا عجزهم عنها ، لكان محالا أن يتركوها ويتعرّضوا لشبا الأسنّة ، ويقتحموا موارد الموت وأمّا وجه كونه معجزا فللنّاس فيه أربعة مذاهب ".[2]

ويورد قول النّظام: "إنّ الله تعالى ما أنزل القرآن ليكون حجّة على النّبوّة، بل هو كسائر الكتب المنزّلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام ، والعرب إنّما لم يعارضوه لأنّ الله _ تعالى _ صرفهم عن ذلك ، وسلب علومهم به "[3].

ويدلّ على فساد ذلك وجوه ثلاثة : [4]

الأوّل : أنّ عجز العرب عن المعارضة لو كان لأنّ الله أعجزهم عنها بعد أن كانوا قادرين عليها ، لما كانوا معظمين لفصاحة القرآن ن بل يجب أن يكون تعجبهم من تعذر لذلك عليهم ، بعد أن كان مقدورا عليه لهم .

الثّاني : أنّه لو كان كلامهم مقاربا للفصاحة قبل التّحدّي لفصاحة القرآن ، لوجب أن يعارضوه بذلك، ولكان الفرق بين كلامهم بعد التّحدّي وكلامهم قبله كالفرق بين كلامهم بعد التّحدّي وبين القرآن، ولما لم يكن كذلك بطل ذلك .

---

[1]- ينظر :ةنهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي – ص 19.

[2]- المرجع نفسه – ص33.

[3]- المرجع نفسه – ص33.

[4]- المرجع نفسه –ص 34

الثّالث : أنّ نسيان الصّيغ المعلومة في مدّة يسيرة ن يدلّ على زوال العقل ، ومعلوم أنّ العرب مازالت عقولهم بعد التّحدّي ، فبطل ما قاله النّظام .

ويكمل بقوله : " ومن النّاس من جعل الإعجاز في أسلوبه مخالف لأسلوب الشّعر والخطب والرّسائل ، لاسيما في مقاطع الآيات مثل يعلمون ، يؤمنون .وهو أيضا باطل من خمسة وجوه :[1]

- لو كان الابتداء بالأسلوب معجّزا ، لكان الابتداء بأسلوب الشّعر معجّزا
- أنّ الابتداء بأسلوب لا يمنع الغير من الإتيان بمثله .
- أنّ الذي تعاطاه مسيلمة من الحماقة في : (إنّا أعطيناك الجماهر ، فصلّ لربّك وجاهر) وكذلك (الطّاحنات طحنا) في أعلى مراتب الفصاحة .
- لما فاضلنا بين قوله تعالى :﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾[2] وبين قولهم (القتل أنفى للقتل)، لم تكن المفاضلة بسبب الوزن والإعجاز ، إنّما يتعلّق بما ظهرت به الفضيلة .
- وهو أنّ وصف بعض العرب للقرآن بأن له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة لا يليق بالأسلوب.

- **الفصل الثّاني:** فجاء تحت عنوان : **في شرف علم الفصاحة** :

يقول : "فلمّا ثبت أن عجز العرب إنّما كان عن المزايا التّي ظهرت لهم في نظم القرآن والبدائع التّي راعتهم في مبادئ الآيات ومقاطعها ، وفي مضرب كلّ مثل ، واتّساق كل خبر ، وصورة كل عظة، وتنبيه وإعلام وتذكير ، وجب على العاقل أن يبحث عن تلك المزايا والبدائع : ما هي ؟، وكم هي؟، وكيف هي؟ .ولا يمكن ذلك إلاّ بالبحث عن حقيقة المجاز والحقيقة والاستعارة والتّمثيل وحقيقة النّظم، والتّقديم والتّأخير والإيجاز والحذف والوصل والفصل وسائر وجوه المحاسن المعتبرة في النّظم والنثر وإذا ثبت ذلك كان العلم الباحث عن حقيقة الفصاحة والكاشف عن ماهيتها "[3].

---

[1]- ينظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي – ص 34-35 .

[2]- البقرة الآية 179.

[3]- المرجع نفسه – ص36.

ثم يكمل :" إنّ الفصاحة إمّا أن تكون عائدة إلى مفردات الكلام ، أو إلى جملته ، لا جرم أن رتبنا الكتاب على جملتين ، ولما تقدّم استحق التّقديم عليها وضعا "[1].

- خصّص **الجملة الأولى: لدراسة اللّفظة المفردة** من جميع جوانبها المختلفة وهي مرتّبة على مقدّمة وقسمين ، أمّا المقدّمة فقد اشتملت على فصلين : [2]
  - الفصل الأول : في أقسام دلالة اللّفظ على المعنى .
  - الفصل الثّاني: فجاء بعنوان : في حقيقة البلاغة والفصاحة فيقول : " البلاغة بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الإيجاز المخلّ ، والإطالة المملّة ، وأمّا الفصاحة فهي خلوص الكلام من التّعقيد ، وأصله الفصيح ، وهو اللبن الذي أخذت عنه الرّغوة وقد ذهب لباؤه "[3] .

– القسم الأول : خصّصه بدراسة الألفاظ المفردة جاء تحت عنوان : في الدّلالة اللّفظيّة وفيه بابان :

– **الباب الأوّل** منه فيه خمسة فصول ذكرت كالآتي:[4]

- الفصل الأول : في إقامة الحجّة على أنّ الفصاحة لا يجوز عودها إلى الدّلالات الوضعيّة للألفاظ .
- الفصل الثّاني : في الدّلالة الالتزاميّة .
- الفصل الثّالث : في ذكر شبه الخصوم والجواب عنها .
- الفصل الرّابع : في حكاية أقوى شبههم والجواب عنها .
- الفصل الخامس : في شبهة أخرى لهم والجواب عنها

[1]– نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي – ص 36

[2]– المرجع نفسه– ص37.

[3]– المرجع نفسه – ص37

[4]– المرجع نفسه – ص 40-41.

أمّا **الباب الثّاني** : جاء تحت عنوان : في المحاسن والمزايا الحاصلة بسبب الألفاظ وفيه مقدمة وثلاثة أركان :[1].

- الفصل الأوّل : في مخارج الحروف .
- الفصل الثّاني : فيما يحصل من المحاسن بسبب آحاد الحروف .

"كما تحدّث أيضا في هذا الفصل على : التجنيس ، في الاشتقاق ، في ردّ الصّدر على العجز ، في القلب .وهذا ضمن دراسته للكلمات المتركبة الذي يكتفي في تحققه اعتبار حال كلمتين فقط ، أمّا ما يحتاج فيه إلى أكثر من كلمتين فقسّمه إلى ثلاثة فصول : درس في الفصل الأوّل: السّجع ، وفي الفصل الثّاني : في تضمين المزدوج ، الفصل الثّالث :في التّرصيع "[2].

كما بحث أيضا في الدّلالة المعنويّة للكلمة ، وقد رتّب مباحث هذا القسم في خمس قواعد : [3]

- القاعدة الأولى : **في أحكام الخبر**: وفيها ستة عشر فصلا جاءت عناوينهم كالآتي : في أنّه ليس الغرض الأصلي من وضع الألفاظ المفردة إفادتها لمسمياتها ، في حدّ الخبر وهو عنده : " القول المقتضى بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم ، بالنّفي أو بالإثبات " [4]

- القاعدة الثّانية : في الحقيقة والمجاز : ومباحث هذه القاعدة في أربعة عشر فصلا موزّعة كالآتي: فيما به يكون اللّفظ مجازا ، في الفرق بين المجاز والكذب والدّعوى الباطلة ، في أقسام المجاز، في أنّ المجاز في المثبت مجاز في المفرد وفي الإثبات في الجملة ، في حدّ الحقيقة والمجاز ، في أنّ المجاز في الإثبات عقليّ ، في أنّ الإثبات المجازي لا يخلو عن الإثبات الحقيقي ، في الأمور التّي لابدّ منها حتّى يحسن استعمال هذا المجاز ، فيما يفرق بين ما إذا كانت الجملة مجازية ، وبين ما إذا كانت دعوى كاذبة ، في أنّ المجاز في المثبت لغويّ ، في أنّ المجاز أعمّ من الاستعارة ، فيما يحتاج في هذا النّوع ليعلم كونه مجازا أو مستعارا ، في المجاز الذي يكون بالنّقصان، فيما يكون مجازا بسبب الزّيادة .

---

[1]- ينظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز - فخر الدّين الرّازي: ص52.

[2]- ينظر : المرجع نفسه-ص65-66.

[3]- ينظر : المرجع نفسه – ص 69- 70 -71-72 .

[4]- المرجع نفسه - ص69.

– القاعدة الثّالثة : في التّشبيه خصّص الباب الأوّل في المتشابهين وفيه أربعة فصول : الفصل الأوّل: في أقسامها ، الثّاني : في الاعتذار عمّا جاء في الأشعار من هذا الجنس ، الفصل الثّالث : في تحصيل القول في تشبيه الموجود بالمتخيّل الذي لا وجود له في الأعيان

– أمّا الفصل الرّابع : في كيفية تشبيه الشّيئين بالشّيء الواحد . وقد عنون الباب الثّاني : فيما به التّشبيه وفيه ثلاثة عشر فصلا : في أقسام ما به التّشبيه، في بيان أنّ التّشبيه بالوجه العقلي أعمّ من التّشبيه بالوجه الحسّي ، في أنّ التشبيه بالوصف المحسوس أقوى من التّشبيه بالوصف المعقول ، في أن لابدّ من رعاية جهة التّشبيه، في تقسيم ما به المشابهة إلى المفرد والمركب ، في بيان أنّ التّقييدات كلّما كانت أكثر كان التّشبيه أوغل في كونه عقليا ن، في أنّ ما به المشابهة إذا كان وصفا مقيّدا ، فإنّه ينقسم إلى ما يمكن إفراد أحد أجزائه بالذّكر، في التّشبيهات المجتمعة، في ما يظنّ به تشبيهات مجموعة ولا يكون كذلك ن فيما يظنّ أنّه تشبيه متقيّد مع أنّه تشبيهات مجموعة لا تعلق للبعض بالبعض .، في تقسيم ثالث لوجه المشابهة بالقريب والغريب أحكامه ، في إعطاء السّبب في كون بعض التّشبيهات قريبا والبعض بعيدا ، في اكتساب وجه المشابهة [1].

وفي **الباب الثّالث** : تحدّث فيه عن الغرض من التشبيه و عقد فيه فصلين :

– الفصل الأول في الأغراض العائدة إلى المشبّه ، والفصل الثّاني : في الأغراض العائدة إلى المشبه به

وبيّن **في الباب الرّابع** أحكام التّشبيه وفيه سبعة فصول : [2]

– القاعدة الرّابعة : في الاستعارة وفيها ثلاثة أبواب : [3]

الباب الأول : في حقيقتها وأحكامها ، أمّا الباب الثّاني : في أقسام الاستعارة ، والباب الثّالث : في إيراد بعض ما جاء في القرآن من الاستعارات وتخريجها على الأصول .

[1]– ينظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي – ص 95-96-98-99-100-101.

[2]– ينظر المرجع نفسه – ص 111 .

[3]– ينظر : المجع نفسه – 116.

القاعدة الخامسة : **في الكناية** وفيها فصول ثلاثة : في حقيقة الكناية ، ووفي أنّ الكناية ليست من المجاز ، في ترجيح الكناية على التّصريح ، وترجيح الاستعارة على التّصريح بالتّشبيه .

- **الجملة الثّانيّة في النّظم وهي مشتملة على ستة أبواب :**

"الباب الأول في حقيقة النّظم ، الباب الثّاني : في التّقديم والتّأخير ، الباب الثّالث : في الفصل والوصل ، الباب الرّابع : في الحذف والإضمار والإيجاز ، الباب الخامس: في المباحث المتعلّقة بإن وإنّما ، الباب السّادس في وجه الإعجاز في سورة الكوثر ، وختم كتابه بالجواب عمّا قاله بعض الملحدين من أنّ في القرآن تناقضا . وجاء الفصل الأخير في بيان فساد طعنهم في القرآن من جهة التّكرار والتّطويل "[1].

وبهذا يكون الرّازي "قد نهج في تأليف كتابه منهجا متماسكا ليس فيه خلل أو اضطراب " .[2]

من خلال عناوين هذه الأبواب والفصول التّي أوردها فخر الدّين الرّازي نجده اهتم كثيرا بعلوم البلاغة من بيان ومعان وبديع .فكان هذا الكتاب إضافة ممتعة للبلاغة العربيّة ، بالإضافة إلى أنّ له صلة وثيقة بتخصّصات أخرى تخصّ الشّعر والنّثر.

IV. مفهوم سياق الحال عند القدامى :

تنبّه علماء العرب إلى أهميّة سياق المقام (سياق الحال) في فهم دلالات الألفاظ ومنهم :

أ- **ابن جنّي** (ت392هـ) : اهتم أيضا بسياق الحال ، والنّص الآتي يوضّح ذلك " فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو بن أبي إسحاق(...) وجه العرب فيما تتعاطاه من كلامها ، وتقصد له من أغراضها ، ألاّ تستفيد بتلك المشاهدة ، وذلك الحضور مالا تؤديه الحكايات ، ولا تضبطه الروايات ، فتضطر إلى قصود العرب ، وغوامض ما في أنفسها ، حتّى لو حلف منهم حالف على غرض دلّته عليه إشارة ، لا عبارة ، لكان عند نفسه ، وعند جميع من يحضر حاله صادقا فيه ، غير

[1]- ينظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي - ص 144.

[2]- خزانة الأدب وغاية الأرب – ابن حجّة الحموي – تقديم وتحقيق محمد ناجي بن عمر – بيروت لبنان – دار الكتب العلميّة – ج 1 – ص 86.

متّهم الرّأي و النّجيزة والعقل ، فهذا حديث ما غاب عنّا فلم ينقل إلينا ، وكأنّه حاضر معنا مناج لنا ".[1]

ومؤدى هذا القول أنّ ابن جني يولي أهميّة لما تحمله الإشارات والحركات من معنى أثناء أداء الحدث الكلامي .

ب-ابن الأنباري (ت 368هـ) : " يردّ على أهل الزّيغ في أضداده على دور السّياق في الإبانة عن المعنى ، فقد كانوا يرون أنّه إذا اعتور اللّفظة معنيان مختلفان ،لم يعرف المخاطب أيّهما أراد المخاطب ، يرى بأنّ كلام العرب يصحّح بعضه بعضا "[2].

لأنّ سياق الكلام الذي يرد فيه هو الذي يحدّد الغاية منه وقوعه .

ت-نقل الجاحظ (ت255هـ) عن ابن المقفع : " إذا أعطيت كلّ مقام حقّه وقمت بالذّي يجب من ساسة ذلك المقام ، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام ، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدوّ ..."[3].

ث- الراجحي(**ت1431هـ**) : بقوله: " وقد يكون بعيدا عمّا نحن فيه أن نشير إلى أنّ العرب القدماء كانت لهم إشارات إلى الموقف (المقام) ممّا قد يشبه فكرة سياق الحال ".[4] فالعرب عرفوا الموقف في استعمالاتهم قبل أن يعرفوه كمصطلح ثابت بتسميته المتعارف عليها .

فسياق الحال إذن : هو" مجموعة الظّروف التّي تحيط بالكلام وجميع القرائن الحالية التّي تصيغ الخطاب ودلالته بصيغة خاصّة ."[1]

---

[1]- الخصائص – ابن جنّي – تحقيق عبد الحميد هنداوي –بيروت –لبنان – دار الكتب العلمية – 1971- ج1- ص 262.

[2]- جدل اللفظ والمعنى – دراسة في دلالة الكلمة العربيّة – مهدي أسعد عرار- ص43.

[3]- البيان والتّبيين – الجاحظ- ص116.

[4]- في علم الدّلالة – دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات – عبد الكريم محمد حسن جبل – دار المعرفة – 1990- ص23.

[1]- سياق الحال وبعض شواهده من القرآن والسّنة والسّيرة والمعجم – عبد القادر سلامي – قسم اللّغة العربيّة وآدابها – جامعة تلمسان الجزائر –2011- ص130.

"وهو ما سمّاه بعض المحدثين بالسّياق الاجتماعي ، أو ما يعرف في علم الدّلالة اليوم باسم سياق الموقف ." [1]

و"يرادف في أغلب استعمالاته لدى البلاغيين مصطلحا آخر هو "المقام "فكل من المصطلحين يقصد بهما مجموعة الاعتبارات والظّروف والملابسات التّي تصاحب النّشاط اللّغوي أو تلابسه ، ويكون لها تأثير ها في ذلك النّشاط من خارجه بحيث لا تتعدّد دلالة الكلام أو تتجلّى مزاياه إلاّ في ظلّها وفي ظلّ ارتباطه بها "[2].

و" الحال عرّفت في تراثنا البلاغي بأنّها الأمر الداعي للمتكلّم إلى أن يميّز كلامه بميزة تعبيريّة خاصة ، ومعنى هذا أنّ الأحوال أو المقامات هي مجموعة المؤشرات الغير (غير اللّغويّة) التّي تؤثّر في لغة الكلام البليغ بحيث تترك فيه بصمات أو ظواهر تعبيريّة توائمها وتتنوّع بتنوّعها والحال بهذا المفهوم تشمل أمور كثيرة منها : [3]

1- أحوال المخاطب : فذكاء المخاطب أو غباؤه ، وتردده أو إنكاره ، وطبقته الاجتماعيّة وطبيعة ثقافته ، وميوله وآراؤه المذهبيّة ، وعلاقته بالمتكلّم أو موضوع الكلام وما غلى ذلك كلّها أحوال أو مقامات يتنوّع الكلام بتنوّعها ، بل إنّ بلاغة الكلام لا تتمثّل إلاّ في مطابقته لها و مشاكلته إيّاها ، وهذا ما يقرّره بشر بن المعتمر في صحيفته: " ينبغي أن تعرف أقدار المعاني ، فتوازن بينها أوزان المستمعين ، وبين أقدار الحالات ، فتجعل لكلّ طبقة كلاما ....."[4]

وهو بعينه ما يصرّح به السّكاكي (ت626هـ) حيث يقول: " ومقام الكلام مع الذّكي يغاير مقام الكلام مع الغبيّ ، ولكلّ من ذلك مقتضى غير مقتضى ."[1] .

---

[1]- سياق الحال وبعض شواهده من القرآن والسّنة والسّيرة والمعجم – عبد القادر سلامي – ص130.

[2]- مدخل إلى السّيميائيات التّداوليّة – إسهامات بيرس وشارل موريس – هواري بلقندوز—الملتقى الثّالث – السّيمياء والنّص الأدبي – ص12.

[3]- علم المعاني في الموروث البلاغي تقييم وتأصيل – حسن طبل – مكتبة الإيمان بالمنصورة – ط 2 – 1425 هـ – 2004م –ص13.

[4]- المرجع نفسه – ص13.

[1]- المرجع نفسه – ص 13-14-15

طبيعة المعنى أو الغرض: فلكلّ غرض من الأغراض ما يلائمه من صور وما يليق به من أشكال تعبيريّة لا تليق بسواه . يقول القاضي الجرجاني موصيا بضرورة المشاكلة بين التّعبير والغرض : " ولا آمرك بإجراء الشّعر كلّه مجرى واحدا ، وأن لا نذهب بجميعه مذهب بعضه ، بل أرى لك أن تقسّم الألفاظ على رتب المعاني ، فلا يكون غزلك كافتخارك ن ولا مديحك كوعيدك ....بل ترتّب كلاّ مرتبته، وتوفيه حقّه ، فتلطّف إذا تغزلت ، وتفخم إذا افتخرت ، وتتصرف للمديح تصرّف مواقعه [1].

2- مجموعة الظّروف والاعتبارات الخارجيّة لدّاعيّة إلى الكلام أو المصاحبة له : من ذلك مثلا – المناسبة التّي قيلت فيها القصيدة وسبب النّزول الآية الكريمة والبيئة الزّمانيّة والمكانيّة للنّص أو ما غلى ذلك من اعتبارات لا يمكن إغفال أثرها في الكلام ، أو ضرورة الوقوف عليها والاستئناس بها عند فهمه وتذوقّه[2] .

3- أحوال المتكلّم : والواقع أنّ حال المتكلّم هي المردّ الأول والجوهري للمطابقة ، فالأحوال الثّلاث السّابقة هي بمثابة الواقع الخارجي للتّجربة ، ذلك الواقع لا يكون العمل الفنّي رصدا آليا مباشرا له بل تصويرا فنيّا لرؤية المبدع له وانفعاله الخاص به ، وموقفه منه [3].

وممّا لا شك فيه أنّ علماء العربيّة أدركوا أهميّة سياق الحال لأنّه يتمم المعنى ، ولا يمكن الاستغناء عنه . بالإضافة إلى تخيّر العبارات المناسبة للمعاني و الموافقة للمقام الذي تتطلّبه .

V. أهميّة سياق الحال في الوقوف على المعنى عند فخر الدّين الرّازي :

اهتم العرب والنّحاة بالمعنى اهتماما بالغا ، فالمتصفّح لكتبهم يجد العديد من المباحث التّي عالجوا فيها قضية المعنى ، وربطوها في أحيان كثيرة باللّفظ خاصّة في الدّرس الدّلالي العربي .

[1]- ينظر: علم المعاني في الموروث البلاغي –تقييم وتأصيل- حسن طبل- ص15.
[2]- المرجع نفسه- ص15.
[3]- المرجع نفسه- ص15.

أ- **مفهوم المعنى** :

المعنى هو " جوهر الاتّصال، ولابدّ أن يتّفق متكلّمو لغة ما على معاني كلماتها ، وإلاّ فإنّ الاتّصال بينهم يصبح صعبا جدّا أو مستحيلا أحيانا " [1] .فمعنى الكلمة لا يعتمد على الموقف ، بل يعتمد على مجاورة الكلمة للكلمات الأخرى في اللّغة ذاتها.

وقد "نظر الفكر البلاغي إلى المعنى من زاويتين : في الزاوية الأولى قدر المعنى كيانا خارجيا مستقلا عن العقل البشري وفي الزّاوية الثّانية عدّ المعنى نتاج عمليّة الفهم والإدراك كل من العقل والنّفس البشريّة "[2] .

" فللمعنى وجود مستقلّ مستحدث يعادل الوجود الأصلي للأشياء خارج الذّهن كائن لا يستطيع أن يكون إلاّ عبر اللّفظ الذي سيغدو أداة أو آلة يتوصّل بها إلى إقامة هيئة المعنى بنقله من حالة العدم أو ما يشبه العدم إلى حالة الوجود الشكلي المحسوس مع اشتراط قيام تلك الأداة (الألفاظ) على أساس من الشّراكة المعرفيّة بين كل من المنتج والمتلقي .[3]

و"تتّضح أهميّة دراسة المعنى بالنّسبة للغة والفكر سواء بسواء فبدون المعنى لا يمكن أن يكون هناك لغة . بل إنّ اللّغة كما تعرّف أحيانا إن هي إلاّ معنى موضوع في صوت ".[4]

وكثيرا ما استخدمت كلمة (معنى) و(دلالة) على أنّهما مترادفتان ن وخاصّة حينما يكون المعنى مقصورا على الألفاظ المفردة ، ولذلك عادة ما تترجم كلمة semantics بعلم الدّلالة إلاّ أنّ مفهوم المعنى أعمّ وأشمل ،طالما أنّ المعنى يمكن أن يكون للفظ ، كما يمكن أن يكون للعبارة أو الجملة ن ولا يكون مقصورا بالضّرورة على الألفاظ وحدها [1].

---

[1]- علم الدّلالة – محمد علي الخولي – الأردن – دار الفلاح – 2001- د.ط- ص64.

[2]- أثر العناصر غير اللّغويّة في صناعة المعنى – قراءة في البلاغة العربيّة - - بشرى محمد طه البشير – العدد الثّاني – 2010- 214.

[3]- المرجع نفسه –ص 215.

[4]- مفهوم المعنى – دراسة تحليلية – عزمي إسلام – الكويت – الحوليّة السّادسة – 1405هـ -1985م- ص24.

[1]- ينظر : المرجع نفسه – ص25.

ومن خلال ذلك نستنتج أنّ للمعنى أنواع منها : [1]

1- المعنى الخاص بالألفاظ : وينقسم بدوره إلى قسمين :

- المعنى اللّفظي : ويتعلّق بمعاني الألفاظ المفردة: ما يفهم منها وما تدلّ عليه ، وهكذا فالمعنى يمكن أن يكون هو المفهوم أو هو الدّلالة.

- المعنى السّياقي : ويتعلّق بمعاني الألفاظ حين ترد وتنتظم في سياقات هي الجمل والعبارات المختلفة .

2- المعنى الخاص :بالعبارات بوصفها مركبات أو سياقات ذات معنى .

ب- مستوياتها :

"قد يظنّ الكثير من الدّارسين أنّه لبيان معنى الكلمة لابدّ من الرجوع إلى المعجم لمعرفة المعنى أو المعاني المدوّنة فيه ولكن إن كان هذا العمل كاف لبعض الكلمات فهو غير كاف لبعضها الآخر ، ولذلك يفرّق علماء الدّلالة بين مستويات المعنى"[2] .

❖ **المعنى الإفرادي** :

" ارتكزت نظرة البلاغيين إلى طبيعة المعاني الإفراديّة على تصوّر كان أقرب إلى العموم في تراثنا العربيّ مؤدّى هذا التّصوّر أنّ تلك المعاني إنّما هي صور ترتسم ارتساما أوّليا في الذّهن ، وتظلّ كامنة على تجريدها فيه حتّى تستثار وتتجسّد بالكلم الدّالة عليها عند الكلام ".[3]

وقد كانت أوّل إشارة إلى طبيعة تلك المعاني في تراثنا النّقدي والبلاغي هي إشارة الجاحظ حيث يقول : " المعاني القائمة في صدور العباد ، المتصوّرة في أذهانهم ، و المتخلّجة في نفوسهم ، والمتّصلة بخواطرهم ، والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفيّة ، وبعيدة وحشيّة ، ومحجوبة مكنونة ،

[1]- مفهوم المعنى – دراسة تحليلية – عزمي إسلام – ص 26.

[2]- المعنى في البلاغة- حسن طبل- ص14.

[3]- المعنى في البلاغة العربيّة – حسن طبل – القاهرة –دار الفكر العربي - ط1- 1418-1998-ص14.

وموجودة في معنى مكنونة ، وموجودة في معنى معدومة ، وإنّما تحيا تلك المعاني في ذكرهم لها ، وإخبارهم عنها ، واستعمالهم إيّاها "[1].

فالمعاني في نظره لا تظهر إلاّ متى استعملت في الكلام الدّال عليها .

"والمعنى المفرد المستقلّ مالا يدلّ جزء لفظه على جزئه ، فكلمة حسن لا يتحقّق معناها إلاّ بتضام حروف الحاء والسّين ، والنّون على التّرتيب ، فليس لأيّ حرف منها القدرة على تحقيق معنى كلمة حسن جزئيّا ولا كليّا ، فالمعنى المفرد لا يتجزّأ إلى حروف لفظه ، كأنّه جوهر "[2]. وشروط المعنى المفرد هي : [3]

- مجموعة من حروف العربيّة
- تحقّق معنى من تضام مجموعة الحروف
- استحالة تجزئة المعنى حسب الحروف أو المقاطع .

"أمّا المعاني الإفراديّة في نظر عبد القاهر الجرجاني فهي : " مدركات وصور أوّليّة يسبق تصوّرها و تحصيلها في النّفس المتواضعة على الكلم والرّموز اللّغويّة الدّالة عليها ..."[4]

وقد عبّر ابن سينا عن هذه العلاقة بقوله : "كلّما خطر المعنى أدرك اللّفظ ، وكلّما سمع ذلك اللّفظ أدرك المعنى ، لا أنّ اللّفظ هو ذلك المعنى ."[5]

انطلاقا من هذين التّعريفين يمكن القول إنّ "مصدر العلم بالمعاني في هذا التّصوّر ليس هو الأسماء أو الكلم اللّغويّة ، بل الأشياء والمسميات ذاتها ، فمعنى الكلمة هو تلك الصّورة الذهنيّة التّي

[1]- المعنى في البلاغة العربيّة – حسن طبل – ص14.

[2]- التّفكير العلمي في النّحو العربي – الاستقراء ، التّحليل ، التّفسير – عمان الأردن– دار الشّروق –ط1- 2002- ص109.

[3] - ينظر : المرجع نفسه - ص109.

[4]- المعنى في البلاغة العربيّة – حسن طبل – ص11.

[5]- المرجع نفسه – ص11.

قام الفعل بتجريدها سلفا من مسماها أو الشّيء الذّي تدلّ عليه ، أي أنّ معرفة المتكلّم بمعاني الكلم إنّما هي نتاج لتعقّله بفكرة مع بيئته ، ومعطيات واقعة لا للغة التّي يتكلّمها ".[1]

❖ **المعنى النّحوي :**

علم النّحو من أنفع علوم العربيّة وأشرفها وقد نشأ هذا العلم وتطوّر بشكل عجيب ، وكتب فيه العلماء والباحثون المصنّفات التّي لا تعدّ ولا تحصى ، وقد كانت أغلب العناية منصبّة على توضيح المذاهب النّحويّة وتبيين تاريخ النّحو الأوّل ، ومراحل هذا النّحو منذ القدم حتّى أيّامنا هذه .

فالنّحو لغة : له عدّة معاني أشار إليها ابن منظور أهمّها : [2]

- **القصد**: يقال نحوت نحوك أي قصدتك ، ونحوت نحو الشّيء إذا أتممته.
- **التّحريف**: تقول نحا الشّيء ينحاه وينحوه إذا حرفه
- **المثل**: يقول مررت برجل نحوك أي مثلك
- **المقدار** : تقول له: عندي نحو ألف دينار أي مقدار ألف .
- **الجهة أو النّاحية** : تقول سرت نحو البيت أي جهته
- **النّوع أو القسم** : تقول هذا على سبعة أنحاء أي أنواع .
- **البعض** : تقول أكلت نحو السّمكة أي بعضها

إلاّ أنّ المعنى القريب للمعنى الاصطلاحي هو القصد حيث يقول ابن فارس : " النّحو كلمة تدلّ على قصد ، ونحوت نحوه ، ولذلك سمّي نحو الكلام ، لأنّه يقصد أصول الكلام " [3]

.

[1]- ينظر : المعنى في البلاغة العربيّة – حسن طبل – ص12.

[2]- ينظر : لسان العرب – ابن منظور – مادّة نحا ، و النحو العربي شواهده ومقدّماته – أحمد ماهر البقري - مصر – 1988- ص17

[3]- المقاييس في اللّغة – أحمد بن فارس – تحقيق شهاب الدّين أبو عمرو – بيروت – دار الفكر – ط2- 1998- ص1017، ومثله ورد في معجم تهذيب اللّغة - ج5 – ص2002- ، وقد ورد أيضا في مختار الصّحاح لزين الدّين عبد القادر الرّازي – تح: يوسف الشيخ محمد – بيروت – المكتبة العصريّة – ص5- 1420هـ- 1999- ج1-ص306.

أمّا اصطلاحا : فقد ذهب ابن جنّي في تعريفه للنّحو بقوله : " النّحو انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب و غيره كالتّثنية والجمع والتّكسير والإضافة والنّسب وغير ذلك ليلحق ما ليس من أهل اللّغة العربيّة بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم ، وإن شذّ بعضهم عنها ردّ إليه " [1].

وقد عرّف صاحب المستوفي النّحو بقوله : "صناعة علميّة ينظر أصحابها في ألفاظ كلام العرب من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم لتعرف النّسبة بين صيغة النّظم وصورة المعنى ن فيتوصّل بإحداهما إلى الأخرى "[2].

للنّحو عند عبد القاهر الجرجاني أهميّة بالغة " اعلم أن ليس النّظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التّي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرّسوم التّي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها ."[3]

يتّضح من كلّ ما سبق أنّ النّحو في الاصطلاح هو عمليّة تقنين للقواعد والتّعميمات التّي تصف تركيب الجمل والكلمات وعملها في حالة الاستعمال ، وهو كذلك دراسة العلاقات بين الكلمات في الجمل والعبارات ، فهو الموجّه والقائد إلى الطّرق التّي بها يتمّ التّعبير عن الأفكار .

"ومصطلح " معاني النّحو " هو أحد المصطلحات التّي برزت في كتابات عبد القاهر بشكل ملحوظ لم نره لدى أحد من سابقيه أو لاحقيه ، وهو أعمّ من مصطلح " النّحو " لدى علماء اللّغة المعاصرين ، فهو عنده يشمل كلّ المعاني الوظيفية (غير المعجميّة) التّي تؤديها

---

[1]- الخصائص – أبو الفتح عثمان بن جني – تح : محمد علي النّجار – الهيئة المصرية للكتاب – ط1 -1986-ج1 – ص06.

[2]- الاقتراح في علم أصول النّحو – تح أحمد محمد قاسم – القاهرة – مطبعة السّعادة – 1976—ص07.

[3]- تيسير النّحو عند إبراهيم بن مصطفى –كامل جميل ولويل – المجلّة الأردنيّة للعلوم التّطبيقيّة – العدد الأوّل – 2008- ص62.

الكلمات المؤلّفة في نسق كلامي ، سواء أكانت تلك الوظائف منبثقة عن قوالب تلك الكلمات وبنياتها الصّرفيّة أم عن ترتيبها والموقع (النّحوي) الذي يشغله كل منها ".[1]

وقد رصد عبد القاهر الجرجاني معاني النّحو في مجالين رئيسيين : [2]

- معاني التّقسيم: يقصد بها المعاني الوظيفيّة التّي تؤدّيها أقسام الكلم (الاسم – الفعل – الحرف)
- معاني البناء : ويقصد بها العلاقات الماثلة بين الكلم التّي يضمّها نسق أو بناء لغويّ ، فتلك العلاقات تمثّل مستوى متمايزا من مستويات المعنى ، إذ إنّه يختلف عن المعاني المعجميّة للألفاظ .

❖ المعنى التّركيبي:

يمثّل المعنى التّركيبي" الغرض الذي يقصده المتكلّم ويفيده المتلقي من الدّلالة التّركيبيّة للكلام مستوى من مستويات المعنى في تراثنا البلاغي ، بل كان إطلاق مصطلح المعنى على هذا المستوى هو أكثر استخداماته شيوعا في ذلك التّراث".[3]

ومن خصائص المعنى التّركيبي : [4]

1- **الفائدة**: والمراد بالفائدة في اللّفظ المفرد أنّه يفيد معناه عند الاستعمال لا إنّه بذاته يفيد هذا المعنى.

2- الإسناد : الإسناد يمثّل أساس الفائدة وقد عرّف بأنّه تركيب الكلمتين ، أو ما جرى مجراهما على نحو يفيد السّامع وهو الفارق الجوهري بين الكلم المفردة ن وبين الكلام . وقد عدّه عبد القاهر الجرجاني أصل المعنى وأساس الفائدة .

2- **القصد** : القصد سمة جوهريّة من سمات هذا المستوى من مستويات المعنى ، فالكلام يظلّ معطّل الدّلالة، أولا دلالة له ما لم نتبيّن قصد المتكلّم إليه.

---

[1]- المعنى في البلاغة العربيّة – حسن طبل – ص36.

[2]- ينظر : المرجع نفسه –ص 48.

[3]- المعنى في البلاغة العربيّة حسن طبل – ص 59.

[4]- ينظر المعنى في البلاغة – حسن طبل – ص 63-67- 74.

❖ **المعنى السّياقي :**

"فالكلمة تؤثّر في معنى الجملة ، ولكن يحدث العكس ، الجملة تؤثّر في معنى الكلمة وهذا ما يعرف بالمعنى السّياقي : وهو " المعنى المرتبط بالسّياق اللّغوي أو اللّفظي نفسه أو الذي يتحدّد وفقا له ، إلاّ أنّ هذا المعنى قد يفهم منه أمرين :[1]

3- أوّلا : معنى اللّفظ يتحدّد وفقا للسّياق الذي يرد فيه اللّفظ بحيث يكون معنى اللّفظ جزءا من معنى السّياق ككل

4- ثانيّا : أنّ للسّياق معنى يتحدّد بناءا على معاني الألفاظ التّي ترد فيه والعلاقات التّي تربط بينها في بناء واحد .

ولعلّ أهمّ صورة يتبدّى عليها المعنى السّياقي للفظ ، هي صورة نظريّة الاستخدام .

❖ **نظريّة الاستخدام :use theory**

مؤدّى هذه النّظريّة أنّ معنى اللّفظ يتحدّد بناء على كيفية استخدامنا له إيّاه ، ولهذه النّظريّة صورتان : [2]

أ- نظريّة الاستخدام الاتّفاقي : معنى الكلمة يتوقّف على السّياق الذي تعودناه أو ألفنا استخدامها فيه ، فهناك نوع من الاصطلاح أو الاتّفاق الضّمني على استخدام مثل هذه الكلمة في مثل هذا السّياق بمثل هذا المعنى ن ومن ثمّ فتعودنا عل استخدامها ممثل بذلك المعنى هو تعوّد على الاستخدام الاتّفاقي لها .

ب- نظريّة قواعد الاستخدام : الكلمات أو الرّموز ليس معنى داخلي أو باطني ، بل أنّ الرّمز لا يكون له معنى إلاّ بناء على وجود القواعد التّي تحكم استخدامه ، ومن ثمّ تكون هذه القواعد هي معنى الرّمز .

[1]- مفهوم المعنى – دراسة تحليلية – عزمي إسلام – ص26.

[2]- ينظر: المرجع نفسه – ص 65-66-67

VI. الدّلالة اللّفظيّة والمعنويّة عند فخر الدّين الرّازي .

شُغِل العلماء المسلمين بدراسة اللغة العربية من شتى النواحي ما أدى إلى ظهور العلوم المتعلقة بها ، ولعلّ أشهر هذه العلو م هو علم الدلالة التي يعد بحق دعامة لكل العلوم لأنّه يتسم بصفات تجمع بين علوم متعددة.

1- الدّلالة في القرآن الكريم :

ذكر الله تعالى صيغة (دلّ)بمختلف مشتقاتها تشترك في إبراز المفهوم اللغوي لهذه الصيغة وذلك في قوله تعالى ﴿**وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ**﴾ [1]، وقوله تعالى أيضا في: "فدلّهما بغرور" [2]

و قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[3].

2- الدّلالة في المعاجم اللغوية :

يقول صاحب المقاييس: "الّدال واللام أصلان :أحدهما إبانة الشيء بأمارة يتعلمها ،والآخر اضطراب في الشّيء فالأول قولهم :دللت فلانا على الطريق .والدّليل :الأمارة في الشّيء و وهو بيّن الدَّلالة والدِّلالة".[4]

"و لهذه المادة (دلّ) معان متعددة في المعاجم العربية القديمة فقد جاء في أساس البلاغة للزّمخشري (ت538هـ):"دلّه على الطريق ،وهو دليل المفازة وهم أدلاؤها و أدللت الطريق :اهتديت إليه "[5]

---

[1]- سورة القصص- الآية 12

[2]- سورة الأعراف – الآية 22.

[3]- سورة الصف – الآية 10.

[4]- مقاييس اللّغة – أحمد بن فارس – ج1- ص259.

[5]-أساس البلاغة –الزّمخشري –تح: محمد باسل عيون السود –بيروت لبنان- دار الكتب العلمية- ط1- 1419هـ-1998م – ج1- ص295 .

فالمعنى اللغوي لكلمة (الدلالة) من خلال المعاجم وهذه الشواهد القرآنية هو الهداية والإرشاد.

3- الدّلالة اصطلاحا :

"اشتقت هذه الكلمة من أصل يوناني مؤنث sémantiké مذكره sémantikos أي يعني يدل ، ومصدره كلمة séma أي إشارة ، وقد نقلت كتب اللغة هذا الاصطلاح إلى الانجليزية وحظي باجتماع جعله متداول بغير لبس sémantic"[1]

و"من هنا فقد سمي أحد فروع اللغة بعلم الدلالة حيث يقوم هذا العلم بدراسة المعنى .

وقد تبلور مصطلح الدلالة في صورته الفرنسية sémantique لدى اللغوي الفرنسي ميشال بريال سنة 1883م لتعبر عن فرع من علم اللغة العام هو(علم الدلالات) ليقابل (علم الصوتيات) الذي يعنى بدراسة الأصوات اللغوية ".[2]

أما الشريف الجرجاني (ت816هـ) فيورد في تعريفاته كلاما جامعا عن الدلالة في الثقافة الأصولية : "هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، الشيء الأول هو الدال ، والثاني هو المدلول ، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النّص ودلالة النّص واقتضاء النص"[3]

فمصطلح الدلالة عند علماء العربية هو العلم الذي يدرس المعنى ، و موضوع علم الدلالة هو كلّ ما يدلّ على شيء ويتوصلّ به إلى معناه كالإيماء بالرأس أو الإشارة باليد أو العلامات والرموز.... إلخ .

" وقد أطلق العلماء على علم الدلالة تسميات عديدة منها " في اللغة الانجليزية sémantics ، أما في اللغة العربية فبعضهم يسميه علم الدلالة _ وتضبط بفتح الدال وكسرها_ وبعضهم يسميه علم المعنى وبعضهم يطلق عليه اسم السيمانتيك أخذا من الكلمة الانجليزية الفرنسية "[4]

---

[1]-علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق –دراسة تاريخية تأصيلة نقدية –فايز الدّاية –دمشق –دارالفكر -1996م-ص6 .

[2]-المرجع السّابق – ص6

[3]- التعّريفات – الشّريف الجرجاني –تح : محمد صديق المنشاوي –القاهرة – دار الفضيلة للنّشر والتّوزيع –ص91 .

[4]- علم الدلالة – أحمد مختار عمر- القاهرة عالم الكتب –ط5-1998م- ص11.

"ويرفضون تسميته بعلم المعاني لكون هذا الأخير فرع من فروع البلاغة "لكن حذار من استخدام صيغة الجمع والقول علم المعاني لأن هذا الأخير فرع من فروع البلاغة "[1]

على الرغم من أن هذا المصطلح(الدلالة) حديث نسبيا إلا أن جذور هذا العلم ضاربة في القدم فلقد كان للهنود واليونان والرومان مواضيع هامة لها علاقة مباشرة بعلم الدلالة .

4- علم الدّلالة وعلوم اللّغة :

لقد كان الاهتمام بعلم الدلالة منذ القديم ،وذلك لمدى أهميته ، فنشأته لم تكن مستقلة عن علوم اللّغة الأخرى ،بحيث لا يكاد يخلو علم من العلوم منه وهذا ما سنكتشفه لاحقا .

أ- علاقة علم الدّلالة بالأصوات:

5- **الصّوت لغة** : "الجرس... والجمع أصوات ، وقد صات يصوت صوتا ، وأصاتا ،وصوّت به كلّه نادى ، ويقال صوّت ، يصوّت ، تصويتا فهو مصوت ، وذلك إذا صوّت بإنسان فدعاه ، ويقال صات ، يصوّت صوتا ،فهو صائت معناه، صائح.قال ابن السكيت الصوت صوت الإنسان وغيره"[2]

كما يعد الصّوت أيضا ظاهرة من ظواهر اللّغة وعنصرا فعّالا من عناصرها ، وتقوم اللّغة على 3عناصر أساسية حدّدها زين كامل الخويسكي وهي :[3]

1_الأصوات المفردة وهي اللبنات الأولى والأساسية للغة

2- الكلمة أو الكلمات وتتألف من الأصوات مفردة، فكل كلمة مؤلفة من مجموعة من الأصوات

3-الجمل والتراكيب ، وتتألف من الكلمات مجتمعة ، فهي عبارة عن مجموعة من الكلمات منظمة بطريقة خاصة ، وتخضع لنظم وقوانين ارتضتها الجماعة الناطقة بها .

---

[1]- علم الدلالة – أحمد مختار عمر-ص11.

[2]- لسان العرب – ابن منظور – باب الصّاد – مادة (ص وت)- ص38.

[3]-الأصوات اللّغوية – زين كامل الخويسكي – الأزرايطة- دار المعرفة الجامعية - 1429 - 2008 - ص94

" وقد استعمل مصطلح phonetics في علم اللغة الانجليزي في معنى العلم الذي يدرس ويحلل ويصنف الأصوات الكلامية من غير الإشارة إلى تطورها التّاريخي وإنّما بالإشارة إلى كيفية إنتاجها واستقبالها "[1]

وبالتّالي يمكن القول إنّ علم الأصوات يعنى بالأصوات الإنسانية بالشّرح والتّحليل كوحدات مجردة ،وذلك بغض النّظر عن الوظائف التي تؤديها هذه الأصوات .

وتظهر علاقة علم الدّلالة بالصّوت من خلال استعانة علم الدّلالة بالصّوتيات "فالجانب الصّوتي قد يؤثر على المعنى مثل وضع صوت مكان آخر ومثل النّبر والتّنغيم و مثال ذلك ما جاء في قوله تعالى في سورة يوسف بعد قفد صواع الملك "قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين "،قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه "فلا شك أن تنغيم جملة(قالوا جزاؤه) بنغمة الاستفهام ، وجملة (من وجد في رحله فهو جزاؤه) بنغمة التقرير سيقرب المعنى إلى الذهن ويكشف عن مضمونها ."[2]

" وتتّضح علاقة علم الدّلالة بالصّوت أيضا فيما يكون بين أصوات بعض الكلمات وطريقة النّطق بهاو بين معانيها من ارتباط فقد جاء في الخصائص في" باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني" ومن ذلك قولهم :خضم وقضم ، فالخضم لأكل الرّطب كالبطيخ والقثاء ، وما كان نحوهما من المأكول الرّطب ،والقضم للصّلب اليابس نحو قضمت الدّابة شعيرها ونحو ذلك ."[3]

الصّوت اللّغوي يتميز بالدّقة في المخرج فالخضم هو أكل الرّطب ولذلك فقد ناسبته صوت الخاء الرّخوة ،أمّا القضم فهو لأكل اليابس ولذا فقد ناسبته صوت القاف القويّة الشّديدة .

و"مثلهما أيضا نجد "(سد) و(صد)، فبالرغم من أن كليهما بمعنى الحاجز، إلاّ أن الأول لسد الباب ونحوه وهو ضعيف فاستخدم له السين الضعيفة والثاني لجانب الحبل وهو قوي فاستخدم له الصاد القوية. "[4]

---

[1]- دراسة الصّوت اللّغوي – أحمد مختار عمر – القاهرة – عالم الكتب- 8 141-1997م-ص-67

[2]- ينظر : علم الدّلالة –أحمد مختار عمر-ص13.

[3]- الخصائص –أبي الفتح عثمان بن جني – تح : محمد علي النّجار المكتبة العلمية – ج2- ص157

[4]-علم اللّغة بين القديم والحديث ، عبد الغفّار حامد هلال – ط2-1406هـ-1984 م- ص199.

يتبيّن لنا من خلال ما ذكرناه من أمثلة أنّ الصّوت يساهم في الدّلالة فتارة يكسب الكلمة قوة إذا كان فيها حرف قوي كالصّاد في (صد) ،وتارة ضعف إذا كان في الكلمة حرف ضعيف مثل السّين في (سد).

" ويلعب النّبر أيضا دورا دلاليا باعتباره يمثل ظاهرة صوتية يقول إبراهيم أنيس فقد تتغير الدلالة باختلاف موقعه من الجملة فبعض الكلمات الانجليزية تستعمل اسما إذا كان النّبر على المقطع الأوّل منها ، فإذا انتقل النّبر على المقطع الآخر من الكلمة أصبحت فعلا وتستعمل حينئذ استعمال الأفعال".[1]

فإبراهيم أنيس من خلال هذا القول يؤكّد على أنّ النّبر يلعب دورا لا يستهان به في تغيير الدّلالة فبمجرد الضّغط على مقطع من مقاطع هذه الكلمة يتغيّر معناها ،بحيث يمكن للدّلالة أن تتغيّر من الاسم إلى الفعل .

ب- علاقة علم الدلالة بالنحو:

" إنّ ترتيب الجملة في اللّغة العربية يخضع لتنظيم خاص فلو اختل عنصر من عناصرها لأصبحت الجملة مبهمة ومعناها غير صحيح ، ولذلك فإنه يجب مراعاة الجانب النحوي ، أو الوظيفة النّحوية لكلّ كلمة داخل الجملة ، فلو لم يؤد تغيير مكان الكلمات في الجملة (تغيير الوظيفة النحوية)إلى تغيير المعنى ما كان هناك فرق بين قولك طارد الكلب القط وطارد القط الكلب ."[2]

فمن خلال الوظيفة النحوية يفهم من قام بالفعل ومن وقع عليه الفعل .

كما أنّ "التركيب والإعراب عمليتان متصلتان فأيّ إخلال في ذلك يجعل من العسير أن يفهم المراد من الجملة ، فالعلماء العرب قسّموا الكلام إلى اسم وفعل وحرف وبيّنوا صفات كل منهما ،

[1]- دلالة الألفاظ –إبراهيم أنيس- مكتبة الأنجلو مصرية – ط5-1984- ص47.

[2]- ينظر : علم الدلالة – أحمد مختار عمر - ص13

كما أنهم لاحظوا أن حركة الأسماء متغيرة ، وما خرج منها عدوه مبنيا وعدّوا أيضا الأفعال مبنية وما خرج منها فهو معرّب ومثال ذلك شكر موسى عيسى . "[1]

فمن خلال هذا المثال (شكر موسى عيسى) يتبيّن لنا أن الشّاكر هو موسى لأنّه هو الفاعل وهذا هو الأصل في ترتيب الجملة الفعلية .

ومثال ذلك ما يذكره عبد الغفّار حامد هلال في تحليله لجملة (دراسة ظاهرة المعنى ذات أهمية قصوى في البحث اللّغوي) فهذه الجملة لها معنى خاص مفهوم من صيغتها فإذا قمنا بتغيير ترتيب هذه الكلمات ترتيبا مغايرا (ظاهرة دراسة أهمية في البحث قصوى اللّغوي المعنى)أدى ذلك إلى غموض المعنى وفساده .[2]

للمواقع الإعرابية أهمّية في بيان المعنى والجملة تكون تنبئ عن معنى معين فبمجرد ترتيب كلماتها ترتيبا نحويا تقديما أو تأخيرا تفصح عن معنى آخر. وهذا كلّه يؤكد على أن هناك صلة قوية تربط بين العلمين علم النّحو وعلم الدّلالة .

ت- علاقة علم الدلالة بالصّرف:

يعرّف علم الصّرف"بأنّه العلم الذي يُعرَف به أحوال أبنية اللّفظة المفردة ، فعلم الصّرف يعنى بالبنية كما يعنى علم النّحو بالجمل والتراكيب "[3] أي أ ن علم الصّرف يبحث في أبنية الكلمة العربية والتّغيرات التي تطرأ عليها بصرف النّظر عن علاقتها داخل التركيب .

ولا يقل علم الصرف أهمية عن علم النّحو فهو أيضا من العلوم اللّغوية التي لا يمكن الاستغناء عنها فهو يعتبر ميزان العربية .

ومما لاشك فيه أن دراسة التركيب الصّرفي للكلمة يؤدي إلى بيان المعنى فلا يكفي على حدّ قول أحمد مختار عمر لبيان معنى (استغفر) بيان معناها المعجمي المرتبط بمادتها اللغوية(غ ف ر) ،

---

[1]- علم الدلالة في المعجم العربي – عبد القادر سلامي – دار ابن بطوطة – ط1-2007م- ص11.

[2]- علم اللغة بين القديم والحديث –عبد الغفار حامد هلال –ص201.

[3] - علم الصرف –سميح أبو مغلي –دار البداية ناشرون –ط1-1431هـ-2010م- ص 07

بل لابد أن يضمّ إلى ذلك معنى الصّيغة ، وهي هنا وزن (استفعل)، أو الألف والسّين والتاء التي تدلّ على الطّلب .[1]

فهذا الأخير(أ س ت) أضاف معنى آخر أكثر وضوحا إضافة إلى المعنى المعجمي (غ ف ر).

" ولبنية الكلمة أهمية في تحديد المعنى ، فعن طريق البنية وصيغها المختلفة تبرز المعاني المختلفة للكلمة ومثال ذلك ما جاء في كتاب دلالة الألفاظ : فكلمة كذّاب تزيد في دلالتها على كلمة كاذب ، وقد استمدت هذه الزيادة من تلك الصيغة ، فاستعمال كلمة كذّاب يمد السامع بقدر من الدلالة لم يكن ليصل إليه أو بتصوره لو أن المتكلم استعمل كاذب "[2] .

فاختلاف الصيغة بين كاذب وكذّاب جعلت لأحدهما وقعا وأثرا لا يمتلكه الآخر، فكذّاب أقوى في الدّلالة من كلمة كاذب لأن الأولى جاءت على صيغة تفيد المبالغة ،ولذا فهي تزيد في دلالتها ،ويفهم منها أنه كثير الكذب ، في دين كاذب التي على وزن فاعل أقل وقعا ودلالة عند السّامع .

فكلّ صيغة يسمعها العربي يفهم منها دقائق دلالة اللّفظ ضمن منطوق اللّفظ من خلال الميزان الصرفي أو النغمة .[3]

"ونوضّح ذلك من خلال المثال الآتي "لفظة لعب ، لو أضيف إليها وحدة صوتية أخرى(ي) في أول اللفظة لزاد المعنى وأصبح للدلالة على من قبل مذكّر، ولو أضفنا وحدة صوتية في آخر اللفظة نحو لعبت لدلّت على اللّعب من قبل مؤنث في الزّمن الماضي وقد جعل التّغيير في المعنى نتيجة لتغير الصّيغة الصّرفية "[4] .

---

[1]- ينظر : علم الدلالة –أحمد مختار عمر –ص13.

[2]- ينظر : دلالة الألفاظ –إبراهيم أنيس- ص48.

[3]- دلالة الألفاظ ،دراسة تحليلية وتطبيقية لمفهوم وأنواع دلالة اللّفظ- عبد المنعم بشناتي - جامعة الجنان - لبنان – ص19.

[4]- علم الدلالة في المعجم العربي – عبد القادر سلامي – دار ابن بطوطة -ط1-2007- ص58.

من خلال ذكرنا لهذه الأمثلة تتضح العلاقة القوية بين علم الدّلالة وعلم الصّرف، علم الصّرف يدرس الأوزان الصرفية وتدرس الدلالة المعنى ، وتتحدد العلاقة بينهما من خلال هذه الصيغ والأوزان ، فكلما ثقل الميزان الصرفي ثقل معه المعنى.

ث- علاقة علم الدّلالة بالمعجمية :

" لقد تم جمع التّراث العربي فيما يسمى المعاجم ، وذلك في وقت عصر قوة العربيّة ،وهي تمثّل حياة العرب وعاداتهم وأخلاقهم وآثارهم ،وكل ما مرّ بهم من أحوال في إبانها [1].

فالمعجم بمثابة وعاء يجمع فيه مفردات اللّغة مقرونة بشرحها و تعريفها، بحيث تكون هذه المفردات مرتبة ترتيبا معيّنا.

فكل كلمة من كلمات اللغة لها دلالة معجمية واجتماعية ، تستقل ممّا يمكن أن توحيه أصوات هذه الكلمة و صيغتها عن دلالات زائدة على تلك الدّلالة الأساسية التي يطلق عليها الدّلالة الاجتماعية [2] .

أي "أنّ المعجمية تهتم بدراسة الكلمات المفردة منعزلة عن السّياق في حين تدرس الدّلالة المعنى على مستوى التّراكيب والمفردات فالمعجمية جزء من علم الدلالة لأنّها ترتكز على معاني المفردات والمعجم هو الذّي يحدد لكلّ كلمة دلالتها المعجمية المستقلة التي تواضع عليها المجتمع ،ومن خلالها يتم التّواصل والتّفاهم"[3].

كان هذا عن علاقة علم الدلالة بالعلوم اللغوية ، فرأينا بأن له وشائج قربى مع علم الأصوات،وعلم النّحو، وعلم الصّرف وحتّى المعجمية تربطه بها صلة قوية .ولكن ماذا عن علاقته بعلم البلاغة ؟

[1]- علم اللغة بين القديم والحديث- عبد الغفار حامد هلال – ص198.

[2]- ينظر : دلالة الألفاظ – إبراهيم أنيس- ص49.

[3]- ينظر: المرجع نفسه- ص49.

ج- علاقة علم الدّلالة بالبلاغة :

1- مصطلح البلاغة في القرآن الكريم :

لقد وردت صيغة (بليغ) في قوله تعالى ﴿ **فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا** ﴾[1]، وقد جاء في تفسير هذه الآية عند الزّمخشري "أي:قل لهم قل لهم قولا بليغا في أنفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ،ويشعرون منه بالخوف استشعارا"[2]

2- البلاغة لغة:

جاء في أساس البلاغة للزّمخشري:"....بلغ الرجل بلاغة فهو بليغ وهذا قول بليغ وتبالغ في كلامه: تعاطى البلاغة وليس من أهلها، وما هو بليغ ولكن يتبالغ، وبلغ الفارس مديده بعنان فرسه ليزيد في عدوه، ووصل رشاءة بتبلغهم وهو حبيل يوصل به حتى يبلغ الماء،وهو الدرك ولابد لأرشيتكم من تبالغ".[3] فهي إذن الوصول والانتهاء

و في لسان العرب :"بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا :وصل وانتهى ،وأبلغه هو إبلاغا وبلغه تبليغا .... وبلغت المكان بلوغا، وصلت إليه وكذلك إذ شارفت عليه،وأشار ابن منظور أيضا إلى معنى البلاغة في قوله :البلاغة، الفصاحة ،والبَلْغ والبِلْغ: البليغ من الرجال ،ورجل بليغ وبَلْغ وبِلْغ : حسن لكلام فصيحه يبلّغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه ، والجمع بلغاء ،وقد بلغ بلاغة ،أي صار بليغا".[4]

---

[1]- سورة النساء – الآية 63.

[2]-تفسير الكشاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل- الزّمخشري- بيروت لبنان- دار المعرفة- ط3-1430هـ-2009م- ص 243.

[3]- أساس البلاغة –الزّمخشري-ج1- ص75.

[4]- لسان العرب –ابن منظور –بيروت – دارصادر- ط3-1414هـ- ص420.

3- اصطلاحا :

"فهي تطلق على الكلام والمتكلم فنقول تارة هذا الكلام بليغ، ونقول أيضا متكلم بليغ .ونعني ببلاغة الكلام "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع سلامته من العيوب المخلّة بفصاحته وفصاحة أجزائه".[1]

أي يجب مراعاة المقام الذي يقال فيه ذلك الكلام وقد عبر العرب قديما عن ذلك بقولهم لكل مقام مقال .

أما بلاغة المتكلم" فهي ملكة راسخة في نفس صاحبها يتمكن بها من تأليف كلام بليغ في أي معنى يريد ،وصاحب هذه الملكة وإن لم ينطق أي بليغ بالقوة، فإذا نطق أو كتب كان بليغا بالفعل".[2]

فالمتكلم يستطيع أن يكتسب هذه الملكة عن طريق المداومة على القراءة وتذوق الكلام الفصيح البليغ ، وتظهر بلاغة المتكلم سواء في كتاباته ،أو أثناء نطقه.

أما حدّ البلاغة عند السّكاكي (ت626هـ) فهي" بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدّا له اختصاص بتوفية خواص التّراكيب حقّها ، وإيراد أنواع التّشبيه والمجاز على وجهها ، ولها (أعني البلاغة) طرفاه أعلى وأسفل متباينان لا يتراءى له نارهما ، وبينهما مراتب تكاد تفوت الحصر متفاوتة. فمن الأسفل تبدأ البلاغة ،والقدر الذي إذا نقص منه شيء التحق ذلك الكلام بما شبهناه به في صدر الكتاب من أصوات الحيوانات ثم تأخذ في التّزايد. متصاعدة إلى أن تبلغ حدّ الإعجاز، وهو الطّرف الأعلى وما يقرب منه ."[3]

يوضّح هنا السّكّاكي البلاغة ومعالمها في كتابه فهو يعرّفها تعريفا دقيقا ، ويدخل مباحث ما يعرف بعلم المعاني والبيان ، لكنّه لا يدخل علم البديع وهذا ما يجعل تعريفه قاصر .

---

[1]- البلاغة الاصطلاحية –عبد العزيز عتيق –القاهرة – دارالفكر العربي-ط3-1412هـ- 1992م- 30.

[2]- المرجع نفسه - ص31.

[3] - مفاتيح العلوم - أبي يعقوب بن علي السّكّاكي - تحقيق وتقديم عبد الحميد هنداوي - بيروت - لبنان - دار النّهضة العربية - ط1- 1420هـ- 2009 م- ص526.

كما وردت بعض تعريفات البلاغة أُخِذت من كتاب ابن رشيق القيرواني : "سئل بعض البلغاء ما البلاغة ؟ فقال قليل يفهم وكثير لا يسأم ، وسئل آخر : فقال: معانٍ كثيرةٍ في ألفاظ قليلة . وقيل لأحدهم ما البلاغة ؟ . فقال : إصابة المعنى وحسن الإيجاز ، وسئل بعض الأعراب ، من أبلغ النّاس فقال أسهلهم لفظا وأحسنهم بديهة . وقال خلف الأحمر : البلاغة لمحة دالة والبلاغة أيضا كلمة تكشف عن البقيّة . وقال آخر : معرفة الفصل من الوصل . وقيل حسن العبارة مع صحّة الدّلالة .[1]

ليس من شك بأنّ الأقوال الكثيرة في هذا الباب على الرّغم من اختلافها فهي لا تتّفق على تعريف واحد جامع للبلاغة ، إلاّ أنّها تلتقي جميعا في نقطة مهمّة وهي لا يمكن الاستغناء عن البلاغة في الكلام .

إنّ المتتبّع لهذه الكلمة (البلاغة) في كتب الأدب يرى أنّها شائعة معروفة فقد مرّت البلاغة بأربعة أطوار:[2]

- الطّور الأوّل: يبتدأ من عهد الجاحظ إلى عهد عبد القاهر الجرجاني
- الطّور الثّاني : من عهدعبد القاهر الجرجاني إلى عهد السّكّاكي .
- الطّور الثّالث : من عصر السّكاكي إلى عصر النّهضة أي من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة منذ منتصف القرن الخامس عشر ميلادي ، وبلغت أوّجّ ازدهارها في نهاية الفرن السّادس عشر .
- الطّور الرّابع : من عصر النّهضة إلى عصرنا .

فأوّل من أسّس هذا الفن وأوضح براهينه ، وأظهر فوائده ، ورتّب أفانينه الشّيخ العالم النّحرير عبد القاهر الجرجاني ، " فلقد فكّ قيد الغرائب بالتّقييد ، وهدّ من سور المشكلات بالتّسوير المشيّد ، وفتح أزاهره من أكمامها أزراه بعد استغلاقها واستبهامها ، فجزاه الله عن الإسلام أفضل

[1]- في البلاغة العربية – علم المعاني – عبد العزيز عتيق – بيروت – لبنان – دار النّهضة العربية – ط1- 1430-2009- ص10.

[2]- البلاغة العالية – علم المعاني – عبد المتعال الصّعيدي – تقديم ومراجعة عبد القادر حسين – ط1- 1411هـ-1991م- (من مقدّمة الكتاب).

الجزاء، وجعل نصيبه من ثوابه أوفر النّصيب والجزاء ، وله من المصّنفات فيه كتابان أحدهما لقبه بدلائل الإعجاز ،و الآخر لقبه بأسرار البلاغة ".[1]

نستنتج مما سبق بأنّ عبد القاهر الجرجاني مؤسس علم البلاغة ، ويعدّ كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة من الكتب المهمّة التّي ألفت في هذا المجال رغم أنّ النّفحات الأولى لهذا العلم كانت مع الجاحظ في كتابه البيان والتّبيين .

ومن العلماء المتأخّرين الذين وقفوا عند البلاغة نجد الخطيب القزويني (ت739هـ) فهي عنده " علم له قواعده وفنّ له أصوله أدواته ن كما لكلّ علم وفنّ وهو ينقسم إلى ثلاثة أركان أساسية: علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع ."[2]

وفي ما يخصّ علاقة علم الدّلالة بالبلاغة تساهم هذه الأخيرة في تبدّلات المعنى الدّلالي ، فهي أحد روافده الفنيّة : " فالدّلالة لا تدرك إلاّ بالإحاطة الوافية بعلم المعاني لأنّ السّبيل إلى معرفة خواص التّراكيب ومذاهب القول في أداء المعاني ، والإحاطة الوافية بعلم البيان لأنّ كثيرا ما تؤدّى المعاني بطريقة المجاز ، فلا سبيل لمن يجهل طرائق أداء المعنى بطريق المجاز إلى إدراك الدّلالة وتأويل الرّموز ، وأمّا الجمال فلا سبيل إلى إدراكه في الكلام إلاّ بعلم البلاغة."[3]

أي أنّ الدّراسات البلاغية تشترك مع علم الدّلالة في مناقشة تلك القضايا المتعلّقة بالمجازات، غير أنّ وجهة التّناول والدراسة بينهما تختلف ، فعلم الدّلالة يتناول المجاز ضمن مبحث الانتقال الدّلالي ، أمّا علم البلاغة فيتناوله ضمن مبحث علم البيان .

[1]– أسرار البلاغة – عبد القاهر الجرجاني – تعليق أبو الفهم محمود محمد شاكر – جدّة – دار المدني – (من مقدّمة الكتاب).

[2]– الإيضاح في علوم البلاغة – المعاني والبيان والبديع – الخطيب القزويني – بيروت – لبنان – منشورات محمد علي بيضون – ط1– 1424هـ–2003م – ص03.

[3]– تأصيل البلاغة – بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة – عبد المالك بومنجل – منشورات مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده – ص17.

فمسألة الدّلالة أو المعنى " شغلت بال أئمّة اللّغة ، وأرباب البلاغة حيث هيمنتهم على مساحة واسعة من جهودهم العلمية وإنجازاتهم الفكريّة في التّصنيف والتّدوين والتّنظير "[1].

"ويتمّ تبدّل المعنى الدّلالي أيضا في البلاغة عن طريق عدّة ألوان بلاغية منها فكرة المقام والمقال ، والاستعارة و الكناية ، والتّوريّة والتّشبيه ، وفي جميع هذه المباحث يتمّ انزلاق المعنى أو تبدّله بطريقة تدخل البلاغة في علم الدّلالة ،" فمن يدرس علم الدّلالة لا يمكنه أن يغفل هذه الألوان البلاغيّة ن فهي من العوامل المؤثّرة التّي تؤدي إلى تغيّر المعنى وانزلاقه "[2].

ومن ثمّ لا يمكننا أن نفصل علم الدّلالة عن باقي العلوم اللّغويّة الأخرى لأنّ "السّيمانتيك التقاء لأنواع من التّفكير والمناهج مثل الفلسفة وعلم النّفس وعلم اللّغة .....وإن اختلفت اهتمامات كل لاختلاف نقطة البداية ."[3]

والمقصود لا يمكن دراسة علم الدّلالة على حِدَةٍ مفصولا عن بقيّة العلوم الأخرى ، فبالإضافة إلى علاقته بالأصوات والنّحو والصّرف ، نجد أنّ علاقته جدّ متينة مع البلاغة .

5- الدّلالة اللّفظيّة والمعنويّة عند الرّازي :

درس الدّلالة اللّفظية ضمن بابين الباب الأوّل فيه خمسة فصول :

1- الفصل الأول : "في إقامة الحجّة على أنّ الفصاحة لا يجوز عودها إلى الدّلالات الوضعية للألفاظ ."[4]

يقول الرّازي : اعلم أنّ الذين يجعلون الفصاحة صفة للّفظ ، فالأظهر أنّهم يجعلونها صفة الألفاظ لأجل دلالتها على مسمياتها ." [5]

---

[1]- جدليّة السّياق والدّلالة في اللّغة العربيّة – النّص القرآني نموذجا – سيروان عبد الزّهرة الجنابي – حيدر جبار عيدان- العدد 9-2008 – ص33.

[2]- العلاقات الدّلالية والتّراث البلاغي العربي – دراسة تطبيقيّة – عبد الواحد حسن الشّيخ – مطبعة الإشعاع الفنيّة –ط1- 1419هـ - 1999م- ص16.

[3]- علم الدّلالة – أحمد مختار عمر – ص 16.

[4]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز- فخر الدّين الرّازي – ص 40.

[5]- ينظر المرجع نفسه - ص 40.

ثمّ يضيف قائلا : " ويحتمل احتمالا بعيدا أي يجعلوها صفة للألفاظ لا باعتبار دلالاتها على مسمياتها " .

ويورد أدلة تبطل الاحتمال الأول : " ما بينا أنّ من المستحيل أن يكون بين اللّفظين في الدّلالة الوضعيّة حتّى يكون أحد المترادفين أدلّ على مفهومه من الآخر سواء أكان من لغة واحدة ، أومن لغتين ، أو يكون الموضوع لمفهوم أدلّ عليه من الموضوع لمفهوم آخر عليه ، ولما امتنع التّفاوت في الدّلالة امتنع التّفاوت في الفصاحة ،

أمّا الاحتمال الثّاني : لو كانت الفصاحة لأجل الدّلالة اللّفظيّة لكانت مقابلة اللّفظة بمرادفها معارضة لها ، وكانت التّرجمة معارضة لها [1]."

وقد استفاد علماء الأصول من بحوث علوم المنطق الذين حازوا السّبق والرّيادة في دراستهم للدّلالة وقد توجّهت عنايتهم بالخصوص إلى الدّلالة اللّفظية لما اكتسبته من أهمية في فهم الخطاب الشّرعي واستنباط الأحكام . [2]

كما يعدّ البحث في الدّلالة الأساس الذي ينبني عليه علم أصول الفقه ، وهذا ما كشف عنه أبو حامد الغزالي عند ما قال : " اعلم أنّ هذا القطب هو عمدة علم الأصول لأنّه ميدان سعي المجتهدين في اقتباس الأحكام من أصولها "[3] .

وفي هذا إشارة واضحة إلى أهمية هذا العلم في بناء علوم الفقه.

6-أنواع دلالة الألفاظ عند فخر الدّين الرّازي :

" لم يختلف الرّازي عن الأصوليين الآخرين في تقسيمه للدّلالات ، فهو يرجعها إلى اعتبارات عدّة منها تمام المعنى ، ومنها حسب مفهومه ، ومنها حسب تعدّده، فمن حيث تمام المعنى تنقسم دلالات الألفاظ إلى أقسام ثلاثة : المطابقة والتّضمن والالتزام ".[4]

---

[1]- ينظر نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز- فخر الدّين الرّازي – ص41.

[2]-ينظر : ابن الحزم وآراؤه الأصوليّة – محمد بنعمر – بيروت لبنان- دار الكتب العلميّة – دط- 1971- ص192.

[3]- المرجع نفسه – 193.

[4]- ينظر : الدّليل اللّغوي ، وعلاقته باللّفظ والمعنى عند فخر الدّين الرّازي – نوارى عبيدي – كليّة الآداب واللّغات – المركز الجامعي – الطّارف – ص21.

وهذه الدّلالات الثّلاث تنزل من كون الدّلالة إمّا وصفيّة أو عقليّة موضّحة في الشّكل الآتي :[1]

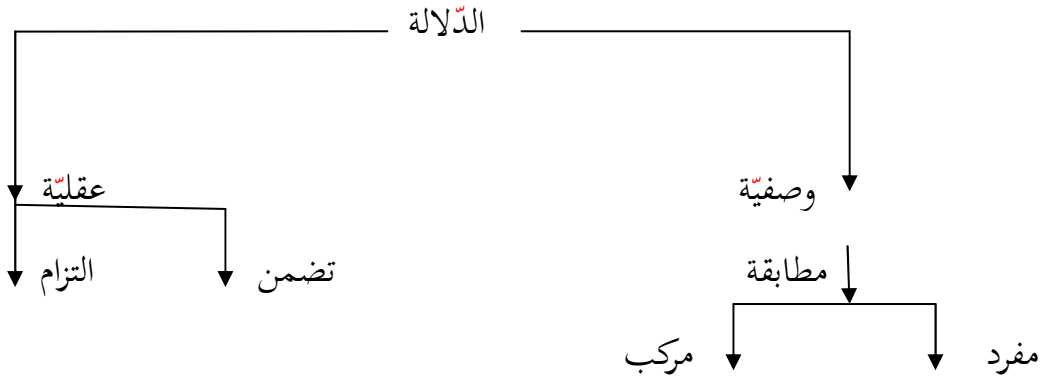

" فالمطابقة هي دلالة اللّفظ على كامل معناه مثل لفظ الإنسان والشّجرة ، ويمكن لهذا المعنى أن يكون مفردا أو مركبا " [2].

يقول الرّازي : " إنّ النّفس عبارة عن الذات ، يقال نفس الشّيء وذاته بمعنى واحد .والمراد تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ، ولكنّه ذكر هذا الكلام عن طريق المطابقة ، والمشاكلة وهو من فصيح الكلام " [3].

"أما دّلالة التّضمن عنده فهي : فهي دلالة اللّفظ على جزء المسمّى أي (معناه) كدلالة لفظ البيت على السّقف وحده ، أو على الجدار ، إلاّ أنّ دلالة المطابقة أكثر في اللّغة من التّضمن لجواز أن يكون المدلول بسيطا لا جزء له يتضمّنه ".[4]

" أمّا في الفصل الذي عنونه ب : **أقسام دلالة اللّفظ على المعنى** يقول : " وهي إمّا أن تكون وضعيّة أو عقليّة ، فالوضعيّة كدلالة الألفاظ على المعاني التّي هي موضوعة بإزائها كدلالة ،

[1]- الدّليل اللّغوي وعلاقته باللّفظ عند فخر الدّين الرّازي – نوارى عبيدي– ص 21

[2]- المرجع نفسه – ص18

[3]-المرجع نفسه- ص18.

[4]- المرجع نفسه – ص 18.

الحجر ، والجدار والسّماء على مسمياتها ولا شكّ في أنّها وضعيّة وإلاّ امتنع اختلاف دلالاتها باختلاف الأوضاع "[1].

فالدّلالة الوضعيّة هي دلالة الألفاظ على المعاني التّي وضعت لها أصلا .

أمّا العقليّة : " فإنها تدلّ على ما يكون داخلا في مفهوم اللّفظ كدلالة لفظ البيت على السّقف الذي يوجز المفهوم ومثال ذلك دلالة لفظ السّقف على الحائط ، فإنّه لما امتنع انفكاك السّقف على الحائط عادة كان اللّفظ مفيدا للحائط بواسطة دلالته على الأوّل ن فكانت هذه الدّلالة عقليّة "[2].

7-الدّلالة الالتزامية عند فخر الدّين الرّازي :

دلالة الالتزام هي : "دلالة اللّفظ على خارج عنه أي ما وضع له "[3].

أو بمعنى آخر : " أن يكون اللّفظ له معنى ، وذلك المعنى له لازم من الخارج ، فعند فهم مدلول اللّفظ ينتقل الذّهن من مدلوله إلى لازمه الخارج ، ومثاله دلالة لفظ السّقف على الحائط ، فالسّقف يلتزم الحائط الذي يعتمد عليه ."[4]

أمّا فخر الدّين الرّازي : فوردت عنده تحت عنوان " في الدّلالة الالتزاميّة" يقول: اعلم أنّهم يصفون البلاغة في دلالتها ، كقولهم لا يستحقّ الكلام الوصف بالبلاغة حتّى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك ..."[5]

بمعنى أنّه يجب على المتلقي أن يكون على دراية بمعاني الألفاظ، وبذلك لا يحدث خلل في التّواصل بينهما .

---

[1]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي –ص 37.

[2]- المرجع نفسه –ص 37.

[3]- ابن الحزم وآراؤه الأصوليّة – محمد بنعمر- ص 91.

[4]- -الدّليل اللّغوي وعلاقة اللّفظ بالمعنى عند فخر الدّين الرّازي – نوار عبيدي- ص21.

[5]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي .- ص42.

ولقد جمع الغزالي (ت505هـ) هذه الأقسام الثّلاثة ، وأوجزها في هذا النّص يقول فيه : " إنّ معنى دلالة اللّفظ على المعنى من ثلاثة أوجه : أحدهما بطريق المطابقة ، كدلالة لفظ البيت على معناه، والآخر بطريقة التّضمن كدلالة لفظ البيت على الحائد على المخصوص ن والثّالث بطريق الالتزام كدلالة السّقف على الحائط"[1].

فعلماء الأصول يقسمون دلالة اللّفظ على المعنى إلى دلالة المطابقة ، والتّضمن ، والالتزام. إلاّ أنّ بعضهم الآخر اقتصر على قسمة ثنائية مثل فخر الدّين الرّازي الذي كما لاحظنا سابقا بأنّه اكتفى بتقسيمها إلى دلالة وضعية وعقليّة ، في حين خصّص قسما مستقلاّ للدّلالة الالتزامية.

8- الدّلالة المعنويّة عند فخر الدّين الرّازي :

في القسم الثّاني من الجملة الأولى عنونه ب"في أحكام الدّلالات المعنويّة " يقول الرّازي :" اعلم أنّ الألفاظ المفردة لا تستعمل لإفادتها المعنويّة إلاّ عند التّركيب ، والمركّبات أصنافها كثيرة ، ولكنّ الخبر هو الذي يتصوّر بالصّورة الكثيرة ، وتظهر فيه الدّقائق العجيبة ، والأسرار الغريبة من علم المعاني والبيان "[2].

بمعنى أن مزيّة الألفاظ المعنويّة لا تكمن فائدتها إلّا عند التّركيب، وفي هذا إشارة إلى جانب السّياق الذي يمنح للمفردة معناها داخل التّركيب الّذي ترد فيه.

تلكم هي أهمّ المسائل المتعلّقة بدلالة الألفاظ عند الرّازي، وقدر ركّزنا على الدّلالة اللّفظيّة والمعنويّة، أمّا أنواع الدّلالات عنده فلم يبتعد الرّازي كثيرا عن مذهب الأصوليين الذين سبقوه .

[1]- ابن الحزم وآراؤه الأصوليّة – محمد بنعمر- ص 91.

[2]- المرجع نفسه – ص67.

الفصل الثّالث : التّصوّر البلاغي عند فخر الدّين الرّازي :

I. علم المعاني :

1. التّقديم والتّأخير.
2. الإيجاز والإطناب والمساواة .
3. التّعريف والتّنكير.
4. أسلوب القصر.
5. الفصل والوصل

II. علم البيان :

1. التّشبيه
2. الاستعارة
3. المجاز
4. الكناية

III. منهج الرّازي في دراسة البديع :

1. المحسّنات البديعيّة المعنويّة
2. المحسّنات البديعيّة اللّفظيّة .

يُعَدُّ علم البلاغة واحدا من علوم العربيّة التّي تتميّز بجمال الأسلوب اللّفظي والمعنوي ، وتجعل القارئ يدرك المعنى المقصود من الكلمات في صورة موجزة ووقعٍ ممتعٍ ، كما يمكنك بواسطته تمييز الكلام الجيّد الحسن من االقبيح .

وقد بحث العلماء كثيرا في حيثياتها ومكنوناتها ، فوصلوا إلى تعريفات عديدة لها ، كما ركّزوا على علومها فتمخّض عن ذلك ثلاثة علوم: علم المعاني والبيان والبديع، والحديث عن البلاغة ونشأتها مرتبط بفكرة الحديث عن الإعجاز .

"فنجد فخر الدّين الرّازي (ت606هـ) يلخّص كتابي عبد القاهر الجرجاني (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، ويصوّغ منهما قواعد منطقية في دفاعه عن إعجاز القرآن في مصنّفه نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"[1] .

I. علم المعاني :

علم المعاني" قسيم لعلم البيان عند البلاغيين القدامى ، وهما ركنان من الهرم الثّلاثي لقواعد البلاغة العربيّة بالمفهوم التّقليدي ."[2] فعلم المعاني أحد أركان البلاغة الذي لا يمكننا الاستغناء عنة في دراستنا عند علماء البلاغة القدامى .

و هو "علم يعرف به أحوال اللّفظ العربيّ التّي بها يطابق مقتضى الحال مع وفائه بغرض بلاغي يفهم ضمنا من السّيّاق ، وما يحيط به من القرائن ، أو هو علم يبحث في الجملة ، بحيث تأتي معبّرة عن المعنى المقصود ."[3]

[1]- النّحو في كتاب إعجاز القرآن – نسرين حامد منعم المعموري – بغداد – 1424هـ-2003م- ص07.

[2]- أصول البيان العربيّ في ضوء القرآن الكريم – محمد حسين علي الصّغير – بيروت – لبنان – دار المؤرخ العربي – ط1- 1420-1999 هـ – ص 165.

[3]- الإيضاح في علوم البلاغة – المعاني والبيان والبديع - الخطيب القزويني – بيروت –لبنان – دار الكتب العلمية – ط1- 1424- 2002 -ص04.

يتّضح لنا بأنّ علم المعاني يبحث في اللّفظة العربيّة داخل السّياق الذي تعبرّ فيه عن المعنى المراد منها.

أمّا السّكاكي فيعرّفه بقوله : "تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة ، وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[1].

بمعنى أن علم المعاني يبحث في فائدة تراكيب الكلام ومعانيه، لنتجنّب الوقوع في الخطأ خلال تأديتنا للكلام على حسب ما يقتضيه الحال .

❖ **تقسيم مباحث علم المعاني :**

استقر البلاغيون في تقسيمهم لمباحث علم المعاني على ما جرى عند كل من السّكاكي والقزويني .

- **السّكاكي** :" قسّم مباحث علم المعاني بطريقة خاصّة ، فهو يضعها في قوالب جامدة تنتهي به إلى قوانين، والقوانين إلى فنون ، والفنون إلى مباحث : القانون الأوّل : الخبر، والقانون الثّاني ويتعلّق بالطّلب ، وقسّمه إلى أربعة فنون : الأوّل : في الإسناد الخبري ، والثّاني : في تفصيل اعتبارات المسند إليه و الثّالث : في تفصيل اعتبارات المسند و الرّابع : في اعتبارات الفصل والوصل ، والإيجاز والإطناب والقصر .[2]

- **القزويني** : "حصر مباحث علم المعاني في ثمانية أبواب :

أحوال الإسناد الخبري ، أحوال المسند،أحوال المسند إليه، أحوال متعلّقات الفعل ، القصر، الإنشاء ، الفصل والوصل، الإيجاز والإطناب والمساواة "[1].

---

[1]- مفتاح العلوم – أبي يعقوب يوسف السّكّاكي – علّق عليه نعيم زرزور – بيروت – لبنان – دار الكتب العلميّة – ط1- 1408-1987- ص 161.

[2]- ينظر : علم المعاني بين الأصل النّحوي والموروث البلاغي – محمد حسين عليّ الصغير – العراق – دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة – ط1- 1989- ص25.

[1]- الإيضاح في علوم البلاغة – المعاني والبيان والبديع - الخطيب القزويني – ص 24.

لا يبتعد القزويني في تقسيمه لمباحث علم المعاني كثيرا عمّا ورد عند السّكاكي فهو يتّفق معه في مباحث المسند والمسند إليه ، الفصل والوصل ، الإيجاز والإطناب والقصر.

ج- **عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) :**

"قام بإرساء فكرة النّظم ، وكشف مجاملها وأكّد على ارتباطها بسبب أو آخر بمعاني النّحو ، كان يهدف فيها إلى التّمهيد الطّبيعي لما تواضع على تسميّته البلاغيون (بعلم المعاني) حينما يتحدّث عن الفصل والوصل ، والتّقديم والتّأخير ، والحذف والذّكر ، والإظهار والإضمار، والتّعريف والتّنكير ، والمسند و المسند إليه ، والخبر والإنشاء ، والإيجاز والإطناب ، وإضراب ذلك إنّما يتحدّث عن علم المعاني ، وإن لم يقل أنّ هذه هي مادّة علم المعاني ، فهو أمر مفروغ عنه في تأكيده المعاني في أصل نظريّته ، ودلالته عليها في جملة مباحثه ومعالجاته الفنيّة ،وتناسق فكرة النّظم لديه ، بحيال معاني النحو مشققا على ومفرغا عنه بما لا مزيد عليه " [1].

عبد القاهر الجرجاني وإن لم يذكر بصريح العبارة أنّه تناول مباحث علم المعاني ، لكنّ ذلك يظهر جليّا واضحا أثناء حديثه عن الفصل والوصل ، التّقديم والتّأخير ،والحذف والذّكر، والتّعريف والتّنكير....

فعلم المعاني فرع من فروع علوم البلاغة ، "يختصّ بالبحث في الجملة وتركيب الكلام الذي يتناسب والموقف الذّي يقال فيه ، فهو لا يقتصر على دراسة الكلمة كمفردة معجميّة فحسب ، بل يهتم بها داخل تركيب معين دون إهمال لقواعد النّحو "[2].

ومن المباحث البلاغيّة المرتبطة بالجملة و التّي يهتم بها علم المعاني ونجدها متفرّقة في كتاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدّين الرّازي ما يلي :

[1]- أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم – محمد حسين علي الصّغير - ص193-194.

[2]- ينظر: المرجع نفسه- ص194.

1- التّقديم والتّأخير :

من الأغراض البلاغيّة الذّي يضفي على الكلام جمالية، وهو " باب طويل عريض يشتمل على أسرار دقيقة وهو ضربان : **الأوّل**: يختص بدلالة الألفاظ على المعاني ، ولو أخّر المقدم ، أو قدّم المؤخر لتغيّر المعنى ، **والثّاني**: يختصّ بدرجة التّقدّم في الذّكر لاختصاصه بما يوجب لذلك ، ولو أخّر لما تأخّر المعنى ".[1]

ويعني هذا أنّه من المباحث الشّائكة في علم المعاني ، فمن النّاحية الأولى أيّ تبديل أو تغيير في رتب الألفاظ يؤدّي بالضّرورة إلى التّغيير في المعنى إذا اختصّ بدلالة لفظ على معناه ، أمّا إذا اختصّ بدرجة التّقدّم في الذّكر لم يتأخّر معناه .

و يقرّ عبد القاهر الجرجاني بأهميّة التّقديم والتّأخير بقوله : " باب كثير الفوائد جمّ المحاسن ، واسع التّصرّف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر ذلك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ..."[2].

و"ذكر أنّ العرب أتوا به دلالة على تمكّنهم في الفصاحة ، وملكتهم للكلام وتصرّفهم فيه على حكم ما يختارونه ، وانقياده لهم لقوّة ملكتهم فيه ، وفي معانيه ثقة بصفاء أذهانهم ،وإذا كان هذا الأسلوب قد حفل به العرب ، فهو في النظم القرآني له أهميته التّي تبعث من حكمة بالغة ، وقدرة فائقة في حسن اختيار الألفاظ وضمّ بعضها إلى بعض حسب ما يقتضيه المقام "[3].

---

[1]- المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر – ابن الأثير- تح : – محمد محيي الدّين عبد الحميد – مصر – مطبعة مصطفى الحلبي – 1358- 1939هـ - ص38

[2]- التّوجيه البلاغي لآيات العقيدة في المؤلفات البلاغية في القرنين السّابع والثّامن الهجريين – يوسف بن عبد الله بن محمد العليوي - ط1- 1429- 2008– ص 241.

[3]- المرجع نفسه – ص 251.

وفي هذا إشادة بأهميّة التّقديم والتّأخير عند العرب ، فهو دليل على فصاحتهم وتمكّنهم في البلاغة ، أمّا في القرآن الكريم ، فقد بلغ أشدّه ومنتهاه، فكلّ تقديم أو تأخير لغرض معيّن أو هدف منشود.

وللزّركشي توجيه حسن للتّقديم والتّأخير في الآية ، "حيث جعل المقتضي للتّقديم هو الشّرف لأنّ علم الغيبيات أشرف من المشاهدات ، ومنه قوله تعالى : ﴿**يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ** ﴾[1] ، وقوله تعالى: ﴿ **وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ** ﴾[2]"[3].

فإن كنا سابقا أشرنا إلى أنّ التّقديم والتّأخير بلغ ذروته القصوى في القرآن الكريم كما ورد في قول عبد القاهر الجرجاني فإنّ الزّركشي يجعل مقتضاه الشّرف ويمثّل لذلك بآيات من الذّكر الحكيم .

" وللعليوي توجيه آخر حيث يراه أنّه الأجود ، وهو أنّ بلاغة التّقديم تختلف حسب المقام ، فإذا كان المقام مقام خطاب بامتثال الأوامر في العبادة قُدِّم الجنّ لما كانت المخالفة منهم في ترك العبادة أكثر من الإنس كما في قوله تعالى : ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[4] ، وفي قوله تعالى :﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ**﴾[5]. قدّمهم لما كان المقام مقام تسلط واجتراء والجنّ بذلك أحقّ ، وهذا توجيه حسن وأليق بالنّظم القرآني".[6]

---

[1]- الأنعام – الآية 3

[2]- التّغابن – الآية 4

[3]- التّوجيه البلاغي لآيات العقيدة في المؤلفات البلاغية في القرنين السّابع والثّامن الهجريين – يوسف بن عبد الله بن محمد العليوي –ص 251.

[4]- الذّاريات – الآية 56.

[5]- الرّحمن – الآية 33.

[6]- التّوجيه البلاغي لآيات العقيدة في المؤلفات البلاغية في القرنين السّابع والثّامن الهجريين – يوسف بن عبد الله بن محمد العليوي –ص253.

أمّا إذا كان السّيّاق للتّحدّي بالقرآن الكريم تقدّم الإنس على الجنّ ، لأنّ الإنس هم المقصودين بالتّحدّي أولا وقبل كلّ شيء قال تعالى :﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا** بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا القرآن ﴾ "[1][2].ومنه نجد أنّ العليوي هنا يربط بلاغة التّقديم والتّأخير بالمقام الذي يناسبه الخطاب.

وبالعودة إلى "**كتاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**" يظهر لنا جليّا حديث مؤلفه في الباب الثّاني عن التّقديم والتّأخير ، جاء في الفصل الأول منه تحت **عنوان في فائدة التّقديم والتّأخير**:" اعلم أنّ الشّيء إذا قدّم على غيره ، فإمّا أن يكون في النيّة مؤخرا ، وهو كخبر المبتدأ إذا قدّم عليه ، والمفعول إذا قدّم على الفاعل ، وإمّا أن لا يكون على نيّة التّأخير ، ولكن على أن ينتقل الشّيء من حكم إلى حكم آخر، مثل أن تجيء إلى اسمين يحتمل كلّ منهما أن يكون مبتدأ ، ويكون الآخر خبرا له ، فتقدّم مرّة هذا على ذلك ، وأخرى ذلك على هذا ، مثل ما تصنعه بزيد المنطلق ، حيث تقول تارة : زيد المنطلق، وأخرى المنطلق زيد ، قال سيبويه عندما ذكر الفاعل والمفعول : كأنّهم يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم ، وهو بشأنه أعنى ، وإن كانا جميعا يهمّانهم ويعنيانهم ..."[3].

تمّ يعلّق على ذلك بقوله : "فهذا كلام جملي في فائدة التّقديم والتّأخير ، ولكن لابدّ من شرح ما يهمّ تقديمه ، ومالا يهمّ في مسائل النّفي والنّهي والاستفهام "[4].

"ومن سياقات التّقديم والتّأخير التّي اعتبرها عبد القاهر شيئا مركوزا في الطّباع ، وجاريا في عادة القوم استعمال (مثل وغير) فلو تصفحنا أي كلاما وجدنا هذين الاسمين يقدّمان أبدا على الفعل إذا أريد بهما الكناية من غير تعريف كقول أبي تمام :

---

[1]- الإسراء – الآية 88.

[2]- التّقديم والتّأخير في النّظم القرآني الكريم ودلالته – سامي عطى حسن – جامعة آل البيت – 2013- ص17.

[3]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي- ص158

[4]- المرجع نفسه – ص 158.

وَغَيْرِي يَأْكُلُ المعْرُوفَ سُحْتا *** وَتَسْحَبُ عِنْدَه بِيضُ الأَيَادي.

" فهو لم يرد أن يعرض بشاعر سواه ، فيزعم أنّ الذي اتّهم به عند الممدوح من أنّه هجاه ، كان من ذلك الشّاعر لا منه هذا محال ، بل ليس إلاّ أنّه نفى عن نفسه أن يكون ممن يكفر النّعمة ويلؤم "[1].

و"يورد فخر الدّين الرّازي تحت عنوان في استيفاء أقسام التّقديم والتّأخير نقلا عن عليّ بن عيسى الرّماني بأنّ النّقل في الكلام بالتّقديم والتّأخير يحسن من وجوه ستّة :

أ-أن تكون الحاجة إلى ذكره أشدّ ، وإلى العلم به أهمّ .

ب- أن يكون التّأخير أليق بما اتّصل من الكلام.

ت- أن يكون الأول أعرف من الثّاني ، وذلك في الأخبار والصّفات، فالأخبار كقولك : زيد قاعد، ينبغي أن يبتدئ بذكر زيد ، لتطلع النّفس بذكرك ما تعرف إلى الإخبار عنه بما لا تعرف، فتقع حينئذ على حقّها وفي مرتبتها .

ث- تقديم الحروف التّي لها صدر الكلام كحروف الاستفهام وحروف النّفي .

ج- تقديم الكلّ على جزئياته .

ح- تقديم الدّليل على المدلول ."[2]

فالرّازي يبيّن محاسن استخدام التّقديم والتّأخير في الكلام التّي جمعها في مقاييس ستّة ، فأوّلها أن تكون هناك حاجة شديدة إلى معرفته ، والعلم به ، والثّانية : كون التّأخير أجدى بما اتّصل من الكلام ، بالإضافة إلى أنّ معرفة الأوّل أفضل من الثّاني ، كما أنّ تقديم حروف الصّدارة من استفهام ونفي أبلغ في الكلام ، وكذا تقديم الكلّ على الجزء ، والدّليل على المدلول .

[1]- البلاغة والأسلوبية – محمد عبد المطلب – لبنان – مكتبة لبنان ناشرون – ط1- 1994- ص333.

[2]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي – ص 170-171.

ومن الأمثلة الدّالة على التّقديم والتّأخير التّي ذكرها مصطفى الجويني نجد : [1]

- في الجار و المجرور: نحو قوله تعالى : ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾.[2]
- تقوية الحكم وتقريره ، ولما في ذلك تكرير الإسناد نحو قوله تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ** ﴾.[3]
- الاهتمام بالتّقدّم نحو قوله تعالى : ﴿**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ**﴾.[4]

(فإنّ الاستفهام التّعجبي واقع على ما بدا من إبراهيم من الرّغبة والانصراف عن تلك الآلهة لا على ذات الفاعل ، وقيل أأنت راغب عن آلهتي يا إبراهيم ! لكان التّعجّب واقعا على ذات الفاعل ، ولأفاد الكلام أنّه لو كانت الرّغبة من غره لما تعجب منهما)[5].

يتراءى لنا ممّا سبق يتأكّد لنا أنّ التّقديم والتّأخير من المباحث البلاغية التّي عنيّ بها علم المعاني لأنّه يضيف قيمة أخرى إلى المعنى الأساسي ، فكلّ تقديم أو تأخير يكون مقصودا ولغرض معيّن يقتضيه المقام .

2- الإيجاز والإطناب والمساواة :

بحث البلاغيون كثيرا في مسائل الإيجاز والإطناب والمساواة مبينين المقصود منهم وأنواعهم ومواضع كل واحد منهم .

2-1 الإيجاز :

الإيجاز :" وهو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة وافية بها موضّحة لها ، وإلاّ كان الأسلوب قاصرا ".[6] أي أن تستوعب الألفاظ القليلة قوالب المعاني الكثيرة .

---

[1]- البلاغة العربيّة تأصيل وتجديد – مصطفى الجويني – منشأة معارف الإسكندرية – 1975- ص 32.

[2]- سورة الشّورى – الآية : 53.

[3]- سورة المؤمنون- الآية – 59.

[4]- سورة مريم – الآية – 46.

[5]- البلاغة العربيّة تأصيل وتجديد – مصطفى الصّاوي الجويني – ص 32

[6]- المرجع نفسه – ص43.

أمّا ابن الأثير فيعرّفه بقوله : " حذف زيادات الألفاظ ،وهذا نوع من الكلام شريف لا يتعلّق به إلاّ فرسان البلاغة من سبق إلى غايتها وما صلّى ، وضرب في أعلى درجاتها بالقدح المعلّى، وذلك لعلوّ مكانه و تعذّر إمكانه ، والنّظر فيه إنّما هو إلى المعاني لا إلى الألفاظ ، ولست أعني الألفاظ بحيث تعرّى عن أوصافها الحسّيّة ، بل أعني أنّ مدار النّظر في هذا النّوع إنّما يختص بالمعاني ، فربّ لفظ قليل يدلّ على معنى كثير ، وربّ لفظ كثير يدلّ على معنى قليل ."[1]

وهو أيضا : "دلالة اللّفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه ، والتّطويل هو ضدّ ذلك ، وهو أن يدلّ على المعنى بلفظ يكفيك بعضه في الدّلالة عليه "[2].

وعلى الرّغم من الاختلاف في تحديد المفردات عند العلماء في تقديم تعريف موجز للإيجاز .إلاّ أنّ المعنى واحد . فجميعهم يجمعون على أنّ الإيجاز هو تصوير للمعاني الكثيرة بألفاظ قليلة . مع مراعاة جانب الفصاحة والبيان . وضدّه التّطويل .

وتحدث عنه الرّازي في كتابه (نهاية الإيجاز) عرّفوه بقوله : " وحدّه أن يعبّر عن الغرض بأقلّ ما يمكن من الحروف من غير إخلال "[3]. وهو ما يتّفق مع ما ورد عند ابن الأثير من علماء البلاغة .

"والإيجاز في نظر البلاغيين على ضربين": [4]

❖ **إيجاز القصر** :

"والمقصود به تضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف ".[5]

وهو أيضا تعبير عن المعنى المراد بلفظ أقلّ منه مع الوفاء به ، فإن لم يف به كان إخلالا لا إيجازا [6]. فيكون بذلك معنى كثير بلفظ قليل واف بالغرض المنشود .

---

[1]- المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر – ابن الأثير – ص 71

[2]- المرجع نفسه – ص 74.

[3]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدين الرّازي – ص 188.

[4]- علم المعاني في الموروث البلاغي – حسن طبل – ص 142، وينظر أيضا : البلاغة العربيّة تأصيل وتجديد – مصطفى الصّاوي الجويني – ص 44.

[5]- البلاغة العربيّة تأصيل وتجديد- مصطفى الصّاوي الجويني- ص 44

[6]- ينظر المرجع نفسه – ص 44.

وقد تعرّض فخر الدّين الرّازي إلى التّمثيل لإيجاز القصر من القرآن الكريم :يقول قال الله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[1] ، وكان النّاس يضربون المثل بقولهم : القتل أنفى للقتل استحسانا ، فلمّا جاءت الآية تركوه ، ووجه التّرجيح من وجوه سبعة " [2].

والملاحظ أ نّ البلاغيين قد أفاضوا في إيراد الأمثلة لهذا النّوع من الإيجاز ، وتوقّف أكثر من بلاغي لتحليل القيمة الفنيّة لإيجاز القصر في آية القصاص السّابقة عن طريق الموازنة بينها ، وبين العبارة المأثورة عن العرب.[3]وهذا دليل على مكانته في علم المعاني .

❖ **إيجاز الحذف:**

"ويكمن في حذف شيء من العبارة ، أو يحذف فيه جزء من جملة أو أكثر من جملة ، أو هو ما يتحقّق عن طريق إسقاط عنصر أو أكثر من عناصر التّركيب اللّغوي ، و بديهي أنّ هذا الإسقاط أو الحذف لا يجمل إلاّ إذا دلّ عليه دليل ، بأن تكون هناك قرينة مقاليّة أو حاليّة تسعف القارئ في استنباط المحذوف وتقديره ، أمّا إذا افتقد حذف هذا الدّليل أو القرينة فإنّه يكون قبيحا لأنّه يفتقد بذلك وظيفته الفنيّة ويصبح باعثا عن التّعمية والغموض لا وسيلة من وسائل الإيجاز البليغ "[4].

فهو إذن إيجاز يعتمد على حذف مفردة ، أو جملة، مع ترك ما يدلّ على المحذوف كقرينة وغيرها ، أمّا إذا اختفت تلك القرينة فيصبح هذا النّوع من الإيجاز وسيلة للإبهام والالتباس لا للإيجاز البليغ .

---

[1]-البقرة – الآية 179.

[2]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي – ص188.

[3]- ينظر: علم المعاني في الموروث البلاغي – حسن طبل – ص 142.

[4]- دليل الطّالب إلى علوم البلاغة والعروض- الشّيخ ناصيف اليازجي – مراجعة لبيب جريديني – بيروت – لبنان – ط1- 1999- ص107.

2-2 الإطناب :

الإطناب من وجهة نظر السّكّاكي هو تأدية الخطاب بعبارات كثيرة بحيث تكون القلة أو الكثرة فيها تعود إلى الجمل أو غير الجمل فنجده يعرف الإطناب قائلا : هو " أداء الكلام بأكثر من عباراتهم سواء كانت القلّة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل" [1].

وهو" أيضا ضرب من ضروب التّأكيد التّي يؤتى بها في الكلام قصدا للمبالغة ."[2] إذ يؤتى به للتّأكيد والمبالغة .

أو بعبارة أخرى :"زيادة اللّفظ على المعنى لفائدة ، وهذا ما يميّزه عن (الحشو والتطّويل) فكل منهما يعني زيادة اللّفظ لغير فائدة في الأسلوب ، فإن كان اللّفظ الزّائد محددا بعينه تسمّى إيراده حشوا ، وإن لم يكن كذلك سمّي تطويلا "[3]. ففي هذا تفرقة بين الإطناب الذي يكون لفائدة في المعنى ، والحشو التّطويل الذي يكون لغير فائدة عند ذكره .

وقد ذكر البلاغيون صورا كثيرة من الإطناب : [4]

أ- **الإيضاح بعد الإبهام** .

ب- **التّذييل** .

ت- **االتّتميم** .

ث- **الاعتراض** .

ج- **التّكرير** .

---

[1]- ينظر مفتاح العلوم السّكاكي – ص 277.

[2]- المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر – ابن الأثير – ص 167.

[3]- علم المعاني في الموروث البلاغي – حسن طبل – ص 146.

[4]- ينظر دليل الطّالب إلى علوم البلاغة والعروض – الشّيخ ناصيف اليازجي – ص 51. وينظر أيضا : علم المعاني في الموروث البلاغي – حسن طبل – ص 147- 149- 150 .

فالإطناب إذن هو كلام المتكلّم بعبارات كثيرة متعارف عليها لفائدة في المعنى وصوره كثيرة منها الإيضاح بعد الإبهام ، والإيغال و التذييل والتّتميم والاعتراض والتّكرير التّي سبق ذكرها.

3-2 المساواة :

من أساليب التّعبير البياني نجد المساواة التّي عرفت ب: " أن تكون الألفاظ على قدر المعاني"[1]. دون زيادة و نقصان .

وتمثّل المساواة في نظر النّقاد والبلاغيين إحدى الظّواهر البلاغيّة شأنها شأن ظاهرتي الإيجاز والإطناب فهي عند القزويني: "أن يكون اللّفظ بمقدار أصل المعنى المراد لا ناقصا عنه بحذف أو غيره، ولا زائدا عليه بنحو تكرير أو تتميم أو اعتراض ، ويستشهد هؤلاء البلاغيون لبلاغة المساواة بقول بعض الكتاب يصف بلاغة رجل : (كانت ألفاظه قوالب لمعانيه)."[2]

يتّضح وبشكل جليّ من خلال دراسات البلاغيين لمبحث المساواة أنه الإتيان باللّفظ على قدر المعنى بدون زيادة أو إخلال .ولا يمكن أن يخفى على أحد أن كلا من الإيجاز والإطناب والمساواة يحتاج إليها في محلّه، ولا يمكن أن يأخذ أحدهم مكان الآخر.

3- التّعريف والتّنكير :

من مباحث علم المعاني التّي حظيت باهتمام الكثير من البلاغيين مبحث التّعريف والتّنكير : " فهما ظاهرتان متقابلتان من الظّواهر التّعبيريّة التّي يهتم ببحثها علم المعاني وذلك لما يتعلّق بها في الأسلوب الفنّي من دلالات وأسرار بلاغيّة "[3].

[1]- البلاغة تأصيل وتجديد – مصطفى الصّاوي الجويني - ص43.
[2]- علم المعاني في الموروث البلاغي – حسن طبل – ص154.
[3] - المرجع نفسه – ص165.

تخصّ هاتان الظّاهرتان الأسماء ، وتكفّل علم النّحو بتحديد كلّ منها ، فالاسم النّكرة ما دلّ على شيء غير معين ، والاسم المعرّف هو ما دلّ على شيء معيّن ، والمعارف هي الضّمير والعلم، وأسماء الإشارة ، والمعرف بأل ، والمعرّف بالإضافة [1].

تحدّث أصحاب كتب الإعجاز في القول بالتّنكير وفائدته الجماليّة فقد ورد عند فخر الدّين الرّازي في فصل (في تقديم النّكرة على الفعل وتأخيرها عنه) : "فإذا قلت : أجاءك رجل ؟ كان المقصود أنّه هل وجد المجيء من أحد ؟ وإذا قلت أرجل جاءك ؟ كان المقصود معرفة جنس من جاءه، ويكون ذلك منك إذا كنت قد علمت أنّه قد أتاه آت "[2].

فللتّعريف والتّنكير مزيّة ودور في فهم معاني الجمل ، والغرض المنشود من خلال المقام الذي قيلت فيه. ونجد تأصيل علم النّحو لهاتين الظّاهرتين بشكل مفصّل أكثر من العلوم الأخرى.

ومن أمثلته أيضا في القرآن الكريم قوله عزّ وجلّ :﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ** ﴾[3] ورد عند حسن طبل في كتابه "علم المعاني في الموروث البلاغي "أنّ الله عزّو جلّ أراد أن يبيّن الحكمة في شريعة القصاص ، فبيّن بأنّ القصاص هو سبيل في الحياة السّعيدة الآمنة التّي ينشدها كلّ حيّ ، ذلك لأنّ من المعلوم أنّ من تسول له نفسه الاعتداء على الآخرين وسفك دمائهم ، إذا علم أنّه سوف يعاقب على جريمته بالقتل فسوف يرتدع عن ارتكاب تلك الجريمة الشّنعاء حرصا على حياته، وبذلك يأمن المجتمع ، وتسلم حياة النّاس وتصان دماؤهم "[4].

[1] – ينظر: علم المعاني في الموروث البلاغي – حسن طبل – ص 166.
[2] – نهاية الإيجاز في دلائل الإعجاز – فخر الدين الرّازي – ص167.
[3] – سورة البقرة – الآية 179.
[4] – علم المعاني في الموروث البلاغي – حسن طبل – ص169.

ويضيف قائلا :" ولبيان قيمة هذه (الحياة) التّي يحقّقها القصاص جيء بكلمة (حياة) الواقعة مسندا إليه نكرة ، وذلك للدّلالة على أنّها حياة عظيمة رفيعة لا يحدّها تعريف أوصف لسلامتها من القلق والاضطراب "[1].

فالتّعريف والتّنكير له جمالياته التّي يضفيها على معاني الجمل ، فهو يأتي على أحوال مختلفة يحدّدها السّياق . وله دور مهمّ في فهم المقصود من كلام المخاطب.

4- أسلوب القصر :

القصر كما جاء عند البلاغيين : " تخصيص أمر بإحدى طرق القصر ، أو هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص ، والشّيء الأول هو المقصور والشّيء الثّاني هو المقصور عليه ".[2]

و**ينقسم** القصر باعتبار طرفيه (المقصور والمقصور عليه) إلى قسمين: [3]

أ- تخصيص الصّفة : أو كما يسميه البعض قصر الصّفة على الموصوف كما في قوله تعالى: ﴿ **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾[4] .[5]

فمعناه أنّنا نخصّص صفة الألوهية بالله - عزّ وجلّ – بحيث لا تتعدّاه إلى غيره من الموصوفات .

ب- تخصيص الموصوف : أو قصر الموصوف على الصّفة ومثال ذلك كتخصيص الأمم بصفة الأخلاق في قول الشّاعر :

---

[1]- علم المعاني في الموروث البلاغي – حسن طبل – ص169.

[2]- ينظر : علم المعاني في الموروث البلاغي – حسن طبل – ص 172. و البلاغة العربيّة تأصيل وتجديد – مصطفى الصّاوي الجويني – ص 36.

[3]- علم المعاني في الموروث البلاغي – حسن طبل – ص173.

[4]- سورة محمد – الآية 19.

[5]- ينظر علم المعاني في الموروث البلاغي – حسن طبل – ص173

إِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلاَق مَا بَقِيَتْ *** فَإِنْ هُمِ ذَهَبَتِ أَخْلاَقُهُمْ ذَهَبُوا.[1]

وأمّا **أنواعه** بالنّسبة إلى المخاطب فهي ثلاثة أنواع : [2]

أ- "**قصر إفراد** : إذا كان المخاطب يعتقد أنّ المقصور عليه يشترك غيره في الحكم بالمقصور (إنّما شاعر النّيل جاحظ) لمخاطب يظنّ أنّ هذا اللّقب يطلق على على حافظ وعلى شاعر آخر ، أو شعراء آخرين "[3].

ب- "**قصر تعيين** : إذا كان المخاطب يعتقد انحصار المقصور عليه ، ولكنّه لا يدرك هذا المقصور عليه ، على وجه التّحديد كقولنا : (إنّما الأوّل حاتم) لمن يتردّد في كون أوّل الدّفعة حاتما أو سعيدا".[4]

ت- "**قصر قلب** : إذا كان المخاطب يعتقد عكس المعنى الذي يفيده القصر كما نقول : لمن يزعم أنّ مصر تخلّت عن دورها الرّيادي (لا رائد للأمّة العربيّة إلاّ مصر)."[5]

و قد تناولت كتب الإعجاز أيضا موضوع القصر ضمن مباحث علم المعاني .

"فقد عقد الرّازي في **الفصل الخامس** (في فائدة "إنّما" وذكر العبارات التّي تقرّب فائدتها منها ووجه الفرق بينهما) يقول : "فائدة هذا الحرف تخصيص الحكم بالمذكور ، عبارات وتستعمل في هذا التّخصيص عبارات ثلاث : جاءني زيد لا عمر ، إنّما جاءني زيد ، ما جاءني إلاّ زيد ، ومعانيها متقاربة ، والفرق بين العبارتين الأوليتين أنّ قولك : إنّما جاءني زيد يعقل منه إيجاب الفعل ونفيه عن غيره دفعة واحدة ، وليس كذلك الأمر في : جاءني زيد لا عمرو، فإنّك تعقلهما في حالتين ..."[6]

---

[1]- ينظر: علم المعاني في الموروث البلاغي – حسن طبل – ص 173.

[2]- المرجع نفسه – 174.

[3]- المرجع نفسه – ص174.

[4]- المرجع نفسه – ص 174.

[5]- المرجع نفسه- ص 174.

[6]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي – ص 199.

وتتحدّث أيضا في هذا المبحث (القصر) في فصل خصّصه لبيان مواضع استعمال إنّما : "اعلم أن موضع إنّما على أن تجيء بخبر لا يدفع المخاطب صحّته ، أو ما تنزّل هذه المنزلة ، مثال الأوّل في قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ**﴾[1] ، وقوله تعالى :﴿ **إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ**﴾ [2]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا**﴾[3] ، كل ذلك تذكير بأمر معلوم، لأنّ كلّ أحد يعلم أنّه لا يستجيب إلاّ من يعلم ويسمع ما يقال له ، وكذلك الإنذار إنّما يؤثر مع من يؤمن بالله ومثال الثّاني قول الشّاعر:

إِنّمَا مَصْعَب شِهَابٌ مِنَ الله *** تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَاء"[4]

ادّعى في كون الممدوح بهذه الصّفة أنّه أمر معلوم للكلّ على عاداتهم إذا مدحوا أن يدّعو ا أنّهم ما ذكروا الممدوح بما لا ينكره أحد "[5].

فلأسلوب القصر جمالية تتمثّل في روعة الأسلوب الذي تتجلّى فيه سمة التّقديم والتّأخير التّي تستثير المتلقي وتصنع وقعا في نفسه .

5- الفصل والوصل :

باب دقيق أبواب من أبواب علم المعاني يختصّ بدراسة الجمل ومواقعها .أولاه البلاغيون من العناية ما يكفي حيث حاولوا تحديد معالمه ، وهو "أسلوب من أدقّ أبواب علم المعاني ، وله مساسا في بعض الجوانب بأبواب من النّحو العربي ولكنّه مساس ظاهريّ "[6].

---

[1]- سورة الأنعام – الآية 36.

[2]- سورة يس- الآية 11.

[3]- سورة النّازعات – الآية 45.

[4]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي - ص 196.

[5]-المرجع نفسه – ص-197.

[6]- البلاغة العربيّة تأصيل وتجديد – مصطفى الصّاوي الجويني – 43.

فالوصل: " عطف جملة على أخرى نحو قام زيد وقعد أخوه فيقال إنّها متّصلة بها "[1]أو هو بعبارة أخرى : "العطف بالواو بين الجملتين المتتابعتين أو الجمل المتتابعة ."[2]

أمّا الفصل : "فهو أن يترك العطف بينهما نحو : (مات فلان رحمه الله) فيقال إنّها منفصلة عنها"[3] .

فالوصل إذن هو الربط بين جملتين أو أكثر بواسطة حرف العطف الواو في حين يقابله الفصل الذي هو إيراد تلك الجمل بحذف حرف العطف الواو

لقد نوّه فخر الدّين الرّازي بأهميّة الفصل والوصل في البلاغة :" هذا الموضع أعظم أركان البلاغة حتّى إنّ بعضهم حدّها بأنّها معرفة الفصل من الوصل "[4].

فالبليغ من يستطيع أن يوصل ويفصّل بين أجزاء الكلام من غير خطل فيكون بصيرا بمقاطع الكلام وبمواضع وصوله وفصوله ، فإنّ البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآليء بلا نظام "[5].فاشترط في البليغ أن يستطيع التّمييز بين الفصل والوصل ويدرك مواطن كلّ منهما .

فالمتكلّم ينبغي عليه أن يعرف المواطن التّي توصل فيها الجمل أو الكلمات ببعضها ، والمواضع التّي تفصل بها أجزاء الكلام لأنّ، ذلك له تأثير في فهم المعنى العام للكلام

يقول القزويني : " الوصل عطف بعض الجمل على بعض ، والفصل تركه، وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة فنّ منها عظيم الخطر ، صعب المسلك دقيق المأخذ

[1]- دليل الطّالب إلى البلاغة العربيّة – الشّيخ ناصيف اليازجي – ص 45

[2]- علم المعاني في الموروث البلاغي –حسن طبل – ص185.

[3]-– دليل الطّالب إلى البلاغة العربيّة – الشّيخ ناصيف اليازجي- ص45

[4]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي – ص176.

[5]- الاتّصال اللّساني وآلياته التّداوليّة في كتاب الصّناعتين لأبي الهلال العسكري – سامية بن يامنة – بيروت – لبنان – دار الكتب العلميّة – 1971- ص 173

لا يعرفه على وجهه ، ولا يحيط علما بكنهه : إلاّ من أوتي كلام العرب طبعا سليما ، ورزق في إدراك أسراره ذوقا صحيحا ، ولهذا قصر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل من الوصل "[1].

فمن قوله يتّضح لنا أنّ الفصل والوصل مقياسان حقيقيان للمعرفة البليغ والفصيح لما لهما من الصّعوبة والدّقة.

من خلال ما سبق نجد أنّ علم المعاني يعنى يتتبّع خواص تراكيب الكلام وما يتّصل به من تقديم وتأخير ، وقصر ، فصل ووصل وإيجاز وإطناب ومساواة ، ولهذه المباحث البلاغية دور في فهم المخاطب للكلام المناسب للمقام .

II. علم البيان:

القسم الثّاني من علوم البلاغة وقيل البدء في دراسة مسائله لابدّ من الإشارة إلى" أنّ أوّل من دوّن في مسائل علم البيان أبو عبيدة معمر المثنى (ت210هـ) في كتابه (مجاز القرآن) ومازال ينمو شيئا فشيئا حتّى وصل إلى الإمام عبد القاهر فأحكم أساسه ، وشيّد بناءه ، ورتّب قواعده ، وتبعه الجاحظ ، وابن المعتز و قدامة ،وأبو الهلال العسكري " [2].

قال الجاحظ :"والبيان اسم جامع لكلّ شيء يكشف قناع المعنى ، وهناك الحجاب دون الضّمير حتّى يفضي السّامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائنا من كان ذلك البيان ، ومن أيّ جنس كان الدّليل ، لأنّ مدار الأمر والغاية التّي إليها يجرى القائل والسّامع إنّما هو الفهم والإفهام ، فبأيّ شيء بلغت الإفهام ، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع "[3]. يجمل البيان في وضوح المعنى وبلوغ الفهم الصّحيح .

وهو عند ابن المعتز : "البيان ترجمان القلوب ، وصيقل العقول"[4].

---

[1]- الإيضاح في علوم البلاغة –(المعاني البيان البديع)- الخطيب القزويني –ص 118 – 119.

[2]- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع – السّيد أحمد الهاشمي – الاسكندرية – دار ابن خلدون – ص 198.

[3]- البيان والتّبيين – الجاحظ – ج1- ص76.

[4]- البلاغة الاصطلاحية – عبده عبد العزيز قلقيلة – ص 31.

أمّا االسّكاكي فعرّفه بقوله : " معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزّيّادة في وضوح الدّلالة عليه ، وبالنّقصان ليحترز بالوقوف على ذلك الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه ،وفيما ذكرنا ما ينّبه على أن الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى ، وتقدس من كلامه ، مفتقر إلى هذين العلمين كلّ الافتقار فالويل كلّ الويل لمن تعاطى التّفسير وهو فيهما راجل آثرنا تأخيره "[1]

وعرّفه القزويني بقوله :" هو علم يبحث في الطّرق المختلفة للتّعبير عن المعنى الواحد ، وعلم البيان يتألّف من المباحث التّالية : التّصريح والمداورة و التّشبيه و المجاز والمجاز المرسل و الاستعارة والكناية ."[2]

فمن خلال البيان يمكننا أن نعبّر عن معنى واحد بطرق متنوّعة ومباحث علم البيان هي :

1. التّشبيه :

" نظر البلاغيّون إلى المعنى اللّغوي لكلمة (شبه) وهو (مثل) تقول : فلان شبيه فلان أو مثله ، وشبهته به أي مثلته به ".[3] ومنه فالتّشبيه والتمثيل يشتركان في المضمون ويختلفان في الحروف.

وهو في أبسط معانيه:"هو أن يشارك المشبّه والمشبه به في صفة أو أكثر ، وهي أوضح وأظهر في المشبه به منهما في المشبه ، وتجمع بينهما الأداة التّي تكون اسما نحو شبه ،مثل .....إلخ أو فعلا نحو: يشبه ، يضارع ، يماثل ، يحاكي .....إلخ .، أوحرفا ، الكاف ، كأنّ ..."[4]. فنجد أن جملة التّشبيه تتكوّن من مشبّه ومشبّه ووجه شبه وأداة للتّشبيه .

[1]- مفتاح العلوم – السّكاكي – ص161.

[2]- الإيضاح في علوم البلاغة – (المعاني البيان البديع)– لخطيب القزويني – ص05.

[3]- البلاغة الاصطلاحيّة – عبده عبد العزيز قلقيلة – ص31.

[4]- البلاغة العربيّة تأصيل وتجديد – مصطفى الصّاوي الجويني - ص 91.

ومثله ورد في مفتاح العلوم: "إنّ التّشبيه مستدع طرفين مشبّها ومشبها به، وما اشتراكا بينهما من وجه وافتراقا من آخر "[1] .

ففي هذا القول إشارة إلى طرفي التّشبيه وهما : المشبه والمشبه به ، بالإضافة إلى صفة الاشتراك بينهما ،وهو ما يعرف بوجه الشّبه .

كما ورد أيضا عند القزويني بأنّه :" الدّلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى "[2].

ومن بين علماء البلاغة الذين اهتموا أيضا بهذا المبحث عبد القاهر الجرجاني الذّي قال : " أن تثبت لهذا معنى من معاني ذاك أو حكما من أحكامه كإثباتك للرّجل شجاعة الأسد ،وللحجّة حكم النّور في أنّك تفصّل بها بين الحقّ والباطل ، كما يفصّل بالنّور بين الأشياء "[3].

من خلال اطّلاعنا على بعض التّعاريف التّي وردت عند البلاغيين في سياق الحديث عن التّشبيه نجد أنّ مضمونها مشترك فهو يعني مشاركة أمر لأمر في صفة معيّنة باستخدام أداة من أدوات التّشبيه .

فهو" ينقل اللّفظ من صورة إلى صورة أخرى على النّحو الذي يريده المصوّر ، فإن أراد صورة متناهيّة في الجمال والأناقة شبّه الشيء بما هو أرجح منه حسنا ، وإن أراد صورة متداعيّة في القبح والتّفاهة شبّه الشّيء بما هو أردأ منه صفة "[4].

وأمثلة التّشبيه أكثر من أن تحصى قال المبرّد:" والتّشبيه جار في كلام العرب حتّى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد "[5].

[1]- مفتاح العلوم – السّكاكي – ص 77.

[2]- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع – الخطيب القزويني – ص164.

[3]- البلاغة الاصطلاحيّة – عبده عبد العزيز قلقيلة – ص 33

[4]- أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم – محمد حسين عليّ الصّغير – ص 77.

[5]- الكامل – أبي العباس محمد بن يزيد المبرد – تح: محمد أحمد الدّالي –مؤسسة الرّسالة – مجلد 4- ص 992.

وأركان التّشبيه: أربعة هي :

"المشبه والمشبّه به وهما طرفا التّشبيه ،وو جع الشّبه وأداة التّشبيه ".[1]

" و قد قُسِّم باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام : فهمّا حسّيان أو عقليان،أو المشبّه به حسّي والمشبّه عقلي أو المشبّه به عقلي ، والمشبّه حسّي "[2].

وقد تحدّث الرّازي مطوّلا في هذا الموضوع بقوله : " المشبّه والمشبّه به إمّا أن يكونا محسوسين أو معقولين ، أو ا لمشبّه معقولا ،والمشبّه به محسوسا، أو المشبّه محسوسا والمشبّه به معقولا "[3].

"**فالقسم الأول** : وهو الذّي يكون المشبه والمشبه به محسوسين كقوله تعالى : ﴿**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾ [4]. وقوله تعالى :﴿ **وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ**﴾ [5]وقوله أيضا :﴿ **كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ** ﴾[6]، ونماذجها كثيرة في القرآن الكريم كقوله تعالى أيضا : ﴿**وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (48) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (49)**﴾.[7] [8]

فالمشبّه هو النّساء بذواتها ،و المشبه به هو البيض المكنون وهما حسّيان ،أدركا في إحدى الحواس الخمس الظّاهرة وهي البصر والسّمع والشّمّ والذّوق واللّمس".[9]

---

[1]- أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم – محمد حسين عليّ الصّغير- ص86

[2]- المرجع نفسه – ص 86.

[3]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي- ص90

[4]- سورة يس – الآية 39.

[5]- سورة الرّحمن – الآية 24

[6]- سورة الحاقّة –الآية 7.

[7]- سورة الصّافات –الآية : 48 - 49

[8]- ينظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي – ص90

[9]-.المرجع نفسه –ص90. وينظر: أيضا : أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم – محمد حسين علي الصّغير – ص 78.

"**وأمّا القسم الثّاني** : العقليان فهما متلازمان في المعاني الذّهنيّة المجرّدة التّي تدرك بالعقل لا بالحسّ ، وتحمل عليها جميع الآيات التّي شبّهت الإيمان أو العلم بالحياة ،و الكفر أو الجهل والموت كقوله تعالى :﴿ **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ** ﴾[1]. [2].

والقسم الثّالث : المشبه به حسيّا والمشبّه عقليّا : ومن نماذجه قوله تعالى ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ**﴾[3] .

فالمشبه به حسّي ،وهو الغيث، والمشبه عقلي وهو الحياة [4].

أمّا **القسم الرّابع** : كون المشبه به عقليا ،والمشبه حسّيا ، فقد اشتمل على استيعابه القرآن الكريم ، ليستقطب بذلك جميع الأقسام ، ويحقّق كلّ الأصناف قال الله تعالى:﴿ **إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (65)**﴾[5]. [6].

وللتّشبيه أغراض متعددة منها :[7]

- الغرض العائد إلى المشبه :فإذا كان عائدا إلى المشبه فأمّا أن يكون :

– "لبيان حاله كما إذا قيل لك ، ما لون عمامتك؟ قلت: كلون هذه ، وأشرت إلى همامة لديك "[8].

---

[1]– سورة الأنعام –الآية : 122.

[2]– نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي – ص 90.

[3]– سورة الحديد – الآية: 20.

[4]– نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي – ص90.

[5]– سورة الصّافات – الآية : 64- 65.

[6]– نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي – ص91.

[7]– ينظر : مفتاح العلوم – السّكاكي- ص341.

[8]– المرجع نفسه- ص341

– "وإمّا أن يكون لبيان مقدار حالة ، كما إذا قلت : هو في سواده كحلك الغراب."[1]

– "وإمّا أن يكون لبيان إمكان وجوده :كما إذا رمت تفضيل واحد على الجنس إلى حدّ يوهم إخراجه عن البشريّة إلى نوع أشرف ، وأنّه في الظّاهر كما ترى أمر كالممتنع ، فتتبعه التّشبيه لبيان إمكانه قائلا: حاله كحال المسك الذي هو بعض دم الغزال ، وليس يعدّ في الدّماء ، لما اكتسب من الفضيلة الموجبة إخراجه إلى نوع أشرف من الدّم "[2].

– "وإمّا أن يكون لتقويه شأنه في نفس السّامع ، وزيادة تقرير له عنده .

– أو يكون لإبرازه إلى السّامع في معرض التّزيين أو التّشويه أو الاستطراف ، وما شاكل ذلك."[3].

➢ الغرض العائد إلى المشبه به: فمرجعه إلى: [4]

– إيهام كونه أتمّ من المشبّه في وجه التّشبيه كقوله :

وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأنَّ غُرَّتَه ***وَجْهُ الخَلِيفَة حِين يُمْتَدَحُ.

– تساوي طرفي التّشبيه : المشبه والمشبه به : وأمّا إذا تساوى الطّرفان المشبه والمشبه به في جهة التّشبيه ، فالأحسن ترك التّشبيه إلى التّشابه ، ليكون كلّ واحد من الطّرفين مشبّها ومشبّها به.

– التّشبيه التّمثيلي :فالتّشبيه متّى كان وجهه ، وصفا غير حقيقي ،وكان منتزعا من عدّة أمور خصّ باسم التّمثيل كالذي في قوله :

اصْبِر عَلَىَ مضَضِ الحَسُو *** دِ فَإنَّ صَبْرك قَاتِلُهُ.

فَالنّارُ تَأْكُل نَفْسَهَـــا *** إنْ لَمْ تَجِدْ مَا تأْكُله .

[1]– مفتاح العلوم – السّكاكي – ص 341

[2]- المرجع نفسه – ص 342.

[3]– المرجع نفسه– ص 342.

[4]– المرجع نفسه– ص 343.

"فإنّ تشبيه الحسود المتروك مقاولته بالنّار التّي لا تمدّ بالحطب ، فيسرع فيها إلاّ في أمر متوهم له، وهو ما تتوهم إذا لم تأخذ معه في المقاولة ، مع علمك بتطلّبه إيّاها "[1].

وتكمن أهميّة التّشبيه : " باعتباره أصلا من أصول التّصوير البياني ، ومصادر التّعبير الفنّي ، ففيه تتكامل الصّور، وتتدافع المشاهد ،و القدر الجامع لنظرة البلاغيين إلى التّشبيه هو التّفنّن بإبراز الصّورة البلاغيّة للشّكل ، استقراء دلالتها الحسّيّة ، وذلك عن طريق تسخير قدرة التّشبيه الخارقة في تلوين الشّكل بظلال مبتكرة ، وأزياء متنوّعة "[2].

فقد جاء عند فخر الدّين الرّازي في الفصل الذي عنونه ب (**في أنّ لابدّ من رعاية جهة التّشبيه**):

" ويجب أن لا يتعدّى في التّشبيه عن الجهة المقصودة ، وإلاّ وقع الخطأ مثل ما يقال (النّحو في الكلام كالملح في الطّعام)، والمعنى أنّ الكلام لا ينتفع به إلاّ بمراعاة أحكام النّحو ، كما لا ينتفع بالطّعام ما لم يصلح بالملح ، والذي ظنّه بعضهم أن وجه التّشبيه : أن القليل من النّحو مفيد ، والكثير مفسد ، كما أن الملح الكثير مفسد فهو باطل ، لأنّ الزّيادة والنّقصان في جريان أحكام النّحو في الكلام محال فقولنا : كان زيد ذاهبا ، لابدّ فيه من رفع الاسم ونصب الخبر ، وهذا إن وجد فقد حصل النّحو ، ويمتنع فيه الزّيادة "[3].

ويكمل بقوله : "وإن لم يحصل كان الكلام فاسدا ، لا يفيد السّامع فائدة ، وإذا امتنع النّقصان والزّيادة في النّحو ، ثبت أن تشبيه النّحو بالملح ، ليس كما اعتقدوه ، فثبت بهذا أنّ التّشبيه قد يكون من جهة ،فيظنّ أنّه من جهة أخرى وحينئذ يقع الغلط"[4].

يشير الرّازي في قولة إلى أهميّة مبحث التّشبيه في البلاغة العربيّة موافقا ما ورد عند علماء البلاغة القدامى والمحدثين على حدّ سواء فالتّشبيه عنده لابدّ أن يراعي الجهة المقصودة ولا يخرج عنها.

---

[1]- مفتاح العلوم – السّكاكي – ص 343.

[2]- أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم – محمد حسين عليّ الصّغير – ص78

[3]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي – ص 99

[4]- المرجع نفسه- ص 99.

2- الاستعارة :

للبلاغيين تعريفات متناثرة في الكتب جول الاستعارة.

وتعتبر : " الشقّ الثّاني من المجاز اللّغوي ، فهي عبارة عن تداع عبر التّماثل بين الأشياء "[1].

أمّا في أبسط تعاريفها :" تشبيه حذف أحد طرفيه وهي من المجاز اللّغوي ، وهي على قسمين: إمّا أن يذكر لفظ المشبه به ، ويراد المشبّه ويسمي علماء البيان هذه الاستعارة تصريحيّة ، أو لا يذكر المشبّه به بل يحذف ، ويكتفي عنه بذكر صفة من صفاته أو خاصّة من خواصه ،ويسمّى هذا النّوع من الاستعارة استعارة مكنيّة "[2].

ومنه يتبّن لنا أنّ الاستعارة من المجاز اللّغوي ، وهي عبارة عن تشبيه حذف أحد طرفيه ، فإذا حذف المشبه به سميّت استعارة مكنية ، وإذا حذف المشبّه أطلق عليها اسم الاستعارة التّصريحية .

ويرى عبد القاهر الجرجاني في الاستعارة : " أن تثبت بها معنى لا يعرف السّامع ذلك المعنى من اللّفظ ، ولكنّه يعرفه من معنى اللّفظ "[3].

وقد جاء هذا التّعقيب له بعد تعريفها من قبله بقوله : " الاستعارة أن تريد تشبيه الشّيء بالشّيء وتظهره : وتجيء إلى اسم المشبّه به فتعيره المشبّه وتجريه عليه "[4].

أمّا الزّمخشري فقد ذكر "صور الاستعارة التّصريحيّة بقسميها التّبعيّة والأصليّة ، وذكر صور الاستعارة المكنيّة ، كما ذكر التّرشيح والتّجريد ، ومن أبرز ما اهتم به الزّمخشري في الاستعارة ذلك

[1]- العلاقات الدّلاليّة والتّراث البلاغي – (دراسة تطبيقيّة)- عبد الواحد حسن الشّيخ مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنيّة – ط1- 1419- 1999- ص 22.

[2]- البلاغة العربيّة تأصيل وتجديد – مصطفى الصّاوي الجويني – ص 104.

[3]-ينظر : أصول البيان العربي في القرآن الكريم –محمد حسين عليّ الصّغير – ص 112.

[4]-المرجع نفسه – ص 114-115.

الذي تراهم يسكتون فيه عن اللّفظ المستعار ، ثمّ يرمزون إليه بذكر شيء من روافده ، وهذا النّوع من أسرار البلاغة ولطائفها "[1].

وحدّ ابن الأثير الاستعارة بقوله : " نقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما ، مع طيّ ذكر المنقول إليه ، لأنّه إذا احترز فيه هذا الاحتراز اختصّ بالاستعارة ، وكان حدّا لها دون التّشبيه ، وطريقه أنّك تريد تشبيه الشّيء بالشّيء مظهرا ومضمرا ، وتجيء إلى المشبه ، فتغيّر اسم المشبّه به وتجريه عليه .."[2]

و"لفخر الدّين الرّازي كلام مطول ،فقد ذكر في التّفسير الكبير مسائل بلاغيّة، وأخرى نقدية متعدّدة ، وأخرى تتعلّق بالإعجاز ، وقد عرض لتلك المسائل خلال شرحه لآيات القرآن الكريم ففد ذكر بعد الآية الكريمة قال تعالى:﴿ **وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ** ﴾[3].[4]تعليقا له بقوله :

" المسألة الأولى : إنّما ذكر لفظ الشّراء في سبيل الاستعارة لوجوه : أحدها : أنّهم لما نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وأقبلوا على التّمسّك بما تتلو الشّياطين ، فكأنّما اشتروا ذلك السّحر بكتاب الله ، وثانيها : أنّ الملكين إنّما قصد بتعليم السّحر ، فكأنّه اشتري بمنافع الآخرة منافع الدّنيا وثالثها لما استعمل السّحر ، علمنا أنّه إنّما تحمّل المشقّة ليتمكّن من ذلك الاستعمال ، فكأنّه اشتري بالمحن التّي تحمّلها قدرته على ذلك الاستعمال"[5].

---

[1]- البلاغة القرآنية في تفسير الزّمخشري ، وأثرها في الدّراسات البلاغيّة ، محمد حسين أبو موسى – دار الفكر العربي – ص 459.

[2]- المثل السّائر – ابن الاثير – ج2- ص 38.

[3]- سورة البقرة – الآية 102.

[4]- التّفسير الكبير – فخر الدّين الرّازي – بيروت – لبنان – دار الكتب العلميّة – ط3- 1422هـ- 2000 -ص 201.

[5]- المرجع نفسه -201.

وجاء أيضا في تفسير الرّازي ما يأتي : " فرأيا في القرية حيطا مائلا " فإن قيل كيف يجوز وصف الجدار بالإرادة مع أنّ الإرادة من صفات الأحياء ؟ قلنا هذا اللّفظ ورد على سبيل الاستعارة " [1].

فالاستعارة لها دور مهمّ في إضافة معاني جديدة للكلام .

وقد ذكر الرّازي في حديثه عن الاستعارة على حسن إخفاء التّشبيه :"من شأن الاستعارة أنّك كلّما زدت التّشبيه إخفاء ازدادت الاستعارة حسنا ، حتّى إنّها تكون ألطف وأوقع إذا ألّف الكلام تأليفا ، وإن أردت الإفصاح بالتّشبيه خرجت إلى ما تعافه النّفس."[2]

وقد أجمع البلاغيون أنّ للاستعارة ثلاثة أركان هي :" المستعار منه وهو (المشبه به)، المستعار له وهو المشبه ، المستعار وهو(اللّفظ المدلول)، فالأول والثّاني هما طرفا الاستعارة ، ولا بدّ أن يحذف أحدهما إلى جانب وجه الشّبه "[3].

ومن أبرزهم الرّازي يقول : " اعلم أنّ الاستعارة تارة تعتمد نفس التّشبيه ، وتارة لوازمه ، فالأول ما إذا اشترك شيئان في وصف ، فأحدهما أنقص من الآخر ، فيعطى النّاقص اسم الزّائد مبالغة في تحقيق ذلك الوصف له كقولك : رأيت أسدا وأنت تعنى رجلا شجاعا ، رعنت لنا ظبية ، وأنت تريد امرأة ، وأمّا الثّاني فعندما تكون جهة الاشتراك وصفا إنّما يثبت ، كما له في المستعار فيه بواسطة شيء آخر ، أخرجت ذلك الشّيء للمستعار له مبالغة في إثبات المشترك له "[4].

من خلال دراستنا لمبحث علم البيان يتجلّى لنا وبصورة واضحة اهتمام الرّازي بالاستعارة ، فهو لا يخرج في تعريفه عمّا ورد عند عبد القاهر الجرجاني .

---

[1]- تحليل المعنى مقاربات في علم الدّلالة – صابر الحباشة – عمان – دار ومكتبة الحامد للنّشر – ط1- 2011- ص 68.

[2] نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز- فخر الدّين الرّازي – ص 128

[3]- ينظر : أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم – محمد حسين عليّ الصّغير – ص 121.

[4]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز- فخر الدّين الرّازي- ص132

وإذا تحدّثنا عن أنواع الاستعارة :" فنجد عبد القاهر الجرجاني أوّل من قسّم الاستعارة إلى قسمين مفيدة وغير مفيدة . فالمفيدة عنده ما كان لنقلها فائدة ، وهي مدّة هذا الفنّ ومداره ، وغير المفيدة مالا يكون فيها فائدة في النّقل ، وموضعها حيث يكون اختصاص الاسم بما وضع له من طريق أريد به التّوسع في أوضاع اللّغة ، والتّسوّق في مراعاة دائم في الفروق و المعاني المدلول عليها".[1]

كما أشار أيضا إلى أنّها تارة بالاسم وبالفعل تارة أخرى ، ولمح إلى التّصريحيّة منها و المكنيّة"[2].

ومن المسائل المتعلّقة بالاستعارة في كتابه نهاية الإيجاز: "في أنّه كيف تنزل الاستعارة منزلة الحقيقة"[3]. يقول : "إنّهم قد يستعيرون الوصف المحسوس للشيء المعقول ، ويجعلون كأنّ تلك الصّفة ثّابتة لذلك الشّيء في الحقيقة وكأنّ الاستعارة لم توجد أصلا ، مثاله استعارتهم لزيادة الرّجل على غيره في الفضل والقدر ، والسّلطان ، ثمّ وضعهم الكلام وضع من يذكر علوّا مكانيّا كقول أبي تمام : ويصعد حتّى يظنّ بأنّ له حادة في السّماء " [4] .

فنظرة الرّازي إلى الاستعارة كانت بمثابة إضافة إلى ما قدّمه الّعالم عبد القاهر الجرجاني الذّي أصّل لعلوم البلاغة ، وعرفت رقيّها وازدهارها على يده .

3- المجاز :

حظي المجاز عند البلاغيين القدامى بأهميّة بالغة في الدّرس الدّلالي حيث أنّه "استخدام اللّفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي "[1].

---

[1]- أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم – محمد حسين عليّ الصّغير – ص 130.

[2]- المرجع نفسه- ص 130.

[3]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز- فخر الدّين الرّازي- ص129.

[4]- المرجع نفسه – ص 130.

[1]- العلاقات الدّلاليّة والتّراث البلاغي العربي – عبد الواحد حسن الشّيخ – مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنيّة – ط1- 1419-1999-ص20.

ويطلق في لغة العرب ، ويراد به التّعدّي ، من جاز إن تعدّى وانتقل من مكان إلى مكان آخر ، والمجاز في البلاغة ما أفاد معنى غير مصطلح عليه في الوضع الذي وقع فيه التّخاطب لعلاقة بين الأوّل والثّاني.[1]

وعرّفه صاحب مفتاح العلوم بقوله : " هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتّحقيق استعمالا في الغير بالنّسبة إلى نوع حقيقتها ، مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النّوع"[2].

ونجده عند الرّازي في سياق حديثه عن الحقيقة والمجاز بقوله : " الحقيقة فعيلة بمعنى مفعولة ، من أحقّ الأمر بحقّه بمعنى أثبته ، أومن حقيقته إذا كان منه على يقين ، وإنّما سميّ خلاف المجاز لأنّه شيء مثبت معلوم بالدّلالة .والمجاز مفعل من جاز الشّيء يجوزه ،إذا تعدّاه ، فإذا عدل باللّفظ عمّا يوجبه أصل اللّغة وصف بأنّه مجاز ، على معنى أنّهم جازوا به موضعه الأصلي ، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولا "[3].

ففي الفصل الأول ذكر العديد من المسائل البلاغية التّي تتعلّق بالمجاز فتحدّث عن الشّروط التّي يكون بها اللّفظ مجازا بقوله : " الأول : أن يكون منقولا عن معنى وضع اللّفظ بإزائه أولا ، وبهذا يتميّز عن اللّفظ المشترك والثّاني : أن يكون ذلك النّقل لمناسبة بينهما وعلاقة ، ولأجل ذلك لا توصف الأعلام المنقولة بأنّها مجازات ، مثل تسمية رجل بالحجر ، فإنّه ليس هذا النّقل يتعلّق بين حقيقة الحجر وبين ذلك الشّخص ، وأمّا إذا تحقّق الشّرطان فإنّه يسمّى مجازا ،

[1]- ينظر : التّوجيه البلاغي لآيات العقيدة في المؤلفات البلاغيّة في القرنين السّابع والثّامن الهجريين- يوسف بن عبد الله بن محمد العليوي - ص327.

[2]- مفتاح العلوم – السّكاكي- ص 359

[3]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي – ص 78.

وذلك مثل تسميّة النّعمة أو القوّة باليد ، لما بين وبينها من التّعلّق ، فإنّ النّعمة إنّما تعطى باليد ، والقوة إنّها يظهر كمالها في اليد"[1] .

يمكن القول إنّ الرّازي استطاع أن يضع الحدود العريضة لمصطلح المجاز حيث ذكر مجموعة من الشّروط التّي بها يكون اللّفظ مجازا .

والمجاز قسمان : مجاز لغويّ ومجاز عقليّ ، والفرق بينهما أنّ المجاز العقلي يكون في إسناد الشّيء إلى غير ما هو له، وهذا مرجعه العقل ، ولا يكون إلاّ في التّركيب ، أمّا المجاز اللّغوي فمرجعه إلى اللّغة ، لأنّ الكلمة تنقل من حقيقتها اللّغويّة إلى معان أخرى لم توضع من حيث اللّغة ، ويكون في المفرد والجملة [2].

أ– المجاز العقلي : أطلق عليه البلاغيون أسماء كثيرة منها : المجاز في الإسناد لكثرة وروده في النّسب الإسناديّة ومنها مجاز الملابسة ، ومنها المجاز الحكمي نسبة إلى حكم العقل ، أو إلى الحكم الذي هو بين المسند والمسند إليه ، ومنها المجاز النّسبي لوقوعه في النّسبة ، وهو كلّ جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه من العقل لضرب من التّأول ، وما كان إلاّ لأنّ إثبات الفعل لغير القادر لا يصحّ في قضايا العقول إلاّ أنّ ذلك على سبيل التّأوّل ، وعلى العرف الجاري بين النّاس ، يجعلوا الشّيء إذا كان سببا أو كالسّبب في وجود الفعل من فاعله كأنّه فاعل "[3] .

ب– المجاز اللّغوي : هو اللّفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح به التّخاطب على وجه يصحّ مع قرينة عدم إرادته والعلاقة بين المعنى المستعمل في اللّفظ ، والمعنى الموضوع له إمّا أن

[1]– نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي – 78.

[2]– ينظر التّوجيه البلاغي لآيات العقيدة في المؤلفات البلاغيّة في القرنين السّابع والثّامن الهجريين– يوسف بن عبد الله بن محمد العليوي – ص 333.

[3]– التّوجيه البلاغي لآيات العقيدة في المؤلفات البلاغيّة في القرنين االسّابع والثّامن الهجريين– يوسف بن عبد الله بن محمد العليوي – ص340.

تكون المشابهة ، وإمّا غير ذلك ، فالأول استعارة، والثّاني مجاز مرسل ، ويطلق عليها اسم المجاز اللّغوي ، أو المجاز في المفرد .[1]

أمّا أقسام المجاز عند السّكّاكي فيوضّحها المخطط الآتي : [2]

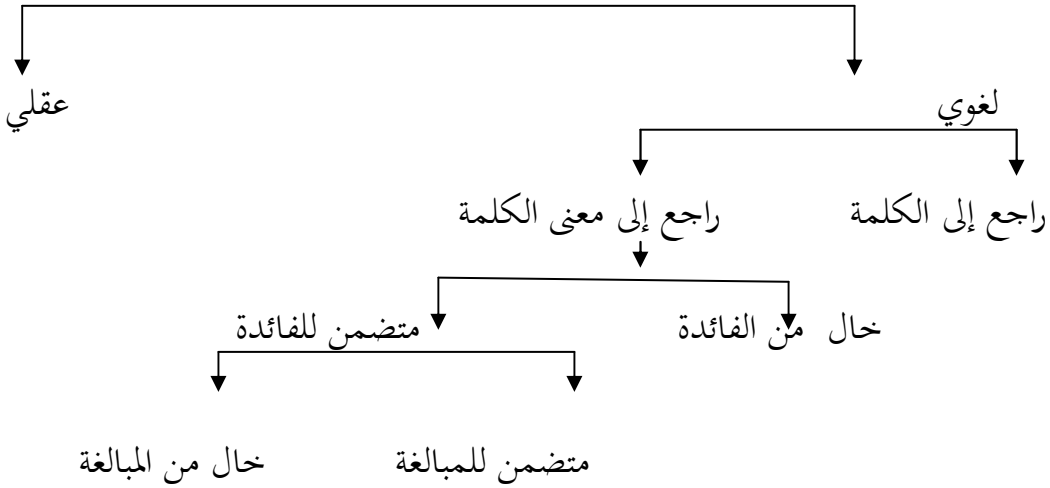

❖ المجاز المرسل وعلاقاته :

هو أحد نوعي المجاز اللّغوي ، وهو "ما كانت فيه العلاقة بين المعنى المستعمل في اللّفظة والمعنى الموضوع لها غير المشابهة ."[3] بمعنى أن نستعمل الكلمة في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة ، وفي هذا إشارة إلى علاقات أخرى .

وهو عند القزويني :"ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه ، وما وضع له ملابسة من غير تشبيه كاليدّ إذا استعملت في النّعمة .لأنّ من شأنها أن تصدر عن الجارحة ، ومنها تصل إلى المقصود بها ، ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى المولى لها".[1]

---

[1]- ينظر: التّوجيه البلاغي لآيات العقيدة في المؤلفات البلاغيّة في القرنين االسّابع والثّامن الهجريين- يوسف بن عبد الله بن محمد العليوي – ص 349.

[2]- مفتاح العلوم – السّكاكي – ص363.

[3]- المرجع نفسه – ص 349.

[1]- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني البيان البديع)– الخطيب القزويني – ص 205.

وهو أيضا ما ذهب إليه الرّازي في الفصل العاشر من كتابه نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز الذي عنونه ب" في أنّ المجاز في المثبت لغويّ "بقوله : لأنّا إذا وصفنا الكلمة المفردة بالمجاز كقولنا : اليد مجاز في النّعمة عنينا به أنّها في أصل الوضع للجارحة ، لكنّها نقلت إلى النّعمة ، لما بينها من العلاقة ، فكونها حقيقة في الجارحة ، ليس أمرا عقليّا بل وضعيّا ، فإزالتها إلى النّعمة إزالة حكم وضعي ، فلا جرم كان المجاز لغويّا ."[1]

ثمّ يكمل قائلا:"واعلم أنّ اللّفظ في أوّل ما وضعه الواضع للمعنى ليس بحقيقة فيه ولا مجاز ، أمّ أنّه ليس بحقيقة ، فلأنّ شرط كونه حقيقة أن يكون مستعملا فيما وضعه الواضع بإزائه ، وليس قبل أول الوضع وضع آخر ، حتّى يكون حقيقة ، وأمّا أنّه ليس بمجاز فلأنّ شرط المجاز أن أن يكون منقولا عن مركزه الأصلي ، وذلك في الموضع الأول محال ، فإذا كلّ الألفاظ فإنّها في زمان وضعها لا تكون حقيقة أو مجازا "[2].

"**والعلاقات في المجاز كثيرة** ذكر الخطيب القزويني منها، ثمان علاقات ، وذكر ابن الأثير عن أبي حامد الغزالي أربعة عشر علاقة "[3].

● "السّببيّة : التّعبير بالسّبب عن المسبّب ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة سببا في المعنى المجازي لها قالوا: رعت الماشية الغيث ، يريدون رعت النّبات ف(الغيث) مجاز مرسل علاقته السّببيّة ، لأنّ المعنى الحقيقي للغيث سبب في المعنى المجازي له وهو النّبات ، والقرينة(الماشية) فالماشية لا ترعى الغيث حقيقة ".[1]

[1]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي- ص 87.
[2]- المرجع نفسه – ص 87.
[3]- البلاغة الاصطلاحية –– عبده عبد العزيز قلقيلة- ص79.
[1]- المرجع نفسه- ص 80.

- "المسببيّة : أي التّعبير بالمسبّب عن السّبب ن وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة مسببا عن المعنى المجازي لها كقولهم ، أمطرت السّماء نباتا يقصدون ماء، فالنّبات مجاز مرسل علاقته المسببيّة"[1] .
- "اللازميّة : أي التّعبير باللاّزم عن الملزوم ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة لازما للمعنى المجازي لها تقول بزغ الضّوء ، تريد الشّمس ، فالضّوء مجاز مرسل علاقته اللاّزميّة ، لأنّ الضّوء لازم للشّمس والقرينة بزغ ، فالبزوغ ليس وصفا حقيقيّا للضّوء بل الشّمس "[2].
- "الملزوميّة: أي التّعبير بالملزوم عن اللازم ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة في العبارة ملزوما للمعنى المجازي لها تقول : دخلت الشّمس من النّافذة ن وملأت الحجرة تقصد ضوء الشّمس لاجرمها ، فكلمة (شمس) مجاز مرسل علاقته الملزومية "[3].
- "المحليّة : أي التّعبير بالمحلّ عن الحالين فيه وذلك إذا كان المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة محلا للمعنى المجازي لها . قال تعالى : "فليدع ناديه"[4]أي الموجودين في النّادي ن فكلمة ناديه مجاز مرسل علاقته المحليّة ، والقرينة (فليدع) لأنّ النّادي لا يدعى حقيقة "[5].
- "الحالية : أي التّعبير بالحالين في المكان عن المكان نفسه ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة حالا في المعنى المجازي لها .أقول : جئت الرّياض ، ونزلت فيها بصديقي ناصر الرّشيد ف(بصديقي ناصر) مجاز مرسل علاقته الحاليّة ، لأنّ صديقي ناصر حال بداره وقد حللت فيها معه "[1].

---

[1]- البلاغة الاصطلاحية –– عبده عبد العزيز قلقيلة- ص 81.

[2]- المرجع نفسه- ص81.

[3]- المرجع نفسه – ص82

[4]- سورة العلق – الآية 17.

[5]- البلاغة الاصطلاحيّة – عبده عبد العزيز قلقيلة- ص82.

[1]-المرجع نفسه– ص82.

- "الكليّة : أي التّعبير بالكلّ عن الجزء ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة كلاّ مشتملا على المعنى المجازي لها كقوله : ﴿**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ**﴾[1] يعني أناملهم بل أطراف أناملهم .فأصابعهم مجاز مرسل علاقته الكليّة ، والقرينة استحالة وضع الأصابع كاملة في الآذان "[2].

- "الجزئيّة : أي التّعبير بالجزء عن الكلّ ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة جزءا من المعنى المجازي لها قال الشّاعر :

كَم بَعَثْنا الجَيْشَ جَرَا ***رَا وَأَرْسَلْنَا العُيُونَا .

أي وأرسلنا الجواسيس ف(العيون) مجاز مرسل علاقته الجزئيّة والقرينة (أرسلنا) إذ العيون وحدها لا ترسل "[3].

- "البدليّة : أي التّعبير بالبدل عن المبدل منه ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة بدلا من المعنى المجازي لها . كإطلاق القضاء على الأداء في قوله تعالى : "فإذا قضيتم الصّلاة " يريد فإذا أدّيتم الصّلاة "[4].

- "المبدليّة : أي التّعبير بالمبدل منه عن البدل ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة مبدلا منه للمعنى المجازي لها كالتّعبير بالدّم عن الدّيّة في قول الشّاعر :

أَكَلتُ دَمًا إِنْ لم أرُعْكِ بضَرّةٍ *** بَعِيدة مَهْوَى القُرطِ طَيِّبة النّشر ."[5]

---

[1]- سورة البقرة – الآية 19.

[2]- البلاغة الاصطلاحيّة – عبده عبد العزيز قلقيلة- ص 83.

[3]- المرجع نفسه – ص84.

[4]- المرجع نفسه- ص 84.

[5]- المرجع نفسه- ص85.

"يقصد (أكلت دية) ففي (دما) مجاز مرسل علاقته المبدليّة لأنّ الدّم مبدل منه الدّيّة والدّيّة بدل من الدّم ، والقرينة (أكلت) "[1].

- "اعتبار ما كان : أي التّعبير بما كان عما هو كائن ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في ماضيّا بالنّسبة للمعنى المجازي لها كقوله تعالى : " وآتوا اليتامى أموالهم "يعني الذين كانوا يتامى من قبل ومنه أيضا قولنا: نلبس في الشّتاء صوفا ، وفي الصّيف قطنا ، ففي (صوفا وقطنا) مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان ، والقرينة (نلبس) ، فالصّوف الخام والقطن الخام لا يلبسان حقيقة"[2] .
- "اعتبار ما سيكون : وذلك إذا كان المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة آنيا أي حاضرا ، وكان المعنى المجازي لها هو المستقبل كقوله تعالى : " إنّي أراني أعصر خمرا" أي عنبا ، فخمرا مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون ، والقرينة (أعصر) فالخمر لا تعصر لأنّها معصورة فعلا "[3].
- "الآليّة : أي التّعبير بالآلة عن أثرها وما مورس بها ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة وسيلة وآلة للمعنى المجازي لها قال تعالى : " واجعل لي لسان الكريم على صدق في الآخرين " أي ذكرا جميلا وثناء حسنا ففي (لسان صدق) مجاز مرسل علاقته الآليّة ، لأنّ اللّسان بمعناه الحقيقي آلة ووسيلة للذّكر الحسن الذي هو المعنى المجازي للسان في الآية الكريمة "[4].
- "المجاورة : أي التّعبير يالمجاور عمّا جاوره ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة مجاورا للمعنى المجازي لها ومثاله قول عنترة بن شدّاد .

[1]- البلاغة الاصطلاحيّة – عبده عبد العزيز قلقيلة- ص 85.
[2]- المرجع نفسه- ص85.
[3]- المرجع نفسه- 86.
[4]- المرجع نفسه- 86.

فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيَابه *** لَيْسَ الكَرِيمُ عَلَى القَنَا بِمُحَرَّمِ "[1].

"أي فشككت بالرّمح الأصمّ جسمه ، ففي ثيابه مجاز مرسل علاقته المجاورة ، والقرينة (فشككت) لأنّ الشّك لا يكون في الثّياب ، بل الأجسام ".[2]

4- الكناية :

"تتصدّر الكناية مرتبة متميّزة في كيان البيان العربي ، فالتّعبير بالكناية له منزلة التّصوير بالاستعارة ، فكلّ منهما يصدر عن ذائقة فنيّة وقيمة بلاغيّة تتعلّق بفنّ القول ".[3]

كما عرّفها القزويني : " لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ كقولك طويل النّجاد أي طويل القامة ".[4]

وقد وضّح القزويني الفرق بين الكناية والمجاز نقول : "إنّهما يشتركان في ضرورة وجود قرينة تدلّ على المعنى المقصود من كلّ منهما أي على المعنى الكنائي في الكناية ، وعلى المعنى المجازي في المجاز ، لكن ثمّة فرقا جوهريّا بين القرينتين ، يكمن الفرق بين الكناية والمجاز ، القرينة في الكناية لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي ، وهو المعنى المباشر للعبارتين (طويل النّجاد) و(نئوم الضّحى) ،و لأمثالهما من الأساليب الكنائيّة "[5] .

وللكناية ثلاثة أقسام حدّدها القزويني كالآتي : [6]

- كناية عن صفة أي عن معنى .
- كناية عن موصوف أي ذات .
- كناية عن نسبة الصّفة إلى الموصوف أي عن نسبة المعنى إلى الذات .

---

[1]- البلاغة الاصطلاحيّة – عبده عبد العزيز قلقيلة- 86.

[2]- المرجع نفسه- ص86.

[3]- أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم – محمد حسين عليّ الصّغير- ص 142.

[4]- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني البيان البديع) – الخطيب القزويني – 241.

[5]- المرجع نفسه- ص 242.

[6]- المرجع نفسه – ص 242.

وورد أيضا في اصطلاح البلاغيين لفظ أريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة معناه حينئذ " .[1]

وهي عند ابن الأثير : " اللّفظ الدّال على الشّيء على غير الوضع الحقيقي بوصف جامع بين الكناية والمكنى عنه "[2].

وحدّ الكناية عند الرّازي : "اللفظة التّي أطلقت ، وكان الغرض الأصليّ غير معناها ، فلا يخلو إمّا أن يكون معناها مقصودا أيضا ليكون دالاّ على ذلك الغرض الأصلي ، وإمّا أن لا يكون كذلك ، فالأوّل هو الكناية ، والثّاني هو المجاز ، ومثال الكناية قولهم فلان طويل النّجاد كثير الرّماد ، فقولنا : طويل النّجاد استعمل لا لأن يكون الغرض الأصلي معناه ، بل ما يلزمه من طول القامة وهكذا القول في المثال الآخر ".[3]

" فهذا هو الكناية في المثبت ، فأمّا الكناية في الإثبات فهي إذا ما حاولوا إثبات معنى من المعاني لشيء ، فيتركون التّصريح بإثباته له ، و يثبتونه لما له من تعلّق كقوله :

إِنَّ السّمَاحةَ وَالمرُوءَة والنَّدَى *** فِي قُبَّة ضُرِبَت عَلَى ابنْ الحَشْرَج

لما أراد إثبات هذه المعاني للممدوح لم يصرّح بها ، بل عدل إلى ما ترى من الكناية فجعلها في قبّة ضربت عليه ، ومن قولهم المجد بين ثويبة ، والكرم بين برديه.فكلّ ذلك توصّل إلى إثبات المجد والكرم للممدوح بجعلهما في ثوبة المشتمل عليه " [4] .

ويقسّم البلاغيّون الكناية إلى ثلاثة أقسام "باعتبار المكنى عنه ، فقد يكون المكنى عنه صفة ، فتجيء الكناية لطلب نفس الصّفة، وقد يكون المكنى عنه موصوفا ، فتجيء الكناية لطلب نفس الموصوف ، ويكون المكنى عنه نسبة فتجيء الكناية لكلب النّسبة بين الصّفة والموصوف " [5].

---

[1]- التّوجيه البلاغي لآيات العقيدة في المؤلفات البلاغيّة في القرنين السّابع والثّامن الهجريين – يوسف بن عبد الله بن محمد العليوي – ص 515.

[2]- المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر – ابن الأثير – ص 82.

[3]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي- ص141.

[4]-المرجع نفسه– ص 141.

[5]- أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم - محمد حسين عليّ الصّغير – ص 142

أ- "**كناية عن صفة** : والتّي تطلب بها نفس الصّفة ، والمراد بالصّفة الصّفة المعنويّة كالجود والكرم والإباء والشّجاعة، وفيها نصرّح بالموصوف ،وبالنّسبة إليه ، لكن لا نصرّح بالصّفة المكنّى عنها، بل بصفة أو بصفات أخرى تستلزمها [1] ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا** ﴾[2] . فالحديث في الآية الكريمة حول صفتين معنويتين هما البخل والتّبذير . وقد عبّر عن هتين الصّفتين بالكناية"

وهي نوعان : [3]

- إمّا قريبة : هي ما ينتقل منها إلى المطلوب بها . لا بواسطة .مثل طويل النّجاد كناية عن طول القامة .
- بعيدة : وهي ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة كقولهم كناية عن الأبله ، عريض الوسادة فإنّه ينتقل من عرض الوسادة إلى عرض القفا ، ومنه إلى المقصود ومنه أيضا (كثير الرّماد) كناية عن المضياف ، فإنّه ينتقل من كثرة الرّماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور، ومنها إلى كثرة الطّبائخ ، ومنها إلى كثرة الأكلة ، ومنها إلى كثرة الضيفان ، ومنها إلى المقصود .

ب- **كناية عن موصوف** : وهي التّي يطلب بها نفس الموصوف ، والكناية هنا تختص بالمكنى عنه مثل قوله تعالى :﴿ **وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (19) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (20)** ﴾[54].

﴿ [54].

[1]- ينظر :أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم — محمد حسين عليّ الصّغير- ص 148. والبلاغة الاصطلاحيّة - عبده عبد العزيز قلقيلة – ص 103.

[2]- سورة الإسراء – الآية 29.

[3]- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني البيان البديع) – الخطيب القزويني – ص 243.

[4]- سورة فصلت – الآية 19-20.

[5]- أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم –محمد حسين عليّ الصّغير – ص 148.

فقد " عبرّ بالكناية عمّا لا يحسن ذكره أدبا بجلودهم ، وفي ذلك إضاءة مشرقة للتّعبير المهذّب ، بما يدلّ على المعنى المراد دون الدّخول بنبو الألفاظ وعنت الكلام"[1] .

وهي إمّا معنى واحد نحو : (قال : **ابن أمّ إنّ القوم استضعفوني**) أي ابن أمّي كناية عن أخيه والكناية تتضمّن معنى واحد كونه ابن أمّه . وإمّا مجموع معان كقولك : (حيّ مستوي القامة ، عريض الأظفار) كناية عن الإنسان .[2]

ت- كناية عن نسبة : (نسبة الصّفة إلى الموصوف) : "وفيها نصرّح بالصّفة ، ونصرّح بالموصوف ، لكنّا لا نصرّح بنسبة الصّفة إلى الموصوف ، بل نكنّي عن هذه النّسبة بنسبة أخرى تستلزمها" [3].

والمراد بها أيضا : " تخصيص الصّفة بالموصوف لا عن طريق إثبات الصّفة تصريحا ، بل عن طريق الكناية "ومثالها قولك : يحلّ الأدب حيث يحلّ محمد، فقد صرّح بالصّفة وهي الأدب ، وبالموصوف محمد ، لكن لم يصرّح بنسبة الصّفة إلى الموصوف أي بنسبة الأدب إلى محمد ، وإنّما كنيّ عن ذلك بنسبة الأدب إلى حيث يحلّ محمد [4].

" ومثالها من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿**الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3)** ﴾[5]، فقد " أراد التّعبير عن يوم القيامة لا بصريح اللّفظ بل نسبة أوصافها تأكيدها بالقارعة كناية عن القيامة وهي أنّ القيامة تقرع القلوب بأهوالها وأصدائها ووقعها ،وذلك تفخيم لمعنى القيامة ،وتعظيم لشأنها ".[6]

---

[1]- أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم –محمد حسين عليّ الصّغير – ص 150

[2]- دليل الطّالب إلى علم البديع والعروض - ناصيف اليازجي – ص 85.

[3]- ينظر: البلاغة الاصطلاحيّة – عبده عبد العزيز قلقيلة – ص 109

[4]-. ينظر: أصول البيان العربي – محمد حسين علي الصّغير – ص 151. والبلاغة الاصطلاحيّة – عبده عبد العزيز قلقيلة – ص 109.

[5]- سورة القارعة – الآية 1-3.

[6]- أصول البيان العربي – محمد حسين علي الصّغير- 151. والبلاغة الاصطلاحيّة – عبده عبد العزيز قلقيلة – ص 109.

III. منهج الرّازي في دراسة البديع :

للبديع منزلة عظيمة في البلاغة العربيّة . وهو في اصطلاح البلاغيين القدامى والمحدثين : " علم يبحث في طرق تحسين الكلام ، وتزيين الألفاظ والمعاني بألوان بديعيّة من الجمال اللّفظي أو المعنوي، وسمّي بديعيّا لأنّه لم يكن معروفا قبل وضعه "[1]. فهو يضفي جانب الجمال والحسن على الألفاظ والمعاني .

وهو أيضا : " علم يعرف به الوجوه ، والمزايا التّي تزيد الكلام حسنا وطلاوة ، وتكسوه بهاء ورونقا بعد مطابقته لمقتضى الحال ووضوح دلالته على المراد "[2].

ففي المرحلة الأولى "كان مصطلح البديع يستخدم بمعنى الجديد في بلاغة الشّعر الذي أتى به الشّعراء المحدثون في العصر العباسي ، و الذي تفاوت إزاءه إلى حدّ ما مواقف النّقاد والبلاغيين العرب مابين إنكار وتقليل من شأنه ، وإنصاف واعتراف بفضل بعض المحدثين في بعض أنواعه"[3] .

ولعلّ أغلب الدّراسات تشير إلى أنّ عبد الله بن المعتز (ت274هـ) وضع علم البديع ، ثمّ اقتفى أثره قدامة بن جعفر الكاتب ، ثمّ ألّف فيه كثيرون كأبي هلال العسكري ، وابن رشيق القيرواني وصفي الدّين الحلي ، وابن حجّة الحموي وغيرهم [4].

وأوّل كتاب "ظهر يحمل هذا الاسم هو(البديع) لعبد الله بن المعتز ،وقد كانت فنون البديع تشمل أكثر المباحث البلاغيّة "[5] .

---

[1]- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني البيان البديع)- الخطيب القزويني –ص 05

[2]- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع – السّيّد أحمد الهاشمي - ص 286.

[3] - البلاغة والأسلوبية – محمد عبد المطلب – ص 333.

[4]- ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع – السّيد أحمد الهاشمي – ص 287.

[5]- الزّجاج وجهوده البلاغيّة في ضوء كتاب معاني القرآن وإعرابه (السّور المدنيّة)-إيّاد سعيد رجب بظاظو -1431 غزة – 2010.

واستخدم مصطلح البديع عند عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) ليشير إلى بعض الفنون البلاغيّة التّي شاعت في شعر المحدثين الذين أسرف بعضهم وتكلّف في استخدامها إلى حدّ التّعمية يقول : " وقد تجد في كلام المتأخرين الآن كلاما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ماله اسم في البديع إلى أن ينسى أن يتكلّم ليفهم ، ويقول ليبيّن ، ويخيَّل إليه أنّه إذا جمع بين أقسام البديع في بيت فلا ضير أيقع ما عناه في عمياء".[1]

إذن فالبديع هو العلم الذي يعرف به وجوه تحسين الكلام .وهذه المحسنات نوعان :

1. المحسّنات المعنويّة :

"وهي التّي يكون التّحسين بها راجعا إلى المعنى قصدا ، و إلى اللّفظ عرضا لأنّه كلّما أفيد باللّفظ معنى حسن ، تبعه حسن اللّفظ الدّال عليه كالطّباق بين (يسرّ) و(يعلن) "[2].ومنها :

أ- الطّباق :

"المطابقة ، الطّباق ، التّضاد : ثلاث مصطلحات لمسمّى فرد هو الجمع في الكلام الواحد بين الشّيء الواحد وضدّه أو مقابله ظاهرا كان ذلك الجمع أو خفيا ، وبالإيجاب في الطرفين أو في أحدهما ن وسواء كان الطّرفان حقيقين أو مجازيين ، اسمين أو فعلين أو حرفين ، أو مختلفين."[3]

وهو" من البديع المعنوي وهو ضربان : أحدهما **طباق الإيجاب** نحو:[4]

- اسمين : الأوّل والآخر
- فعلين : أضحك وأبكى
- حرفين : نحو قوله تعالى : ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[5].

---

[1]- البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيات النّصيّة – جميل عبد المجيد الهيئة المصريّة العامّة للكتاب – 1998- ص19.

[2]- البلاغة الاصطلاحيّة - عبده عبد العزيز قلقيلة – ص 289.

[3]- المرجع نفسه – ص 290.

[4]- المرجع نفسه- ص 290.

[5]- سورة البقرة – الآية 228.

- أو مخالفين:نحو قوله تعالى :﴿ **وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** ﴾[1].

أمّا **طباق السّلب** : "فهو أن يجمع بين فعلين من مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي نحو ك: ﴿**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ** ﴾[2] .أو أحدهما أمر و الآخر نهي نحو: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ** ﴾[3].[4]

ب- المقابلة :

جعلها السّكاكي و القزويني شعبة من الطّباق يقول القزويني في الإيضاح : " ودخل في المطابقة ما يخصّ اسم المقابلة ، وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين ، أو معان متوافقة ، ثمّ بما يقابلهما أو يقابلها على التّرتيب " [5] .

وهي: [6]

- إمّا ثنائيّة : كقوله تعالى:﴿ **فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا** ﴾ [7]

- إمّا ثلاثيّة : كقوله تعالى :﴿ **وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**﴾.[8]

الْخَبَائِثَ﴾.[8]

- أو رباعية: كقوله تعالى : ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10)** ﴾[1] .

---

[1]- سورة الزّمر – الآية 36.

[2]- سورة النّساء – الآية 108.

[3]- سورة الأعراف- الآية 03.

[4]- دليل الطّالب إلى علم البديع والعروض – ناصيف اليازجي – ص89.

[5]- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني البيان البديع) – ص 259.

[6]- المرجع نفسه – ص259.

[7]- سورة التّوبة – الآية 82.

[8]-سورة الأعراف – الآية 157.

– أو خماسيّة كقول صفي الدّين الحليّ :

كَانَ الرِّضا بِدنوي مِنْ خَوَاطِره *** فَصَار سُخْطى لِبُعْدِي عَنْ جِوَارِهم

"المقابلة هنا بين (كان وصار) ، (الرضا والسّخط) ، (الدّنوّ والبعد)، (من وعن) ، (خواطرهم وجوارهم).[2]"

"ومن المحسّنات المعنويّة أيضا التّي وردت في العديد من المؤلفات البلاغيّة نجد : ... المناسبة و التّقويف و المشاكلة والتّقسيم والجمع مع التّفريق ، والجمع مع التّقسيم ، والجمع مع التّفريق ، والتّقسيم واللّفّ والنّشر ،و التّجريد والمبالغة .."[3]

2– المحسنات اللّفظيّة :

و"هي التّي يكون التّحسين بها راجعا إلى اللّفظ قصدا و إلى المعنى عرضا ، لأنّه كلّما عبر عن معنى بلفظ حسن استحسن معناه تبعا "[4].

سنكتفي في هذا الجزء بدراسة المحسّنات التّي وردت في "كتاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ". ومنها :

أ– الجناس :

وهو كما ورد في كتب البلاغيين : "تشابه كلمتين في النّطق واختلافهما في المعنى "[5].

وهو عند الرّازي كما ورد في فصل عنونه (بالتّجنيس) : " المتجانسان إمّا أن يكونا مفردين ، أو أحدهما مفردا والآخر مركّبا ، أو كلاهما مركّبا ، فإن كانا مفردين فالمجانسة التّامة إنّما توجد إذا

---

[1]– سورة اللّيل – الآيات 5–10

[2]– البلاغة الاصطلاحيّة – عبده عبد العزيز قلقيلة– ص 297.

[3]– البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيات النّصيّة – جميل عبد الحميد– ص 25.

[4]– البلاغة الاصطلاحيّة – عبده عبد العزيز قلقيلة – ص 295

[5]– المرجع نفسه– ص336.

تساويا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها ....أمّا إذا اختلفا في أحد هذه القيود ، فإمّا أن يكون الاختلاف واقعا في هيئة الحروف فقط ، أو في أعدادها فقط ، أوفي أنواعها فقط أوفي قيدين من هذه القيود .[1]

من خلال ملاحظتنا لتعريف الرّازي نجد بأنّ فيه إشارة إلى أنواع الجناس التّي سنتعرّض لها لاحقا.

وهو **ينقسم إلى قسمين رئيسيين هما** :"جناس تام وجناس غير تام "[2] .

❖ **الجناس التّام** : هو ما اتّفق طرفاه في أمور أربعة : جنس الحروف ، عدد الحروف ، ضبط الحروف ، ترتيب الحروف [3]، **وله ثلاثة أضرب** :[4]

- **المماثل** : "وهو ما كانت الكلمات فيه من نوع واحد اسمين أو فعلين أو حرفين مثل قوله تعالى: ﴿**يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (43) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (44)**﴾[5]

(الأبصار الأولى معناها العيون ، و الثّانيّة القلوب)"[6].

- **المستوفى** : "وهو ما كانت كلمتاه من نوعين مختلفين بأن تكون إحداهما اسما والآخر فعلا، أو بأن تكون إحداهما اسما والأخرى اسما أو فعلا مثل قول ابن رشيق :

إِذَا رَمَاكَ الدَّهْرُ فِي مَعْشَر *** قَدْ أَجْمَع النَّاسُ عَلَى بُغْضِهِم

[1]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي – ص 57.
[2]- البلاغة الاصطلاحيّة – عبده عبد العزيز قلقيلة – ص336.
[3]- المرجع نفسه – ص336.
[4]- المرجع نفسه – ص336.
[5]- سورة النّور – الآية : 43-44.
[6]- المرجع نفسه- 336.

فَدَارِهِمْ مَادُمْتَ فِي دَارِهِم *** وأَرْضِهِم مَادُمْتَ فِي أَرِضِهِم

(فدارهم فعل أمر من المداراة ، ودارهم هي الدّار بمعنى البيت) "[1].

- " **المركّب** : وهو ما كان أحد طرفيه مفردا والآخر مركّبا ، والآخر مركّبا .وهو على ثلاثة أضرب : المرفو ، المتشابه ، المفروق "[2].

❖ **الجناس غير التّام** :

" وهو ما اختلفت كلمتاه في واحد من الأمور الأربعة الواجب توفرها في الجناس التّام التّي سبق ذكرها "[3] وهي كالآتي :

5- جنس الحروف .

6- عدد الحروف

7- ضبط الحروف .

8- ترتيب الحروف ."[4]

الجناس من المحسنات اللّفظيّة في علم البديع ، وقد أشار إليه الرّازي بنوعيه التّام والغير التّام في الفصل الأوّل من كتابه " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز " ، فالجناس التّام أن يتّفقا في أنواع الحروف ، وأعدادها وهيئتها ، وترتيبها ، أمّا الغير التّام ، فهو ما اختلف فيه اللّفظان في واحد أو أكثر من الأربعة السّابقة .

ب- **السّجع** :

[1]- البلاغة الاصطلاحيّة - عبده عبد العزيز قلقيلة - ص 338.

[2]- المرجع نفسه- ص 339.

[3]- المرجع نفسه- ص 344.

[4]- المرجع نفسه – ص 344-345

يعتبر السّجع من المحسنات البديعيّة اللّفظيّة الذي يستعمل في تزيين الكلام شأنه شأن الجناس، كما يعدّ أكثر أنواع البديع استعمالا وشهرة .

وقد نقل الرّازي عن علي بن عيسى : "إنّه تكلّف التّقفية من غير تأدية الوزن ، وأصله من سجع الحمامة ".[1]

وهو أيضا :" تواطؤ الفاصلتين من النّثر على حرف واحد ."[2] بمعنى تشابة فواصل الجمل في الحرف الأخير من الكلمات .

وللسّجع في النثر ثلاثة أضرب يوجزها الرّازي على ثلاثة أقسام : [3]

- **القسم الأول** : أن تكون الكلمتان متساويتين في عدد الحروف ، وفي نوع الحرف الأخير فيسمّى بالمتوازي ، كقوله تعالى:﴿ **فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14)**﴾[4].

- أمّا **القسم الثّاني** وهو المطرّف : وهو أن يختلفا في العدد ، ويتّفقا في الحرف الأخير كقوله تعالى : ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (14)**﴾[5].

- ويسمّى **النوع الأخير** من السّجع بالمتوازن وهو : أن يتّفقا في عدد الحروف ، ولا يتّفقا في الحرف الأخير ، ويسمّى المتوازن كقوله تعالى : ﴿**وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16)** ﴾[6].

---

[1]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي- ص 65.

[2]- الإيضاح في علم البلاغة (المعاني – البيان – البديع) - الخطيب القزويني – ص 296

[3]- ينظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي- ص 65- 66 .

[4]- سورة الغاشيّة – الآية : 13-14.

[5]- سورة نوح – الآية: 13- 14

[6]- سورة الغاشية – الآية : 16.

من خلال هذه التّعاريف يتبيّن لنا أنّ السّجع من خصائص النثر ، وليس الشّعر وقد قسّم البلاغيون السّجع ثلاثة أقسام : المطرّف ، المتوازن ، المتوازي .

ممّا سبق يتّضح لنا أنّ علم البلاغة هو علم يقوم على أداء المعاني الجليلة و الواضحة بأسلوب يرقى إلى المتعة والجمال ، وقد قسّمه العلماء إلى ثلاثة مباحث هي : علم المعاني، والبيان ، والبديع ، فعلم البيان وسيلة تهدف إلى الكشف عن المعاني بأساليب وطرق متعددة من استعارة وكناية وتشبيه ومجاز ، أمّا علم المعاني فهو مدى مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، يضاف إلى هذين العلمين علم البديع الذي لا يقلّ في أهميّته عن علمي المعاني والبيان فهو يعنى بالزخرفة اللّفظيّة والمعنويّة للمفردات والمعاني.

ونجد كتاب " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدّين الرّازي قد اشتمل على العديد منها ، فهو لا يخرج في دراسته عمّا تطرّق إليه عبد القاهر الجرجاني، كما نجده يتّفق معه أيضا في العديد من الآراء والمسائل البلاغيّة، ولكن لكلّ أسلوبه الخاص وطريقته التي تفرّد بها في ترتيب المباحث وتبويب الفصول.

خاتمة

خاتمة :

في ختام هذا البحث وبعد الأشواط التّي قطعناها في خضمّه نصل إلى مجموعة من النّتائج والأهداف التّي توصلنا إليها من خلال ما تمّ عرضه في الفصول ، وهي ملخّصة كالآتي وللّه الحمد :

1- تميّز أسلوب القرآن الكريم بأنّه يصلح لمخاطبة كلّ النّاس على اختلاف مداركهم ، وثقافتهم

2- أنّ القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزّل على سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا يضاهيه أيّ كلام بشريّ ، رغم فصاحة وجزالة العرب القدامى وتفوّقهم في نظم الشّعر والنّثر .

3- أنّ للسّياق أهميّة بالغة في اللّغة العربيّة نظرا للدّر الذي يؤديه من أجل إيصال المعنى ، وإزالة الغموض عن الألفاظ ، وتحديد دلالتها ، وهو من يحدّدها ويوجّهها ويضبطها.

4- أنّ السّياق لم يعرف كلفظ عند العرب القدامى ، ولكن الفكرة كانت موجودة، فكلما اتّصل بالسّياق ومكنوناته في الدّرس اللساني الغربي الحديث تمّ التّطرّق إليه عند العرب تحت مسميات متعدّدة (الحال ، المقام ، مقتضى المقام، النّظم) .

5- أنّ السّياق لم يكن وليد الدّراسات الغربيّة ، بل إنّ جذوره تمتدّ إلى أعماق العربيّة ، فالغرب وجدوا الأرضيّة جاهزة ، فأسّس فيرث نظريّة قائمة بذاتها وهي النّظريّة السّياقية وهي من أهم النّظريات لدراسة المعنى .

6- أنّ الكلمة يتحدّد معناها من خلال السّياق الذي ترد فيه ، حيث أنّ للكلمة استعمالات سياقيّة ، وكلّ سياق يظهره أو يحدّد هذه المعاني .

7- أشار الرّازي في كتابه إلى العديد من المسائل البلاغيّة المتفرّقة نقلا عن كتابي عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز " ، و"أسرار البلاغة " .

8- لفخر الدّين الرّازي سمات أبرزت معالم شخصيته العلميّة ، فقد تميّز بدقّة التّفكير والقدرة الكاملة على الإحاطة بتشعّب المسائل .

9- غلبت الصّبغة الفلسفيّة والعقليّة ، وهذا ظاهر من خلال مادّته في مباحث كتاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فاستعمل عدّة مصطلحات مثل : سلب العموم ، حرف السّلب ، وغيرها .

10- استلهم الرّازي الفكر البلاغي لكتابي عبد القاهر الجرجاني ، ونقل عنه الأفكار بأسلوب موجز ، جاعلا من علم البيان خادما للقرآن الكريم ، والغرض من ذلك معالجة قضيّة الإعجاز .

وأخيرا نأمل أن يشكّل هذا البحث حافزا للدّارسين في تناول موضوعات متشابهة وهي كثيرة، خصوصا فيما يتعلّق بالمعنى .

فما كان فيه من صواب فمن الله ، وما كان فيه من خلل فمنّي ، ومن زلّة الشّيطان ، وأسأل الله العليّ القدير أن يعفو أن الزّلة ، وأن يقبل العثرة ، ويجعله من العلم النّافع ، وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعى صحبه أجمعين .

ولله الحمد من قبل ومن بعد

قائمة المصادر

والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

قائمة المصادر والمراجع :

I. باللّغة العربية:

1- الاتّجاهات النّحويّة لدى القدماء – دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة – حليمة أحمد عمايرة – عمان – دار وائل – ط1- 2006م.

2- الاتّصال اللّساني وآلياته التّداوليّة في كتاب الصّناعتين لأبي الهلال العسكري – سامية بن يامنة – بيروت – لبنان – دار الكتب العلميّة – 1971.

3- أثر العناصر غير اللّغويّة في صناعة المعنى – قراءة في البلاغة العربيّة – – بشرى محمد طه البشير – العدد الثّاني – 2010.

4- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام – تقي الدّين ابن دقيق العيد – تحقيق محمّد حامد الفقي – مراجعة أحمد محمد شاكر – القاهرة- مطبعة السّنّة المحمّدية – 1372- 1953م

5- أساس البلاغة- الزّمخشري – تح : محمد باسل عيون السّود – بيروت – دار الكتب العلمية – ط1-1419-1998.

6- الأصوات اللّغوية – زين كامل الخويسكي – الأزرايطة- دار المعرفة الجامعية- دط – 1429 – 2008 .

7- أصول البيان العربيّ في ضوء القرآن الكريم – محمد حسين علي الصّغير – بيروت – لبنان – دار المؤرخ العربي – ط1- 1420-1999 هـ .

8- الإعجاز البياني في صنيع الألفاظ (دراسة تحليلية للإفراد والجمع) – محمد أمين الخضري مطبعة الحسين الإسلاميّة – ط1-1413هـ-1993م.

9- الإعجاز البياني في ضوء القراءات المتواترة – أحمد بن محمد الخرّاط – المدينة المنوّرة –دط– 1424هـ.

10- إعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيمية مع المقارنة بكتاب إعجاز القرآن للباقلاني – محمد بن العزيز العواجي – تقديم حكمت بن بشير بن ياسين ومحمد عمر عبد الله حوية – الرّياض- مكتبة دار المنهاج – ط 1 – 1427هـ

11- إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة – مصطفى صادق الرافعي – بيروت – لبنان – دار الكتاب العربي– دط – 1410هـ - 1990م .

12- إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة – مصطفى صادق الرّافعي – راجعه وعلّق عليه الشيخ زياد حمدان – مؤسّسة الكتب الثّقافية – ط1- 1435-2004 .

13- الإعجاز اللّغوي في القرآن الكريم في الكلمات المتقاربة في المعنى ، المتباعدة المبنى وآيات الإعجاز أخرى- عودة الله منيع القيسي – دار البداية ناشرون – ط1- 1432-2011.

14- الإعجاز في دراسات السّابقين – دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها – دار الفكر العربي – ط1- 1974.

15- الاقتراح في علم أصول النّحو – تح : أحمد محمد قاسم – القاهرة – مطبعة السّعادة – دط- 1976.

16- الإمام فخر الدّين الرّازي ومصنّفاته – طه جابر العلواني - القاهرة – دار السّلام – ط1 – 1431-2010.

17- أوساط البلاغة العربية ، مصطفى الجويني – دار المعرفة الجامعية – دط- 1999.

18- الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني – شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي – القاهرة – النّاشر عيسى بابي الحلبي –1372 هـ-1953م-

19- الإيضاح في علوم البلاغة - المعاني والبيان والبديع - الخطيب القزويني - بيروت - لبنان - منشورات محمد علي بيضون - ط1- 1424هـ-2003م –

20- الإيضاح في علوم البلاغة – المعاني والبيان والبديع - الخطيب القزويني – بيروت –لبنان – دار الكتب العلمية – ط1- 1424- 2002-.

21- البداية والنّهاية –أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي – بيروت –لبنان- مكتبة المعارف – دط- 1412-1991.

22- بدائع الفوائد – ابن القيم الجوزية – تح: علي بن محمد بن العمران – دار عالم الفوائد- دط- دت.

23- البلاغة الاصطلاحية – عبد العزيز عتيق – القاهرة – دار الفكر العربي-ط3-1412هـ-1992م.

24- البلاغة العالية – علم المعاني – عبد المتعال الصّعيدي – تقديم ومراجعة عبد القادر حسين – ط1- 1411هـ-1991م.

25- البلاغة العربيّة تأصيل وتجديد – مصطفى الجويني – منشأة معارف الإسكندرية -دط- 1975.

26- البلاغة القرآنية في تفسير الزّمخشري ، وأثرها في الدّراسات البلاغيّة ، محمد حسين أبو موسى – دار الفكر العربي- دط- دت.

27- البلاغة والأسلوبية – محمد عبد المطلب – لبنان – مكتبة لبنان ناشرون – ط1- 1994.

28- البيان والتبيين – الجاحظ – تحقيق عبد السّلام محمد هارون – القاهرة – مكتبة الخانجي .

29- تأصيل البلاغة - بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة - عبد المالك بومنجل - منشورات مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده –دط-دت.

30- تحليل المعنى مقاربات في علم الدّلالة – صابر الحباشة – عمان – دار ومكتبة الحامد للنّشر – ط1- 2011.

31- التعّريفات – الشّريف الجرجاني –تح : محمد صديق المنشاوي –القاهرة – دار الفضيلة للنّشر والتّوزيع- دط- دت.

32- تفسير أبي الحسن الرّمّاني (الجامع لعلم القرآن) – علي بن عيسى بن علي بن عبد الله تح: خضر محمد نبها – تقديم رضوان السّيّد دار الكتب العلمية دط- دت

33- تفسير الفخر الرّزي – محمد الرّازي فخر الدّين – دار الفكر – ج 1- دط- دت.

34- تفسير القرآن – ابن كثير – حققه أبو إسحاق الجويني – جار ابن الجوزي – ج1- دط- دت.

35- التّفسير الكبير – فخر الدّين الرّازي – بيروت – لبنان – دار الكتب العلميّة – ط3- 1422هـ- 2000 .

36- تفسير الكشاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل- الزّمخشري- بيروت لبنان- دار المعرفة- ط3-1430هـ- 2009م. .

37- التّفكير العلمي في النّحو العربي – الاستقراء ، التّحليل ، التّفسير – عمان الأردن- دار الشّروق –ط1- 2002.

38- التّوجيه البلاغي لآيات العقيدة في المؤلفات البلاغية في القرنين السّابع والثّامن الهجريين – يوسف بن عبد الله بن محمد العليوي- ط1- 1429- 2008.

39- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في إعجاز القرآن للرّمّاني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني في الدّراسات القرآنية والنّقد الأدبي تح : محمد خلف الله ، محمد زغلول سلام – مصر – دار المعارف – ط3- دت.

40- الجامع لأحكام القرآن – القرطبي –تح : عبد الله بن عبد المحسن التّركي – بيروت – لبنان – مؤسّسة الرّسالة - ط1- 1427-2006- ج1.

41- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع – السّيد أحمد الهاشمي – الاسكندرية – دار ابن خلدون.

42- ابن الحزم وآراؤه الأصوليّة – محمد بنعمر – بيروت لبنان- دار الكتب العلميّة – دط- 1971.

43- خزانة الأدب وغاية الأرب – ابن حجّة الحموي – تقديم وتحقيق محمد ناجي بن عمر – بيروت لبنان – دار الكتب العلميّة – ج 1 .

44- الخصائص – ابن جنّي – تحقيق عبد الحميد هنداوي –بيروت –لبنان – دار الكتب العلمية- دط – 1971.

45- الخصائص – أبو الفتح عثمان بن جني – تح : محمد علي النّجار – الهيئة المصرية للكتاب – ط1 -1986-ج1- ج2.

46- دراسة الصّوت اللّغوي - أحمد مختار عمر - القاهرة - عالم الكتب- 8 141-1997م

47- دلالة الألفاظ ،دراسة تحليلية وتطبيقية لمفهوم وأنواع دلالة اللّفظ- عبد المنعم بشناتي - جامعة الجنان – لبنان- دط- دت.

48- دلالة الألفاظ–إبراهيم أنيس- مكتبة الأنجلو مصرية – ط5- 1984 .

49- دلالة السّياق – ردّة الله الطّلحي – مكة المكرّمة – جامعة أم القرى – ط1- 1424هـ.

50- دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين – موسى بن مصطفى العبيدان – ط1- 2002.

51- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تح: محمد رضوان الدّاية – فايز الدّاية – دمشق – دار الفكر –ط1-1428-2007م.

52- دليل الطّالب إلى علوم البلاغة والعروض- الشّيخ ناصيف اليازجي – مراجعة لبيب جريديني – بيروت – لبنان – ط1- 1999.

53- دور السّياق في التّرجيح بين الأقاويل التّفسيرية – محمد إقبال عروي – مراجعة منهجية – الكويت – مكتبة الكويت الوطنية-دط – 1428هـ-2007م-.

54- الرّسالة- الشّافعي – تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر – مصر – مطبعة المصطفى - ط- 1357هـ-1938.

55- الزّجاج وجهوده البلاغيّة في ضوء كتاب معاني القرآن وإعرابه (السّور المدنيّة)- إيّاد سعيد رجب بظاظو – غزة- 1431- 2010هـ.

56- زيادة الحروف بين التّأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم - هيفاء عثمان عباس فدا – القاهرة – مكتبة القاهرة للكتاب - ط1- 2000هـ- 1421هـ .

57- السّياق والنّص الشّعري من البنيّة إلى القراءة – علي آيت وشان– الدّار البيضاء - مطبعة النّجاح الجديدة – ط1- 1421هـ-2000م.

58- طبقات الشّافعية – الأسنوي - تح : عبيد الله الجبوري –الرّياض- دار العلوم للطّباعة والنّشر- دط- 1401هـ -1988م.

59- ظاهرة اللّبس في العربية –جدل التّواصل والتّفاهم – مهدي أسعد عراز – دار وائل للنّشر- ط1- 2003.

60- العلاقات الدّلالية والتّراث البلاغي العربي – دراسة تطبيقيّة – عبد الواحد حسن الشّيخ – مطبعة الإشعاع الفنيّة –ط1- 1419هـ - 1999م.

61- علم الدّلالة – أحمد مختار عمر – عالم الكتب – ط5-1998.

62- علم الدلالة- أصوله و مباحثه في التراث العربي- منقور عبد الجليل- دمشق- منشورات اتحاد كتاب العرب-دط- 2001.

63- علم الدّلالة – ف .ر بالمر – ترجمة صبري إبراهيم السّيّد – الإسكندرية – دار المعرفة الجامعيّة -دط– 1995.

64- علم الدّلالة – محمد علي الخولي – الأردن – دار الفلاح - دط– 2001.

65- علم الدّلالة أصوله ومباحثه في التّراث العربي – منقور عبد الجليل – دمشق – منشورات اتّحاد كتّاب العرب -2001.

66- علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق –دراسة تاريخية تأصيلية نقدية – فايز الدّاية – دمشق – دارالفكر -1996م.

67- علم الدّلالة بين النّظريّة والتّطبيق – أحمد نعيم – ط1- 1993-.

68- علم الدلالة في المعجم العربي - عبد القادر سلامي - دار ابن بطوطة – ط1-2007م.

69- علم الصرف –سميح أبو مغلي –دار البداية ناشرون –ط1-1431هـ-2010م-

70- علم اللّغة بين القديم والحديث – عبد الغفّار حامد هلال – ط1- 1406-1986.

71- علم اللّغة بين القديم والحديث ، عبد الغفّار حامد هلال - ط2-1406هـ-1984 م.

72- علم المعاني بين الأصل النّحوي والموروث البلاغي – محمد حسين عليّ الصغير – العراق – دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة – ط1- دت.

73- علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم – حسن طبل –مكتبة الإيمان – المنصورة – ط2-1425 -2004.

74- علم المعاني في الموروث البلاغي تقييم وتأصيل – حسن طبل – مكتبة الإيمان بالمنصورة – ط 2 – 1425 هـ – 2004.

75- فخر الدّين الرّازي وآراؤه الكلاميّة والفلسفيّة – محمد صالح الزركان – دار الفكر – دط - دت .

76- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة النّاجية منهم ، عقائد الفرق الإسلامية وآراء كبار أعلامها – أبي منصور عبد القاهر بن الطّاهر بن محمد البغدادي –تح : محمد عثمان الخشين – مكتبة ابن سينا – دط- دت-

77- فكرة إعجاز القرآن من البعثة النّبويّة إلى عصرنا الحاضر – نعيم الحمصي- بيروت –لبنان- مؤسسة الرّسالة – ط2 -1400هـ-

78- في البلاغة العربية - علم المعاني - عبد العزيز عتيق – بيروت - لبنان – دار النّهضة العربية – ط1- 1430-2009..

79- في علم الدّلالة – دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات –كريم محمد حسن حبل – دار المعرفة الجامعيّة – 1997.

80- قضايا ابستمولوجية في اللّسانيات – امحمد الملاخ – حافظ إسماعيل علوي – الدّار العربيّة للعلوم ناشرون – ط1- 1430-2009.

81- قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة – عبد العزيز عبد المعطي عرفة – بيروت – عالم الكتب ط1-1405-1985.

82- الكتاب – سيبويه – تح : عبد السّلام محمد هارون – القاهرة – مكتبة الخانجي – دط – 1408هـ-1988م- ج3.

83- كتاب قضايا اللّغة في كتب التّفسير، المنهج ، التّأويل الإعجاز – الهادي الجطلاوي – صفاقص – دار محمد علي الحلمي – ط1 – 1998.

84- لسان العرب – ابن منظور – تح : عبد الله علي الكبير – محمد أحمد حسب الله – هاشم محمد الشّاذلي – القاهرة – دار المعارض - مج 1 .

85- لسان العرب- ابن منظور – بيروت – لبنان – دار إحياء التّراث العربي – ط3- 1999.

86- اللّغة العربيّة معناها ومبناها – تمام حسان – المغرب – دار الثّقافة –دط- 1994م.

87- مباحث في إعجاز القرآن – مصطفى مسلم – الرّياض – دار مسلم للنّشر والتّوزيع – ط2- 1416هـ.

88- مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن – محمد رفعت أحمد زنجير – دبي – ط1- 1428-2008 .

89- مباحث في علوم القرآن – مناع القطّان – مصر – مكتبة وهبة – دط- 2000-.

90- مبادئ في اللّسانيات – خولة طالب الإبراهيمي - الجزائر – دار القصبة للنّشر –ط2-2000.

91- المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر – ابن الأثير- تح : – محمد محيي الدّين عبد الحميد – مصر – مطبعة مصطفى الحلبي – 1358- 1939هـ .

92- المحيط – الفيروز أبادي – تح : مكتبة التّراث في مؤسسة الرّسالة – لبنان – بيروت – ط8 -1426هـ-2004.

93- مختار الصّحاح – زين الدّين الرّازي – تح : يوسف الشيخ محمد – بيروت – صيدا المكتبة العصرية – الدار النّموذجية –ط5- 1420-1999- ج1.

94- مداخل إعجاز القرآن – أبو فهم محمود محمد شاكر – مصر – مطبعة الهدى المؤسّسة السّعوديّة – دط – دت .

95- المدارس اللّسانية –أعلامها ، مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التّواصلي - أحمد عزوز- وهران - دار آل الرضوان – ط2- 2008.

96- مدخل إل اللّسانيات – محمد محمد يونس علي – دار الكتاب الجديدة المتّحدة – ط1- 2004.

97- المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير للرّافعي – أحمد بن محمد بن علي المغربي الفيومي – تح: عبد العظيم الشّناوي – القاهرة – دار المعارف – ط2 – دت.

98- معاني الحروف – أبي الحسن عليّ بن عيسى الرّماني –تح: عبد الفتّاح إسماعيل شلبي – جدّة – دار الشّروق للنّشر والتّوزيع –ط2- 1401هـ-1981م.

99- معجم الأدباء – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب –ياقوت الحموي الرّومي – تح : إحسان عباس – بيروت – لبنان – دار الغرب الإسلامي –ج1-ط1-.1993

100- المعجم الوسيط – مجمع اللّغة العربية –القاهرة –دار الدّعوة – دت – دت- ج2 –ج1.

101- المعنى خارج النّص – أثر السّياق في تحديد دلالات الخطاب – فاطمة الشّيدي – دمشق – دار نينوي – 2011.

102- المعنى في البلاغة العربيّة – حسن طبل – القاهرة –دار الفكر العربي - ط1- 1418هـ – 1998م.

103- مفتاح العلوم – أبي يعقوب يوسف السّكّاكي – علّق عليه نعيم زرزور – بيروت – لبنان – دار الكتب العلميّة – ط1- 1408-1987.

104- مقاييس اللّغة – ابن فارس – تح : عبد السّلام هارون – دار الفكر – ج 3 .

105- مقاييس اللّغة- أبو الحسن أحمد بن فا رس –– تح : محمد هارون – لبنان – دار الفكر –دط- 1399هـ- 1979م-ج4 .

106– مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس علي– ليبيا–بنغازي– دار الكتاب الجديدة المتحدة– ط1–2004–

107– منهج الدّرس الدّلالي عند الإمام الشّاطبي – عبد الحميد العلمي – دط – 1422–2001م.

108– الموافقات – الشّاطبي – تقديم بكر بن عبد الله أبو زيد –ضبط وتقديم – أبو عبيدة مشهور بن الحسن آل سليمان – دار ابن عفان –دت – دط – المجلد الأول .

109– النحو العربي شواهده ومقدّماته – أحمد ماهر البقري – مصر – 1988.

110– النّحو في كتب إعجاز القرآن – نسرين حامد منعم المعموري – بغداد – 1424هـ–2003م– 07.

111– نظريّة السّياق –دراسة أصولية – نجم الدّين قادر كريم الزّنكي – بيروت – لبنان – دار الكتب العلمية – ط1– 1427هـ–2006.

112– نظرية السياق– دراسة أصولية–نجم الدين قادر كريم الزّنكي– لبنان– بيروت–دار الكتب الجامعية– ط1– 2006..

113– نظرية المقاصد عند الإمام الشّاطبي – أحمد الرسيوني – تقديم طه جابر العلواني – الدار العالمية للكتاب الإسلامي – ط4– 1416 هـ –1990م.

114– نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدّين الرّازي – دراسة وتحقيق سعد سليمان حمودة – الإسكندريّة – دار المعرفة الجامعيّة– د ط– 1429–2008م.

115– الوافي بالوفيات – صلاح الدّين خليل بن أيبك الصّفدي – تح: أحمد الأرناؤوط – تزكي مصطفى – بيروت لبنان – دار إحياء التّراث العربي – ط1– 1420–2000– ج4.

116– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – القاضي ابن خلكان – بيروت – دار صادر – دط_ 1978– ج4–ج8 .

II. باللّغة الأجنبيّة :

1-dionnaire de linguistique- larouss - jean dubois et autrearis- 1999.

III. المجلاّت :

1- العلاقات السّياقية في بناء الجملة القرآنية سورة الأحقاف نموذجا – هديل عبد الحميد داوود البكر – مجلّة التّربيّة والتّعليم – مج 19- العدد1- 2012.

2- أبرز كتب الإعجاز القرآني في النّصف الثّاني من القرن العشرين 1950م-2000م- (دراسة وإحصاء) – دريد موسى داخل الأعرجي – مجلّة مركز بابل للدّراسات الإنسانيّة – العدد 02- 2017م 2007.

3- الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم - دراسة نظريّة وتطبيقيّة على بعض الآيات – أحمد بن عمر بن أحمد السّيّد – حوليّة مركز البحوث والدّراسات الإسلاميّة – العدد 24.

4- التّرجيح بين دلالة السّياق وسبب النّزول – محمد أبو زيد – مجلة جامعة دمشق – العدد 3و4- 2012.

5- تيسير النّحو عند إبراهيم بن مصطفى – كامل جميل ولويل – المجلّة الأردنيّة للعلوم التّطبيقيّة – العدد الأوّل – 2008.

6- جدليّة السّياق والدّلالة في اللّغة العربيّة – النّص القرآني نموذجا – سيروان عبد الزّهرة الجنابي – حيدر جبار عيدان- العدد 9-2008.

7- الدّلالات والتّداولية والأسلوبية وعلم النّص، سليمان بن سمعون، مرحلة الواحات للبحوث والدراسات- غرداية- العدد 17- 2012.

8- الدّليل اللّغوي ، وعلاقته باللّفظ بالمعنى عند فخر الدّين الرّازي – نوار عبيدي – مجلّة كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة – العدد07 - جوان 2010.

9- سياق الحال وبعض شواهده من القرآن والسّنة والسّيرة والمعجم – عبد القادر سلامي – قسم اللّغة العربيّة وآدابها – جامعة تلمسان الجزائر –2011.

10- السّياق القرآني والدّلالة المعجميّة – ماجدة صلاح حسن – قسم اللّغة العربية – كليّة المعلمين – الزّاوية – جامعة السّابع من أبريل – العدد التّاسع -2007 .

11- السّياق في الدّراسات الأصولية والبلاغية –دراسة تحليلية في ضوء نظريّة السّياق – أسامة عبد العزيز جاب الله – قسم اللّغة العربية – جامعة كفر الشّيخ.

12- السّياق في الدّرس اللّساني الحديث – غنيّة تومي – مجلة المخبر – العدد 6- 2010.

13- السّياق والنّص -استقصاء دور السّياق في تحقيق التّماسك النّصي – فطومة لحمادي – جامعة محمد خيضر – بسكرة الجزائر ـــ العدد الثّاني والثّالث - جوان – 2008.

14- مدخل إلى السّيميائيات التّداوليّة – إسهامات بيرس وشارل موريس – هواري بلقندوز ـــ الملتقى الثّالث – السّيمياء والنّص الأدبي.

15- مصطلح السّياق في التّراث العربي وعلم اللّغة الحديث – العيد جلولي – مجلة مقاليد – العدد الأول – جوان – 2011.

16- مصطلح the contexteالنشأة المفهوم والتّطوّر – قراءة في الفكر اللّغوي – عبد العزيز بن طلحي مؤتمر المصطلح اللّساني الحديث عند علماء اللّغة العرب المعاصرين التّأصيل والتّعريب – جامعة مؤتة المملكة الأردنيّة الهاشميّة – 1429- 2008.

17- مفهوم المعنى – دراسة تحليلية – عزمي إسلام – الكويت – الحوليّة السّادسة – 1405هـ - 1985م

18- المقام والقرينة الحالية ودورهما في المعنى – صالحة حاج يعقوب – الجامعية العالمية الإسلاميّة بماليزيا .

19- المقاييس في اللّغة – أحمد بن فارس – تحقيق شهاب الدّين أبو عمرو – بيروت – دار الفكر – ط2- 1998.

20- ملامح الإعجاز النّفسي في القرآن الكريم- بلقاسم محمد الغالي – مجلّة جامعة الشّارقة للعلوم الشّرعية والإنسانية – ج 4- العدد1.

21- ملامح نظريّة السّياق في الدّرس اللّغوي الحديث – محمد إسماعيل بصلة – فاطمة بلة مجلّة الدّراسات اللّسانية –العدد – 18- 2014.

IV. الرّسائل الجامعيّة :

1- الإعجاز البياني في القرآن الكريم - دراسة نظرية تطبيقية في الآيات المحكمات – عمار ساسي – جدارا للكتاب العالمي – ط1-2007.

2- موازنة بين مذهبي الباقلاني والجرجاني في كتابهما إعجاز القرآن ودلائل الإعجاز – شذى عطا جرار – عمان- الأردن - ط 1 - 2005.

3- الإعجاز البياني في الفاصلة القرآنية ، دراسة تطبيقية على سورة النّساء - موسى مسلم سلام الحشاش – الجامعة الإسلامية بغزّة –كلية أصول الدّين 1428-2007 .

4- جهود أهل السّنة والجماعة في الإعجاز اللّغوي والبياني للقرآن الكريم "ابن القيم نموذجا - العيد حذيق – جامعة الجزائر – 2010م-2011 م.

V. المواقع الإلكترونيّة:

1- الإعجاز اللّغوي في القرآن الكريم – إبراهيم فوزي – http :ketabpedia.com

2- حليمة أحمد عمايرة 1428هـ- موقع لسان العرب

http:www angelfrire.Com.tx4/lisan

3- السّياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكوّن التّركيبي – عرفة عبد المقصود عامر حسن – شبكة الألوكة – www alukah :net.

فهرست الموضوعات

فهرست الموضوعات

* كلمة شكر وتقدير

* إهداء

*** مقدّمة** .....ص: أ – هـ

مدخل: أثر كتب الإعجاز في إثراء الدّرس البلاغي

1– الإعجاز دراسة تأصيليّة في المصطلح والمفهوم.....ص: 6

أ– .الدّلالة اللّغويّة لمصطلح الإعجاز.....ص:6-7

ب– الدّلالة الاصطلاحيّة.....ص:8-11

2– الإعجاز عند القدماء ..... ص: 13-15

2-1-الإعجاز عند الرّماني .....ص: 15

أ– التّعريف بالإمام الرّماني .....ص: 15

ب– مؤلفاته .....ص: 15-17

2-2-الإعجاز عند الخطابي .....ص: 17

أ– التّعريف بالخطابي .....ص: 17

ب– مؤلفاته .....ص: 18-19

2-3-الإعجاز عند الباقلاني .....ص: 20

أ– التّعريف بالباقلاني .....ص: 20

ب– مؤلفاته.....ص: 21

3- **الإعجاز عند المحدثين** :

أ- مصطفى صادق الرّافعي ص:32

ب- عائشة عبد الرحمن.....ص: 32

ج – محمد متولي شعراوي ومحمد سعيد رمضان.....ص:32

4- **أنواع الإعجاز في القرآن الكريم** :.....ص:33

أولا : الإعجاز اللّغوي:.....ص: 33

أ- معنى الإعجاز اللّغوي :.....ص: 33-34

ب- نماذج من الإعجاز اللّغوي.....ص: 35-36

ثانيا: الإعجاز البياني .....ص: 37

أ- ماذا نعني بالإعجاز البياني .....ص: 37

ب- خصائص الإعجاز البياني.....ص: 37-38

ج- نماذج من الإعجاز البياني .....ص: 38

ثالثا: الإعجاز العلمي : .....ص: 39

أ- تعريفه.....ص: 39-40

ب- نماذج من الإعجاز العلمي.....ص: 40

رابعا– الإعجاز الغيبي .....ص: 41

أ- مفهومه:.....ص: 41

ب- نماذج من الإعجاز الغيبي.....ص: 42

خامسا : الإعجاز التشريعي .....ص: 42

الفصل الأوّل : مفهوم السّيّاق وأنواعه في الممارسة التّراثيّة :

I. السّياق في اللّغة والاصطلاح .....ص: 45

أ_ السّيّاق قي اللّغة.....ص: 45-47

ب_ السّيّاق في الاصطلاح .....ص: 47

II. السّياق عند القدامى .....ص: 48

- السّياق عند الأصوليين .....ص: 49-56
- السّياق عند البلاغيين .....ص: 56-61
- السّياق عند النّحاة .....ص: 61-63

III. **السّياق عند المحدثين** .....ص: 64-66

IV. **السّياق في الدّرس اللّساني الغربي الحديث**.....ص: 66

أ- نظريّة السّيّاق : .....ص: 67

ب- السّياق عند فيرث.....ص:68

ت- ستيفن أولمان والسّياق.....ص: 69

ث- السّياق عند مالينوفسكي .....ص: 70

ج-فندريس والسّياق.....ص: 72

ح-انكسفت.....ص: 72

خ-هاليداي.....ص: 72

د- بيارغيرو.....ص: 73

ذ- جيفري ليتش.....ص: 73

ر- سبنس.....ص: 74
ز- هانس.....ص: 74
س- أرمينكو.....ص: 74
ش- فان دايك.....ص: 75
V. **أنواع الأسيقة عند المحدثين** ..... ص: 76-81
VI. **مزايا النظريّة السّياقيّة**.....ص: 81
VII. **الانتقادات الموجّهة للنّظريّة**.....ص: 82

الفصل الثّاني :سياق الحال عند فخر الدّين الرّازي

I. التّعريف بفخر الدّين الرّازي .....ص: 84
1- نشأته.....ص: 84
2- اسمه ولقبه وكنيته .....ص: 85
3- مولده.....ص: 85
4- وصفه.....ص: 86
5- مؤلفاته.....ص:86-87
6- وفاته.....ص: 87
II. **التّعريف بالمؤلّف : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز** .....ص: 88
III. **منهج كتاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز** .....ص: 89-94
IV. **مفهوم سياق الحال عند القدامى**.....ص: 94
أ- ابن جنّي .....ص: 94
ب- ابن الأنباري.....ص: 95
ت- الجاحظ .....ص: 95

ث- الرّاجحي.....ص: 95

V. أهميّة سياق الحال في الوقوف على المعنى عند فخر الدّين الرّازي .....ص: 97

أ- مفهوم المعنى .....ص: 98-99

ب- مستويات المعنى .....ص: 99-104

VI. الدّلالة اللّفظيّة والمعنويّة عند عند فخر الدّين الرّازي .....ص: 105

1- الدّلالة في القرآن الكريم .....ص: 105

2- الدّلالة المعاجم اللّغويّة .....ص: 105

3- الدّلالة اصطلاحا .....ص: 106

4-علم الدّلالة وعلوم اللّغة .....ص: 107

أ- علاقة علم الدّلالة بالأصوات .....ص: 107-109

ب-علاقة علم بالنّحو.....ص: 109-110

ت-علاقة علم اللّغة بالصّرف.....ص: 110-112

ث-علاقة علم الدّلالة بالمعجميّة .....ص: 112

ج- علاقة علم الدّلالة بالبلاغة .....ص: 113-117

5-الدّلالة اللّفظيّة عند فخر الدّين الرّازي.....ص: 117-118

6-أنواع دلالة الألفاظ عند فخر الدّين الرّازي .....ص: 119

7-الدّلالة الالتزاميّة عند فخر الدّين الرّازي .....ص: 120

8-الدّلالة المعنويّة عند فخر الدّين الرّازي .....ص: 121

الفصل الثّالث :التّصور البلاغي عند فخر الدّين الرّازي :

I. **علم المعاني** : . ..... ص 123-126

1- التّقديموالتّأخير.....ص: 126-130

2- الإيجاز والإطناب والمساواة .....ص: 130

2-1الإيجاز .....ص: 130-132

2-2الإطناب.....ص: 133

2-3 المساواة .....ص: 134

3- التّعريف والتّنكير.....ص: 134-136

4- أسلوب القصر .....ص: 136-138

5- الفصل والوصل .....ص: 138-139

II. **علم البيان**.....ص: 140-141

1- التّشبيه .....ص: 141-146

2- الاستعارة .....ص: 147- 149

3- المجاز.....ص:150-157

4- الكناية .....ص: 158 -161

III. **منهج الرّازي في دراسة البديع** ..... ص: 162

1- المحسّنات المعنويّة.....ص: 163

أ- الطّباق .....ص: 163

ب-المقابلة .....ص: 164

2- **المحسّنات اللّفظيّة** ..... ص: 165

أ- الجناس.....ص: 166

ب-السّجع .....ص: 168

- خاتمة .....ص: 171-172
- قائمة المصادر والمراجع .....ص: 174-186
- فهرست الموضوعات .....ص: 187- 193

ملخّص البحث

الملخّص:

يدرس هذا البحث موضوعا مهمّا من مواضيع اللّغة العربيّة مشترك بين علمين من علومها علم الدّلالة وعلم البلاغة ، وهو سياق الحال عند فخر الدّين الرّازي في كتابه نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، حيث تمت معالجة إشكالية هذا البحث في مدخل وثلاثة فصول ن جاء المدخل بعنوان أثر كتب الإعجاز في إثراء الدّرس البلاغي ، الفصل الأوّل خصّص لمفهوم السّياق وأنواعه في الممارسة التّراثيّة ، وعنونا الفصل الثّاني تقديم عن سياق الحال عند فخر الدّين الرّازي ، أمّا الفصل الثّالث فوقفنا عند التّصوّر البلاغي للرّازي والتّطرّق لأهمّ المباحث البلاغية التّي تعرّض لها .

الكلمات المفتاحية : الإعجاز – الدّلالة – سياق الحال – فخر الدّين الرّازي – البلاغة .

Résumé :

Le thème de cette recherche est importants en langue arabe, c est :Sémantique et Rhétorique .Il est considéré par FAKHR EDDINE RAZI dans son livre « la fin de la brièveté dans la connaissance de l'incapacité » »le cas contexte .Le Thème de cette recherche est fait dans une introduction et trois chapitres ; pour l'introduction est intitulée L'impact des livres de l'incapacité sur l'enrichissement de la leçon de rhétorique ;premier chapitre ,nous avons consacré notre recherche au concept de contexte dans la pratique traditionnelle , et nous avons intitulé le deuxième chapitre avec une présentation sur le contexte de cas dans FAKHR EDDINE RAZI , et pour troisième chapitre, nous nous sommes conclu dans la conception rhétorique de FAKHR EDDINE RAZI et avons exposé les recherches rhétoriques les plus importantes auxquelles .

Les mots clés : Incapacité-Signifiance –Le Cas Contexte –Fakhr Eddine Razi-Rhétorique.

-

Abstract:

The theme of this research is important in the Arabic language, it is: Semantics and Rhetoric. It is considered by FAKHR EDDINE RAZI in his book "The End of Brevity In The Knowledge of Disability" "the case context. The Theme of this research is done in an introduction and three chapters; for the introduction is titled The Impact of Disability Books on Enriching the Rhetoric Lesson; first chapter, we specialized our research to the concept of context in traditional practice, and we titled the second chapter with a presentation on the case context in FAKHR EDDINE RAZI, and for the third chapter, we concluded in the rhetorical conception of FAKHR EDDINE RAZI and outlined the most important rhetorical research to which.

The key words: Incapacity-Significance –The Case Context –Fakhr Eddine Razi- Rhetoric.